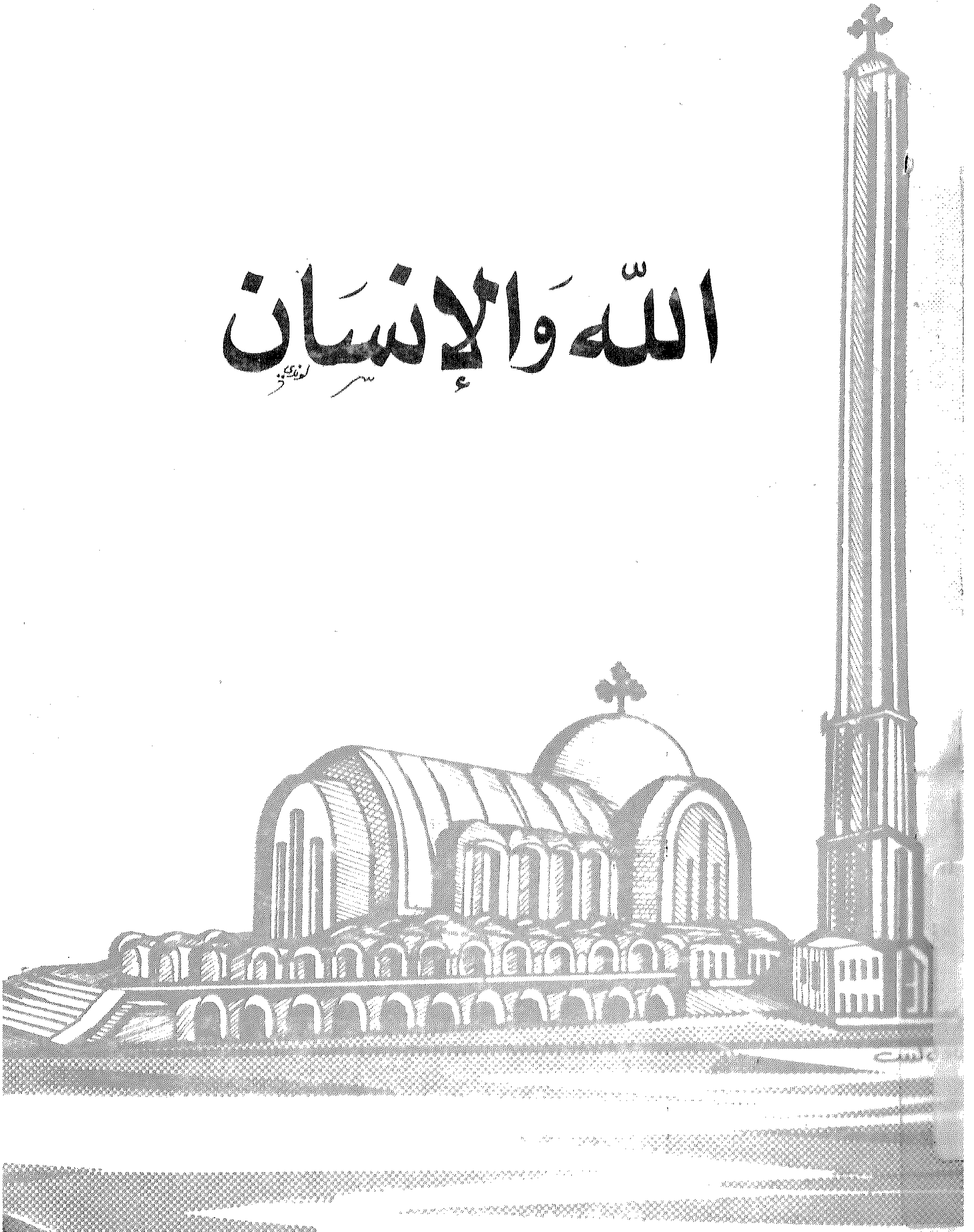
البابا شنوده الثالث

الله والإنسان



اهداءات ٢٠٠٢

بطريركية الأقباط الأرثوذكس

الاسكندرية

البابا شنوده الثالث

الله والإنسان

GOD AND MAN

By

H. H. Pope Shenouda III

1st Print

June 1997

Cairo

الطبعة الأولى

يونيو ١٩٩٧

القاهرة

الكتاب : الله والإنسان
المؤلف : قداسة البابا المعظم الأنبا شنوده الثالث
الناشر : الكلية الإكليريكية للأقباط الأرثوذكس .
الطبعة : الأولى يونيو ١٩٩٧م .
المطبعة : الأنبا رويس الأوفست – العباسية القاهرة
رقم الإيداع بدار الكتب :٩٧/٧٠٨٠
I.S.B.N. 977 - 5345 - 40 - 5



حضرة صاحب القداسة والغبطة

البابا شنودة الثالث

بابا الإسكندرية وبطريرك الكرازة المرقسية

مقدمة الكتاب

بدأت فى سنة ١٩٧٦ أن ألقى عدة محاضرات عن الله تبارك إسمه .

بعضها يدخل فى حدود اللاهوت النظرى . ولكن الغالبية كانت تدور حول علاقة الله بالخلقة، وبالذات علاقته بالإنسان ، ثم توالت المحاضرات وامتدت إلى الثمانينات .

ثم جمعت تلك المحاضرات التى تزيد عن أربعين فى عددها .

ووجدت أنها تصلح لضمها إلى ثلاثة أقسام :

١ – صفات الله الذاتية .

٢ – علاقة الله بالإنسان .

٣ – علاقة الإنسان بالله .

وما كنت مستطيعاً أن أفصل بينها فصلاً تاماً ...

فهى مرتبطة بعضها بالبعض الآخر، حتى فى جزئيات تفاصيلها .

ولهذا اعتذر لك أيها القارئ العزيز إن وجدت أحياناً شيئاً من التكرار ما كنت أستطيع أن أتفاداه فى سبيل الإحتفاظ بتكامل الموضوع . فكنت – حسبما أقدر – أحاول التركيز فى مثل تلك النقاط .

مثال ذلك : ما ذكرته عن الحب والعطاء فى علاقة الله بالإنسان :

ستجد موضوعاً تحت "علاقة الله بالإنسان هى قصة حب" وموضوعاً آخر "علاقة الله بالإنسان أولها العطاء" . فى الموضوع الأول تركيز على الحب، وفى الثانى تركيز على العطاء .. ولكن كان بينهما لون من التلاقى فى بعض النقاط . فنحن لا نفصل حب الله عن عطائه، كما لا نفصل عطاءه عن حبه. فإن تكررت بعض جمل أو معانٍ، فكان ذلك ضرورياً لكى يتكامل كل موضوعاً منهما على حده ...

كذلك فإن غالبية صفات الله، نستطع أن نفهمها فى علاقته مع خليقته .

مثال ذلك حكمة الله، وطيبته ، وحنوه ، وتدبيره ، وعمله .. وما أشبه .. أنستطيع أن نتكلم عن كل صفة منها مجردة؟! أم لابد أن نذكر كيف ظهرت في العلاقة بين الله وخليقته .. وهكذا كان ...

أمامك أيها القارئ العزيز حوالى الأربعين موضوعاً ..

هى مزيج من اللاهوت والروحيات . وهى فى مجموعها تعتمد اعتماداً كاملاً أو شبه كامل على الكتاب المقدس ، الذى سجل لنا حكاية الله مع البشر من بداية وجود البشر، بل قبل أن يوجد ...

أضعه أمامك للتأمل ...

ولكى يكون سبباً فى تعميق علاقتك بالله، لكى تزداد محبة لـه، ولكى تزداد معرفة . واضعاً أمامك عبارة جميلة فى إنجيل يوحنا وهى :

"هذه الحياة الأبدية أن يعرفوك أنت الإله الحقيقى وحدك ..." (يو١٧: ٣) .

أتركك الآن تحيا مع هذا الإله المحبوب القادر، الذى تقرأ عنه .

أبريل ١٩٩٧ **البابا شنوده الثالث**



القسم الأول

صفات الله

ويشمل هذا القسم :

- صفات الله الذاتية التي يختص بها وحده .
- الله الخالق .
- الله غير المحدود .
- الله القدوس .
- الله القوي القادر على كل شيء .
- الله له المجد والعظمة .
- أبرع جمالاً من بني البشر (مز ٤٥ : ٢)
- تواضع الله .



صفات الله الذاتية التى يختص بها وحده

هناك صفات يشترك فيها الله مع بعض خليقته . وتكون فى الله مطلقة وغير محدودة. بينما تكون فى المخلوقات نسبية ومحدودة . مثال ذلك صفات القوة والحكمة والمعرفة، والمحبة والمغفرة، والجمال والبهاء، والرحمة والعطاء ...

فالله مثلاً يتصف بالحكمة . وكثير من البشر يتصفون بالحكمة . ولكن حكمة الله مطلقة وغير محدودة. بينما حكمة البشر محدودة، ونسبية بنسبة ما وهبهم الله من ذكاء وحسن تصرف ...

على أن هناك صفات أخرى خاصة بالله وحده، لا يشاركه فيها أى مخلوق مهما ارتفع شأنه. إنها صفات إلهية . وعن هذه الصفات سنتحدث الآن :

★من هذه الصفات الخاصة بالله : الأزلية :

فالله أزلى ، أى لا بداية له . وهو وحده الأزلى. ولا يوجد كائن آخر يتصف بالأزلية.

ذلك لأن كل الكائنات الأخرى مخلوقة . قد خلقها الله. وكل مخلوق له بداية. وهى الوقت الذى خُلق فيه. وقبل ذلك الوقت لم يكن المخلوق موجوداً إلى أن أوجده الله، فابتدأ أن يكون.

ولذلك لا يوجد أحد أزلى سوى الله وحده. وكذلك الكون كله بكل ما فيه من قارات وأقطار وبلاد، وما فيه من محيطات وأنهار وبحار، وما فيه من شموس وأقمار وكواكب... كل هذا الكون مخلوق وله بداية، ولا يوجد شئ فيه يتصف بالأزلية ...

النور أيضاً غير أزلى . مرّ وقت لم يكن فيه نور . ثم قال الله ليكن نور، فكان نور (تك١: ٣) .

الطبيعة كلها مخلوقة غير أزلية. ولها بداية هى يوم خلقها الله، وأوجدها إذ لم تكن .

✠ ✠ ✠

★**أيضاً من صفات الله وحده : أنه واجب الوجود .**

ويقول البعض عن هذه الصفة، أنه موجود بالضرورة. أى أن الضرورة تحتم وجوده. ذلك لأن كل الموجودات تحتم وجود كائن أعلي كلي القدرة هو الذى أوجدها. وكان سبب وجودها .

لذلك يسميه بعض الفلاسفة (العلة الأولى) . وعبارة (العلة الأولى) تعنى السبب الأول، أى السبب فى إيجاد جميع الموجودات .

لا يوجد كائن – غير الله – يمكن وصفه بأنه واجب الوجود، أو الضرورة تحتم وجوده. لأنه مادام كل الكائنات الأخرى مخلوقة، ولها بداية، ولم تكن موجودة قبل هذه البداية، إذن فهى ليست موجودة بالضرورة . إذ مرّ وقت قبل خلقها لم تكن فيه موجودة. إذن وجودها لم يكن ضرورياً .

✠ ✠ ✠

★**من صفات الله الذاتية أيضاً أنه : الخالق .**

هو وحده الخالق . وقد خلق كل شئ ...

وعبارة (خلق) تعنى أنه أوجد من العدم، من لا شئ. وصفة الخلق خاصة بالله وحده

أعظم ما وصل إليه العقل البشرى، أنه صنع أشياء مبهرة . ولكنه لم يخلقها .

إنما صنعها من المادة التى خلقها الله. وصنعها الإنسان بذكائه الجبار الذى وصل إليه به إلى إنجازات عجيبة فى الصناعة والتكنولوجيا مما نراه الآن . ولكن هذا العقل البشرى الذى صنع كل هذا ، هو أيضاً من خلق الله، وذكاؤه من مواهب الله ...

إذن فالله خلق المادة، وخلق العقل والذكاء . والعقل استخدم المادة والذكاء فى كل ما صنع من آلات مبهرة . وبقى الله هو الخالق وحده ...

✠ ✠ ✠

والله لم يخلق المادة فقط وكل ما هو مادى. إنما خلق أيضاً الروح والنفس .

خلق الروح التى للإنسان . وخلق الملائكة أرواحاً (مز ١٠٤: ٤) .

وخلق الحياة . وكخالق يمكنه أيضاً أن يسحب هذه الحياة التى منحها . لذلك فهو المحيى والمميت . بيده الحياة والموت . هو الذى خلق الطبيعة، ويمكنه إفناءها ...

✠ ✠ ✠

★من صفات الله أيضاً أنه قادر على كل شئ .

لا يوجد قادر على كل شئ سوى الله وحده . توجد كائنات لها قدرة، ولكن ليست قدرة على كل شئ. الملائكة قيل إنهم "مقتدرون فى قوتهم" (مز١٠٣: ٢٠)، ولكنهم ليسوا قادرين على كل شئ .

والبشر : منهم من له قوة عظيمة جداً، سواء فى الجسد، أو فى الفكر، أو قوة الإرادة أو فى السلطة. ولكن لا يوجد أحد من البشر يكون قادراً على كل شئ ...

يكفى أن الموت لم يوجد أحد من البشر كان قادراً عليه .

بل إن البشر جميعاً غلبهم الموت. ولم يوجد أحد قد غلب الموت . الكل ماتوا مهما طالت أعمارهم . وكل الباقين سيموتون . وأمام الموت يقف الجميع عاجزين !

كذلك لم يوجد أحد من البشر كان أقوى من الخطية . فالخطية "طرحت كثيرين جرحى. وكل قتلاها أقوياء" (أم٧: ٢٦) . "الجميع زاغوا وفسدوا معاً. ليس من يعمل صلاحاً. ليس ولا واحد" (مز١٤: ٣) . ليس أحد صالحاً ، إلا الله وحده (مت١٩: ١٧) .

كل إنسان له ضعفات . ويختلف الناس فى مقدار الضعف وفى نوعيته . إذن لا يوجد أحد قادراً على كل شئ .

حتى الشيطان – فى جبروت قوته – لم يكن قادراً على كل شئ.

ولا على كل أحد. فقد غلبه قديسون كثيرون . وإن كان هو قد غلب البعض وصرعهم ودخل فيهم، فإن أبراراً كثيرين كانت لهم موهبة إخراج الشياطين .

✠ ✠ ✠

★من صفات الله الذاتية أيضاً أنه موجود فى كل مكان .

هو فى كل السماء ، وفى كل الأرض ، وما بينهما . ولا يخلو منه مكان ، ولا يسعه مكان. هو دائم الحضور فى كل موضع Omni - Present. وهذا أمر خاص بالله وحده .

لا يوجد أحد يستطيع أن يكون فى مكانين فى وقت واحد. ولكن الله يوجد فى كل مكان فى نفس الوقت .

وإذ يوجد فى كل مكان ، فإنه يرقب كل ما يحدث فى جميع الأمكنة : يرى ويسمع ويلاحظ كل شئ، ولا يخفى عليه شئ. وهذه قدرة خاصة بالله وحده .

وحينما نقول كل مكان ، إنما نقصد الخفى والظاهر .

فالله فى كل مكان، لا يسعه مكان، حتى فى القلب والفكر . ولذلك فهو وحده فاحص القلوب وقارئ الأفكار .

✠ ✠ ✠

ووجود الله فى كل مكان ، يجعلنا نتأمل موضوع الحركة بالنسبة إلى الله .

فالله لا يصعد ولا ينزل، لأنه موجود فيما يقال أنه يصعد إليه. وموجود فيما يقال إنه ينزل إليه. إنه موجود فيما هو فوق، وموجود فيما هو أسفل . كما أنه لا يترك مكاناً إلى آخر، لأنه لا يخلو منه مكان . لذلك فهو لا يذهب ولا يأتى . **لأنه مالئ الكل**، مالئ كل مكان. وهذه أيضاً صفة يختص بها الله وحده .

✠ ✠ ✠

من صفات الله أيضاً أنه عارف بكل شئ .

هو الوحيد الذى يعرف كل شئ عن كل شئ . وهو أيضاً الذى يعرف الأمور قبل كونها، أى أنه يعرف المستقبل . وهو يعرف الغيب، ويعرف كل بواطن الأمور . يعرف الماضى والحاضر والمستقبل، وكل ذلك كائن أمامه فى نفس الوقت . يعرف الخفيات والظاهرات . يعرف طبائع الكائنات كلها، لأنه هو الذى وهبها هذه الطبائع ، وجعلها أن تكون هكذا ...

والله يعرف معرفة كاملة شاملة، وفى نفس الوقت معرفة يقينية ثابتة . وأيضاً يعرف كل شئ بدون واسطة. كذلك فإنه يعرف مباشرة دون تدرج. وفى كل هذا يتميز عن كل معرفة البشر. لأن معرفته إلهية .

من كل هذا نستنتج صفة أخرى من صفات الله الذاتية وهى :

★ **إن الله غير محدود .**

الله غير محدود من جهة المكان ، فهو فى كل مكان ولا يسعه مكان .

وهو غير محدود من جهة الزمان، فلا بداية له ولا نهاية .

وهو غير محدود من جهة المعرفة ، إذ يعرف كل شئ عن كل شئ .

وهو غير محدود فى كل صفة يتصف بها . مما يميزه عن باقى الكائنات .

✠ ✠ ✠

ومن صفاته أنه الحى الذى لا يموت (١تى٦: ١٦، ١٥) .

★**من صفات الله الإلهية أيضاً : أنه لا يتغير .**

البشر يتغيرون فى الشكل وفى الفكر وفى السن . يزدادون فى معلوماتهم، أو ينسون بعضها. يتغيرون فى النمو ، وفى العجز، وفى الإنهيار. وكذلك يتغيرون فى القوة وفى الصحة وفى المركز .

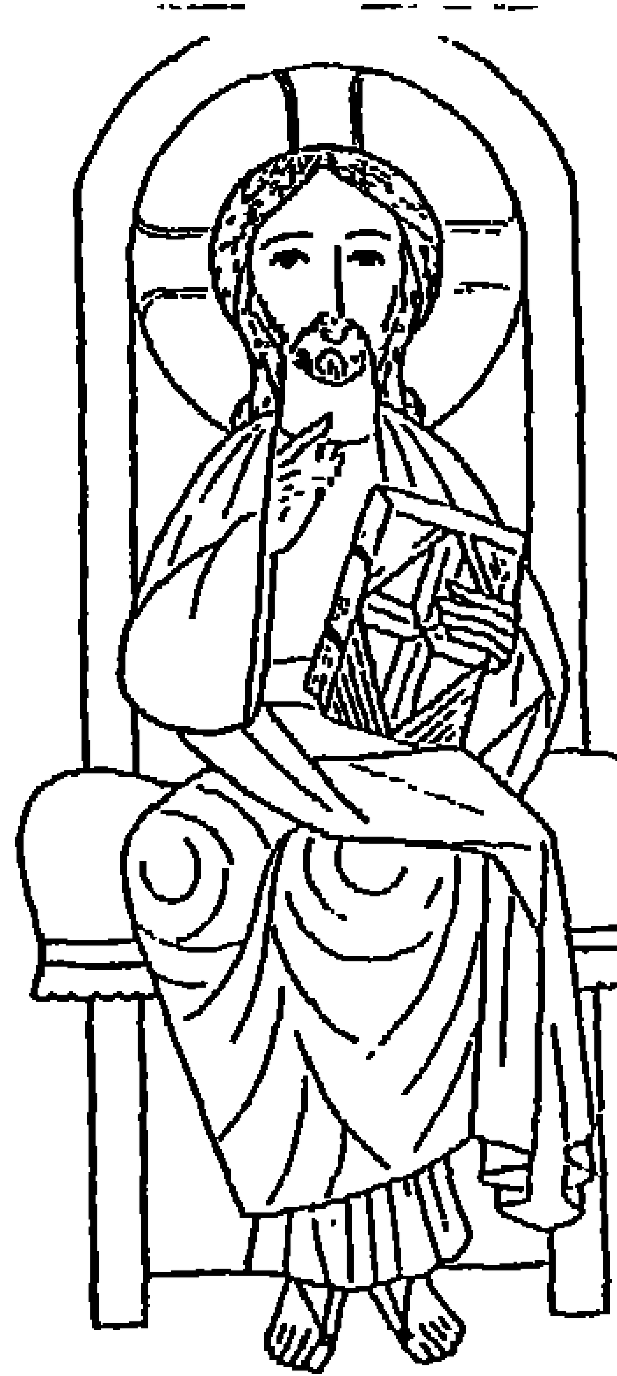
أما الله فإنه لا يتغير مطلقاً . لا يزداد لأنه لا توجد زيادة يصل إليها، إذ هو كامل فى كل شئ. ولا ينقص لأن النقص لا يتفق مع لاهوته . وهو لا يتغير لأنه لا يوجد وضع أفضل مما هو فيه لكى يتغير إليه .

ولعل البعض يسأل : كيف أن الله لا يتغير، بينما فى فترة أراد إهلاك أهل نينوى. ثم عاد فغفر لهم ورحمهم ؟

ونقول إنهم هم الذين تغيروا من الخطية إلى التوبة . حالتهم فى الخطية كانت تقابلها عقوبة الله. وحالتهم فى التوبة كانت تقابلها رحمة الله ومغفرته . وبقيت موازين الله ثابتة كما هى لا تتغير ...

وبعد ، ألعلنا نستطيع أن نتحدث عن كل صفات الله فى مقال واحد ؟!

نكتفى بهذا الآن ، لمجرد أن نعطى فكرة عامة ، فاللغة لا تقوى على إيفاء الموضوع حقه... إنما أردت أن أتحدث عن هذه الصفات باختصار شديد ...





الله الخالق

إن عملية الخلق عجيبة جداً . هى مستوى فوق العقل، نقترب إليه عن طريق الإيمان والوحى . فالخالق غير الصانع . الصانع يصنع أشياء من مادة موجودة . أما الخالق فيخلق من العدم ، ينشئ شيئاً من لا شئ !!

والعجيب فى الله أنه صنع كل شئ ، من لا شئ .

كما أن فى خلقه للكل : ألواناً من القدرة والحكمة والفن والنظام والجمال، والتواضع . فمن تواضع الله ، أنه لم يشأ أن يكون الوجود له وحده. فأوجد كائنات أخرى، منحها الوجود، لتكون معه ...



سبب خلقه للموجودات حالياً ، هو جوده وكرمه ومحبته .

هو لم يكن محتاجاً إلى هذا الكون ، بل الكون هو المحتاج إلى الله . وكما تقول فى القداس الغريغورى "لم تكن أنت محتاجاً إلىّ عبوديتى. بل أنا المحتاج إلى ربوبيتك" .. إن الله لم يخلق الإنسان ليمجده، فقد كان الله – قبل الإنسان – ممجداً من ملائكته . ولم يكن الله محتاجاً إلى الملائكة لتمجيده ولا للطبيعة كلها . فالله ممجد من صفاته ، ممجد من طبيعته التى لا تُحد ولا يدركها عقل ولا فهم .. إذن فقد خلق الكون كرماً منه .



هنا ونسأل : متى خلق الله كل شئ .

فى وقت لا نعرفه .. أطلق عليه الكتاب عبارة "فى البدء" أى فى بدء عمل الخلق . فقيل "فى البدء خلق الله السموات والأرض" (تك١: ١) . خلق السماء وما فيها ، والأرض وما فيها . خلق الروح وخلق المادة . "خلق الملائكة أرواحاً" (مز١٠٤: ٤) . ومن المادة خلق كل الكائنات الجامدة .

والله أيضاً منح بعض مخلوقاته نعمة الحياة .

منح الحياة للنبات والحيوان والإنسان ، ومن قبل ذلك للملائكة . ومن محبته منح

للإنسان روحاً خالدة ، وكذلك الملائكة .. ومنح للحيوان نفساً تنتهى بموته . وجعل درجة الحياة على مستويات تتنوع بين النبات والإنسان والحيوان .

✠ ✠ ✠

الله ذاته خلق كل مستويات الخليقة ، حتى الذى يبدو ضئيلاً منها !!

وهذا دليل أيضاً على تواضع الله . خلق العاقل وغير العاقل . خلق الحى والجماد . خلق الفيل الضخم ، خلق الدودة التى تسعى تحت حجر . خلق الأسد القوى الشجاع ، كما خلق الأرنب الضعيف الخائف . خلق القرد كما خلق الغزال . خلق الجبل العالى والوادى السحيق . خلق الحر والبرد ، النور والظلام . الكل صنعة يديه .. ولعل البعض يسأل :

✠ ✠ ✠

وماذا عن الشيطان ؟ هل يخلق الله شيطاناً ؟

إنه أيضاً من خلق الله . ولكن الله لم يخلقه شيطاناً . لقد خلقه ملاكاً بكل ما تحمل طبيعة الملاك من عظمة وروعة . ولكن هذا الملاك حوّل نفسه إلى شيطان بإرادته التى انحرفت . وقد كان الشيطان من رتبة الكاروبيم . وصفه سفر حزقيال النبى بأنه "الكاروب المنبسط والمظلل" (حز٢٨: ١٤، ١٦) . وقال إنه فى يوم خلقه كان "ملآن حكمة وكامل الجمال" (حز٢٨: ١٢) .

✠ ✠ ✠

ومن العجيب فى قدرة الله فى الخلق ، العدد الهائل لمخلوقاته وتنوعها .

ملايين الملايين من المخلوقات ، تتكرر كل جيل ، وبعضها يتكرر كل سنة أو عدة سنوات، وبعضها لا يُحصى مثل رمل البحر ، ومثل نجوم السماء وما فى السماء من كواكب ومن مجرات .

ونحن نعرف فقط الظاهر من مخلوقات الله ، ولا نعرف الخفى منها .

أو نبذل الجهد لكى نعرف ما خفى منها . فنحن مثلاً لا نعرف ما فى باطن الأرض من أسرار. ولكن نبذل الجهد بحفريات كثيرة لنعرف مكان منابع الماء التى تحت الأرض، ومصادر البترول التى فى جوف الأرض، ولنعرف ما تلفظه البراكين من باطن الأرض. كذلك بالتنقيب يمكن أن نتعرف على ما فى جوف الجبال من ذهب ومعادن وأحجار كريمة وغير ذلك .

أضف إلى ذلك ما فى أعماق البحار . ولذلك كله توجد معاهد لعلوم البحار ، وللجيولوجيا . وبدأت تتكون دراسات أخرى لعلوم الفضاء ، ربما يذهلنا منها مناطق

انعدام الوزن التى يخرج فيها رائد الفضاء من مركبة الفضاء ليسير على قدميه فى الجو!!

وعن كل ذلك نقول إننا **نعرف "بعض المعرفة"** (١كو١٣: ١٢) ، ليس فقط كما قال القديس بولس الرسول عن العالم الآخر ، وإنما حتى عن هذه الأرض التى نعيش فيها ، إنما نعرف بعض المعرفة عنها وعما يحيطها ..

✠ ✠ ✠

والعجيب فى الله الخالق أيضاً أنه خلق العالم وكائناته بنظام عجيب .

يكفى أن ننظر مثلاً إلى الفلك وما فيه من عجب ومن نظام .

من حيث الرابطة التى تربط هذه الأجرام السمائية بقوانين تحفظها قائمة فى مكانها فى الجو، مع علاقات ببعضها البعض تنظم حياتنا نحن أيضاً. فالأرض تدور حول نفسها أمام الشمس دورة كل ٢٤ ساعة ، لا تختل على مدى الدهور الطويلة ، وينتج عنها الليل والنهار . ودوران القمر حول الأرض مرة كل شهر ، ينتج عنها أوجه القمر من هلال وتربيع وبدر وأحدب ومحاق .. كل هذا فى نظام ثابت ، يدل على أن الذى نظّم هذه القوانين الفلكية هو مهندس عظيم ، كان يسميه الفلاسفة القدماء بالمهندس الأعظم ...

إلى جوار هذا ، ما وضعه الله من نظام عجيب للأجواء .

نظام للحر والبرد ، والرياح والأمطار ، وضغط الهواء ، وتوالى الليل والنهار ، والظلمة والنور ، والرطوبة والجفاف .. بدقة عجيبة ، بحيث يمكن أن يستنتج الإنسان ما يمكن أن يحدث بعد حين. خلق الله النور للعمل، والظلمة للراحة.. إنه عالم منظم متسق.

وكالنظام والتناسق فى فلك السماء وأجواء الأرض ، هكذا أيضاً فى جسم الإنسان .

الإنسان الذى يسمونه العالم الصغير Micro Kosmos . فالمتأمل فى تكوين أجهزة الإنسان وعلم وظائف الأعضاء، يرى عجباً يدل على قدرة الخالق: سواء فى المخ وتركيبه وعمله، وما يصدره من أوامر لباقى أعضاء الجسد، وما فيه من مراكز للحركة والبصر والسمع والذاكرة وغير ذلك . بحيث لو تلف شئ من مراكزه، لا توجد قوة تعيده إلى وضعه الأول. كذلك عمل القلب والجهاز الدورى فى الجسم، وما يتعلق بذلك من ضغط الدم، وضخه وتوزيعه. وفصائل هذا الدم التى تتغير من إنسان إلى آخر. وكيف يتركب الدم فى جسم الإنسان، وكيف تتركب الأنسجة ، ودنيا الأعصاب وعملها . وباقى الأجهزة مثل الجهاز الهضمى ، والجهاز التناسلى، وقوانين الوراثة ، كل ذلك عجب فى عجب .

صدقونى حتى مجرد الأسنان ، هذه العظام الصغيرة التى ليست فى حجم العمود الفقرى وباقى عظام الأذرعة والسيقان والأقدام. كل سنة منها عالم عجيب، تربطه أعصاب ودم وتركيب عجيب وعمل متناسق ، لا يمكن إطلاقاً أن تماثله أسنان صناعية .

بل إن عجب الله يظهر عميقاً جداً فى بصمات الإنسان .

كل إنسان خلق الله له فى أصابعه بصمة تدل عليه، وتختلف عن بصمة أى إنسان آخر. وهنا نقف فى ذهول أمام ملايين ومئات وآلاف الملايين من البصمات التى لا تشابه بعضها بعضاً!! أى مهندس أو رسام – مهما كانت براعته – هل يستطيع أن يرسم أشكالاً متنوعة من بصمات أصابع ، مثلما فعل الله فى خلقه العجيب !!

بل نضم إلى هذه بصمات الصوت أيضاً ، بحيث يكلمك إنسان تليفونياً من مئات الأميال، فتميز صوته وتتعرف عليه ..!

هل نستطيع أن نضيف إلى هذا ما خلقه الله من ملامح عديدة .

كل ذلك من رجل واحد وإمرأة واحدة ، توجد ملامح مميزة لملايين من البشر، فى شكل الوجه، وفى العينين والنظرات. أتقول إن هذا يتعلق بقوانين الوراثة؟ إن قوانين الوراثة وضعها الله أيضاً.. ومع ذلك، فإن كل هذا يعتبر سهلاً ، إن قارناه بالعالم الروحى

✠ ✠ ✠

إن عالم الأرواح يدل على خالق عجيب فى قدرته .

نبدأ أولاً بعالم الملائكة الذين قيل عنهم إنهم ملائكة من نور (٢كو١١: ١٤) . أولئك الذين قيل عنهم فى المزمور "الذى خلق ملائكته أرواحاً، وخدامه ناراً تلتهب" (مز١٠٤: ٤) .. الملائكة فى تعدد رتبهم مثل رؤساء الملائكة ، والكاروبيم والسارافيم ، والأرباب والعروش والسلاطين والقوات .. هؤلاء الذين ينتقلون من السماء إلى الأرض فى لمح البصر، والذين يعملون بقوة عجيبة فى الانقاذ وفى العقاب. كالملاك الذى فى قصة دانيال النبى "سد أفواه الأسود" (دا٦: ٢٢) ، والملاك الذى ضرب كل أبكار المصريين أيام موسى النبى (خر١٢) .. الملائكة الذين منحهم الخالق قوة صنع المعجزات .

بل ننزل من مستوى الملائكة إلى عجب الخالق الذى خلق روح الإنسان .

لا تزال روح الإنسان عجباً : فى صلتها بالجسد ، فى علاقتها بالعقل والروح والضمير، وبالحياة والموت . هذه الروح الخالدة العاقلة الناطقة ، ومصيرها بعد الموت ، وعودة الروح مرة أخرى إلى الجسد فى القيامة العامة . ما أكثر ما فكّر علماء الأرواح. وما أجدر أن تتغطى معلوماتهم بعبارة "لا أعرف" .

ولماذا نتكلم عن هذا المستوى العالى للأرواح فى الملائكة والبشر ...

لننزل إلى المخلوقات البسيطة جداً كالحشرات .. كالنحلة والنملة .

هنا نرى عجب الخالق العظيم فى أن يمنح حشرة كالنحلة حكمة التدبير فى نظامها، وحكمة الإنتاج للشهد وغذاء الملكات. كل ذلك من رحيق الأزهار ، تستطيع أن تحوله بدقة عجيبة إلى عسل النحل ، وتحفظه فى خلايا دقيقة ..!

كذلك النملة أيضاً فى نظام حياتها النشيط الذى لا يهدأ ، وفى تعاون أفرادها ، ودقة اتصال بعضهم بالبعض ، وطريقة تخزين غذائهم .

إن عجائب الله فى خليقته لا تُحصى . لا تكفيها كتب عديدة .

✠ ✠ ✠

خلق الله العالم كله بترتيب عجيب .

خلق الإنسان آخر الكل، فى اليوم السادس، بعد أن أعدّ له كل شئ. كما نقول فى القداس الغريغورى "أقمت لى السماء سقفاً، ومهّدت لى الأرض لكى أمشى عليها. من أجلى ألجمت البحر. من أجلى أخضعت طبيعة الحيوان .. لم تدعنى معوزاً شيئاً من أعمال كرامتك".

جعل الطبيعة كلها فى خدمته . أوجد له النور ، والدفء، والطعام والشراب، والأشجار والثمار والأطيار .. ثم خلقه أخيراً . وكذلك الحيوان ، خلق له الله النبات والعشب طعاماً، والماء شراباً، ومكاناً لسكناه، ثم خلقه بعد ذلك ، بحكمة وترتيب .

✠ ✠ ✠

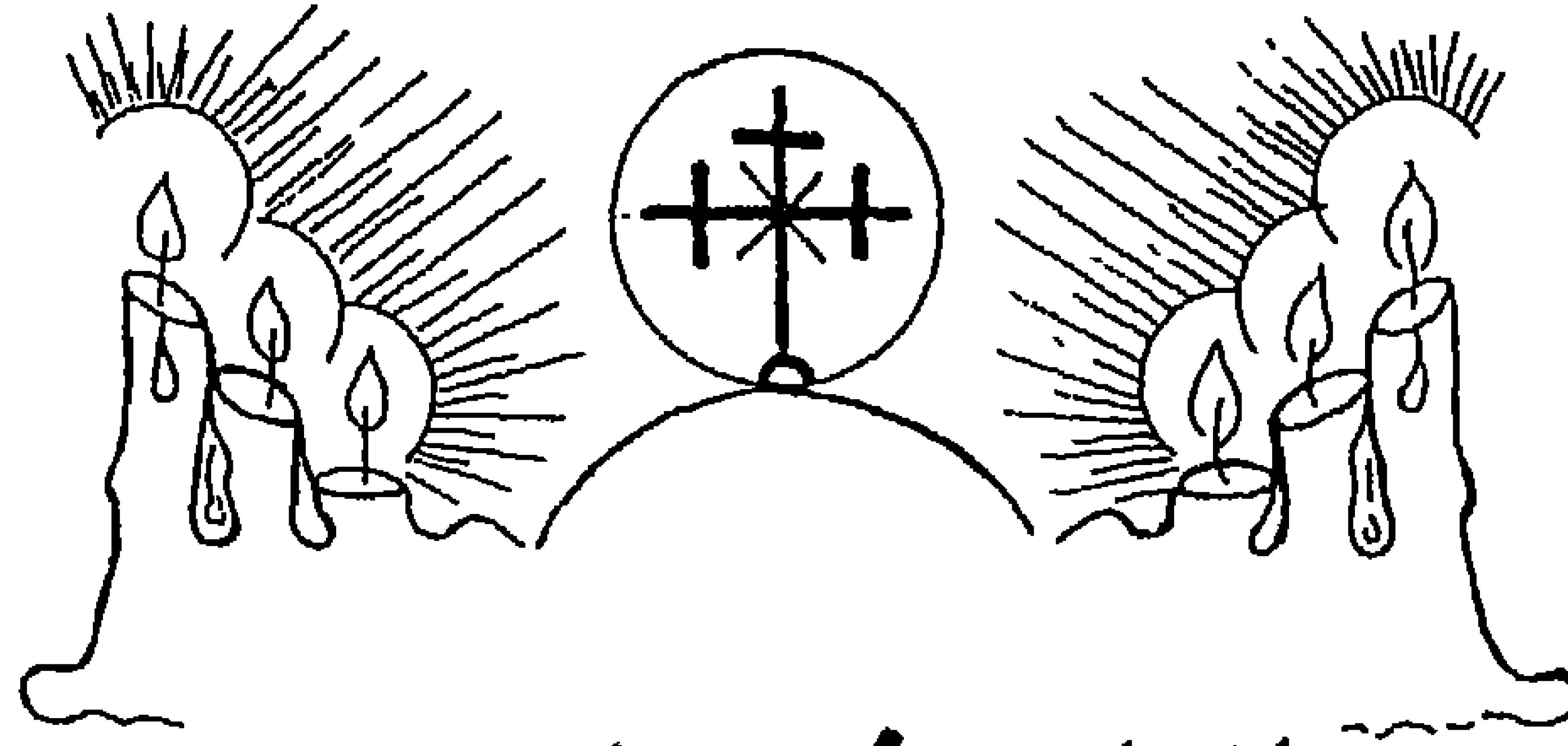
ولعل البعض يسأل عن أيام الخليقة الستة .

هذه التى كتب عنها الكثير من القديسين فيما أسموه هكساميروس أى (الأيام الستة) مثل أكسماروس باسيليوس، وأكسماروس ابيفانيوس، واكسماروس يوحنا ذهبى الفم. وموضوع الأيام الستة الذى كان موضع جدال بين علماء الدين وعلماء الجيولوجيا الذين أعطوا أعماراً للأرض تقدر بملايين السنين !

نقول إن أيام الخليقة ليست أياماً شمسية طول كل منها ٢٤ ساعة !!

أولاً لأن الشمس صنعها الله فى اليوم الرابع . إذن فالأيام الأربعة الأولى ليست أياماً شمسية . كذلك اليوم السابع لم يقل الكتاب إنه قد انتهى . فمازلنا من أيام آدم وحواء نحيا فى اليوم السابع الذى سينتهى بالقيامة العامة ونهاية هذا الدهر .

أيام الخليقة هى فترات زمنية غير محددة . قد يكون اليوم منها لحظة من الزمان، أو ملايين من السنين، اصطلح على بدايتها ونهايتها بعبارة "كان مساء وكان صباح.."



اللـــه غير المحدود

هنـاك صفـات للـه يشـترك فيهـا اللـه والإنسـان. ولكنهـا تكـون عنـد الإنسـان بنسـبة محدودة، ولكنها تكون عند الله بطبيعة غير محدودة .

يمكن أن يوجد إنسان حكيم. ولكن الحكمة عند الله غير محدودة، سواء فى نوعيتها أو مقدارها. كذلك قد يتصف إنسان بـالقوة. ولكـن القـوة عنـد اللـه غيـر محـدودة. كذلـك قـد يتصف إنسان بالعلم أو بالمعرفـة. غيـر أن العلـم عنـد اللـه غيـر محـدود، والمعرفـة غيـر محدودة. وهكذا فى باقى الصفات المشتركة .

نستطيع بعد هذه المقدمة أن نضع هذه القاعدة اللاهوتية .

من صفات الله الخاصة به وحده إنه غير محدود .

وهو غير محدود في المكان والزمان . وغير محدود فـى القـدرة . وغيـر محـدود فـى العلم والمعرفة والحكمة ، وفى القداسة وفى العدل ، وفى العظمة والمجد ، وفى كل شئ .

فـى المكان والـزمان

الله غير محدود من جهة المكان . فهـو موجـود فـى كـل مكـان (Omni Present) لا يحده مكان، ولا يسعه مكان . هو فى الكون كله .

فى السماء وفى الأرض وما بينهما. هو فى الجو، وهو فى أعماق البحر. وكما قال داود النبى "أين أذهب من روحك؟! ومن وجهك أين أهرب ؟! إن صعدت إلى السموات، فـأنت هناك. وإن فرشت فى الهاوية ، فها أنت . وإن أخذت جناحي الصبح، وسكنت فى أقاصى البحر، فهناك أيضاً تهدينى يدك وتمسكنى يمينك .." (مز١٣٩: ٧- ١٠) . وهكذا قيل :

السماء هى كرسى الله ، والأرض هى موطئ قدميه" (مت٥: ٣٤، ٣٥) .

هو موجود فى الفردوس، السماء الثالثة (٢كو١٢: ٢، ٤) (لو٢٣: ٤٣) . وهو موجود أيضاً فى سماء السموات . وحسناً قال عنه سليمان عند تدشين الهيكل : "هوذا السماوات وسماء السموات لا تسعك، فكم بالأقل هذا البيت الذى بنيت!!" (١مل٨: ٢٧) .

✠ ✠ ✠

هو فى كل مكان ، حيث يرى ما يفعل الناس ، ويسمع ما يقولون .

فكل إنسان مضبوط أمامه ، لا يستطيع أن ينكر ، أمام الله ضابط الكل .. قال إيليا النبى فى ذلك "حىّ هو رب الجنود ، الذى أنا واقف أمامه" (١مل١٨: ١٥) . وكما يقف البشر أمام الله على الأرض ، يقف الملائكة أمامه فى السماء .

✠ ✠ ✠

الله فى كل مكان ، ولا يؤثر عليه مكان .

هو حيث يسبحه القديسون بطهارة قلوبهم . وهو حيث يوجد الأشرار فى أماكن شرهم، يسجل عليهم شرورهم ، أو يوبخهم عليها ويعمل على هدايتهم . وكما يقول عن بعض هؤلاء "أنا واقف على الباب أقرع.." (رؤ٣: ٢٠) ...

إن أشعة الشمس تدخل الأماكن القذرة ، تطهرها وتقتل جراثيمها، ولا تؤثر عليها قذارتها.. هكذا الله يدخل إلى كل مكان، يؤثر فيه ولا يتأثر ...

✠ ✠ ✠

ولأنه فى كل مكان، لا نقول عنه إنه يصعد أو يهبط، ولا نقول إنه يمشى أو يتحرك.

فإن صعد ، إلى أين يصعد؟! وهو موجود من قبل فى المكان الذى يصعد إليه! وإن قلنا إنه ينزل إلى مكان ما، فهو بلا شك موجود من قبل فى كل مكان يقال إنه ينزل إليه. وهو لا يمشى ولا يتحرك ، لأنه فى كل مكان : لا يفارق موضعاً إلى موضع آخر . إنه مالئ الكل .

وإن وجدت آيات فى الكتاب المقدس تحمل مثل هذه التعابير ، فإنما لكى تقرب المعنى إلى عقولنا البشرية ، أو تعنى ظهوره فى الموضع الذى يُقال إنه نزل إليه، أو ظهر فيه، أو عمل فيه عملاً ...

فهو لا يأتى إلى مكان ، ولا يفارق مكاناً ، ولا ينتقل من مكان إلى مكان . لأنه موجود كل مكان، فى كل وقت. وهو لا يأتى إلى مكان لأنه موجود فى المكان الذى يُقال إنه يأتى إليه . إنما يظهر فيه ، أو يعلن وجوده فيه ، فنقول إنه أتى إليه .

عندما سلّم لوحى الشريعة لموسى على الجبل ، كان فى نفس الوقت فى السماء وفى

كل الأرض . وهكذا حينما كلّم أبانا ابراهيم ودعاه . ويسرى هذا المنطق على كل لقاءات الله مع البشر ، منذ أبينا آدم وعبر الأجيال جميعاً .. إنه غير محدود من جهة المكان .

✠ ✠ ✠

كذلك الله غير محدود من جهة الزمان .

إنه أزلى ، أى لا بداية له . والأزلية هى من صفات الله وحده، لا يشاركه فيها أحد . لأن كل الكائنات الأخرى هى مخلوقات . والمخلوق له بداية . يبدأ وجوده منذ أن خلقه الله، وقبل ذلك لم يكن . أما الله فهو الوحيد الأزلى . وقد قال عن نفسه فى سفر أشعياء النبى "قبلى لم يصوّر إله. وبعدى لا يكون .." (أش٤٣: ١٠) .

ولأن الله أزلى ، فهو واجب الوجود ، أو هو موجود بالضرورة .

وجوده ضرورة تفسر وجود باقى الكائنات . لأنها مادامت قد وجدت فى وقت ما، فلابد أن هناك بالضرورة من أوجدها ، وهو الله . ولا يوجد كائن آخر غيره موجود بالضرورة . لأن كل كائن مخلوق ، مادام لم يكن موجوداً قبل خلقه ، إذن وجوده ليس ضرورياً .

✠ ✠ ✠

والله كما أنه أزلى ، كذلك هو أبدى .

هو غير محدود من جهة الزمن ، بلا بداية ، ولا نهاية ، ولذلك يوصف أيضاً بأنه سرمدى. إنه لا يدخل فى نطاق الزمان ومقاييسه .. لأنه فوق الزمن، أو هو خالق الزمن.

وما يُقال عن الله فى أزليته وأبديته ، يقال أيضاً عن عقله وروحه .. فروح الله فى كل مكان، وروحه قبل كل الأكوان . وهكذا أيضاً عقل الله ، الذى "كل شئ به كان، وبغيره لم يكن شئ مما كان" (يو١: ٣) .

وكما أن الله غير محدود من جهة المكان والزمان، كذلك هو غير محدود فى القدرة.

فى القدرة

وعن هذه الصفة نقول إن الله قادر على كل شئ ، أو أنه كلى القدرة Almighty. وقد عبّر أيوب النبى عن هذه الصفة الإلهية بقوله للرب "قد علمت أنك تستطيع كل شئ ، ولا يعسر عليك أمر" (أى٤٢: ٢) .

الله هو الوحيد القادر على كل شئ . وكل شئ مستطاع عند الله (مت١٩: ٢٦) .

"غير المستطاع عند الناس هو مستطاع عند الله" (لو١٨: ٢٧) .

ومن هنا نؤمن بالمعجزات . والكتاب المقدس حافل بمعجزات الله . وقد سميت المعجزة هكذا ، لأن عقلنا البشرى يعجز عن تفسيرها . إنها ليست شيئاً ضد العقل، إنما هى فوق مستوى العقل . تدخل فى قدرة الله غير المحدودة .

فمن قدرات الله غير المحدودة : قدرته على الخلق .

وقدرة الله فى الخلق ، شملت أنواعاً عجيبة ، فقد خلق الملائكة أرواحاً (مز١٠٤: ٤). وخلق الجماد مادة . وخلق الإنسان من مادة وروح . وخلق باقى الكائنات الحية كالنبات والحيوان بأنواع يصعب إحصاؤها ، ترتفع من الحشرة إلى الأسد والفيل ، وتتنوع فى ما يعيش على الأرض ، أو فى البحر ، أو فى الجو .

✠ ✠ ✠

ومن قدرات الله غير المحدودة ، قدرته على إقامة الموتى .

ليس فقط فى إقامة أشخاص معينين ، مثل إقامة لعازر وله أربعة أيام فى القبر (يو١١: ٣٩) ، بل بالأكثر القيامة العامة فى آخر الزمان .. إقامة كل البشر منذ أبوينا آدم وحواء.. كل الذين تحولوا إلى تراب ، والذين أكلهم الحيوان أو أحرقتهم النيران، أو أكلهم الدود، والذين تحللت أجسادهم وامتصتها الأرض .. كيف يقومون جميعاً ، ويقفون أمام الله فى يوم الحساب بأرواحهم وأجسادهم .. إنها قدرة غير محدودة يقف أمامهما العقل البشرى مبهوتاً ومذهولاً ..

✠ ✠ ✠

الله ليس فقط قادراً على كل شئ ، بل أيضاً هو مصدر كل قوة .

هو الذى يهب القدرة للملائكة الذين وصفهم المزمور بعبارة "المقتدرين قوة" (مز١٠٣: ٢٠). الذين يستطيعون أن ينتقلوا من السماء إلى الأرض فى لمح البصر لكى ينفذوا أمراً لله . سواء فى عمل الرحمة ، مثلما قال دانيال بعد أن ألقوه فى جب الأسود، "إلهى أرسل ملاكه فسد أفواه الأسود" (دا٦: ٢٢) .. أو فى العقوبة مثل الملاكين اللذين ضربا بالعمى أهل سادوم الذين أحاطوا بباب لوط (تك١٩: ١١) .

✠ ✠ ✠

والله هو الذى وهب قديسيه قوة لصنع المعجزات .

كالقوة التى منحها لموسى بعصاه ، أن يشق بها البحر الأحمر (خر١٤: ١٦) . وأن

يضرب الصخرة فيخرج منها الماء ليشرب الشعب (خر١٧: ٦) .

وكالقوة التى أقام بها إيليا ابن أرملة صرفة صيدا من الموت (١مل١٧: ٢٢) . والتى بها أقام اليشع من الموت ابن المرأة الشونمية (٢مل٤: ٣٦) .

إنها معجزات ليست بقوتهم الشخصية ، إنما بقدرة الله ، وكانت تسبقها صلاة أو وعود من الله. وهكذا مع كل معجزات القديسين على مر الأجيال . وتعبيراً عن ذلك قال القديس بطرس الرسول لليهود بعد شفاء الرجل الأعرج على باب الجميل "ما بالكم تتعجبون من هذا؟ ولماذا تشخصون إلينا كأننا بقوتنا أو تقوانا قد جعلنا هذا يمشى!! إن إله ابراهيم واسحق ويعقوب.." (أع٣: ١٢- ١٦) ... وهكذا نسب قوة المعجزة إلى الرب ...

✠ ✠ ✠

أيضاً الله القادر على كل شئ ، هو الذى وهب العقل البشرى قدرات عجيبة .

(أنظر باب الله القوى ، كلى القدرة) .

✠ ✠ ✠

والله الذى يهب القدرة ، هو قادر أيضاً أن يسحبها متى شاء .

هو الذى وهب شمشون الجبار قوة جسدية فائقة للوصف . وعندما كسر شمشون نذره، بعد أن باح به لدليلة ، سحب منه الله تلك القوة ، فأذله أعداؤه (قض١٦) . وقيل فى هذا الإذلال عن شمشون "انتفض حسب كل مرة ، ولم يعلم أن الله قد فارقه" .

الله أعطى القوة للنار أن تحرق . ولكنه فى قصة الثلاثة فتية القديسين، الذين ألقاهم الفرس فى النار، لم يسمح الله للنار أن تؤذيهم "لم تكن للنار قوة على أجسامهم، وشعرة من رؤوسهم لم تحترق.." (دا٦١: ٢٧) .

الله أعطى قوة جبارة للبحر ، تستطيع ثورة أمواجه أن تغرق أعظم السفن .. ومع ذلك يقول المرتل فى المزمور ممجداً قوة الله "أيها الرب إله الجنود، من مثلك قوى؟! .. أنت متسلط على كبرياء البحر .. عند ارتفاع لججه، أنت تسكتها" (مز٨٩: ٨، ٩) .

نضع إلى جوار هذا معجزة انتهار الرب للبحر، إذ "قام وانتهر الريح . وقال للبحر: اسكت، ابكم. فكسنت الريح، وصار هدوء عظيم.." (مر٤: ٣٩) .

وتشبه ذلك أيضاً معجزة المشى على الماء (مت١٤: ٢٥- ٣٢) .

✠ ✠ ✠

ولعل البعض من جهة قدرة الله غير المحدودة ، يسألون من جهة قوة الشيطان !

الشيطان ليس إلهاً للشر . بل هو من خلق الله .. الله خلقه ملاكاً بكل قدرات الملاك، وهو حوّل نفسه إلى شيطان . ففقد قداسته ، وبقيت له القوة التى منحها الله للملائكة . ومع ذلك فهو تحت قدرة الله .

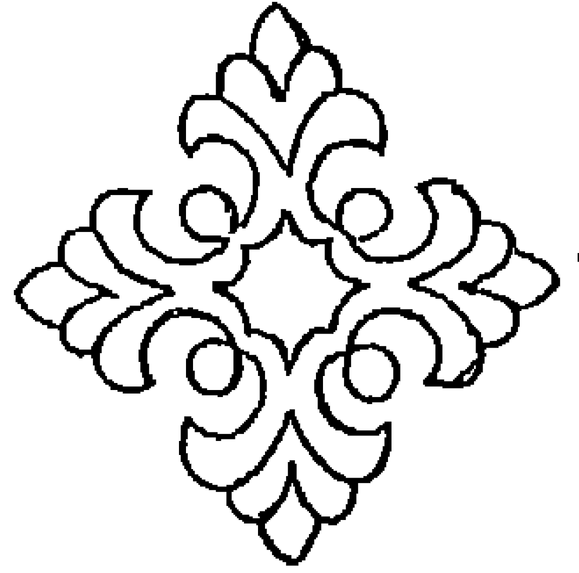
فى قصة أيوب الصديق . كان يسمح له فى حدود معينة (أى١: ١٢) (أى٢: ٦) . سمح له الله أولاً أن يمد يده إلى كل ما لأيوب ، ولكن ليس إلى شخصه . ولم يستطع الشيطان أن يتجاوز هذه الحدود . وفى المرة الثانية سمح له أن يمس جسده ، ولكن لا يمس نفسه. وكان كذلك . وكانت قدرة الشيطان محدودة بقدرة الله . وقد سمح الله للشيطان أن يجرب أيوب ، ليقدم أيوب مثالاً فى الصبر (يع٥: ١٠، ١١) . وأيضاً لكى يكافئه على صبره (أى٤٢: ١٢- ١٦) .

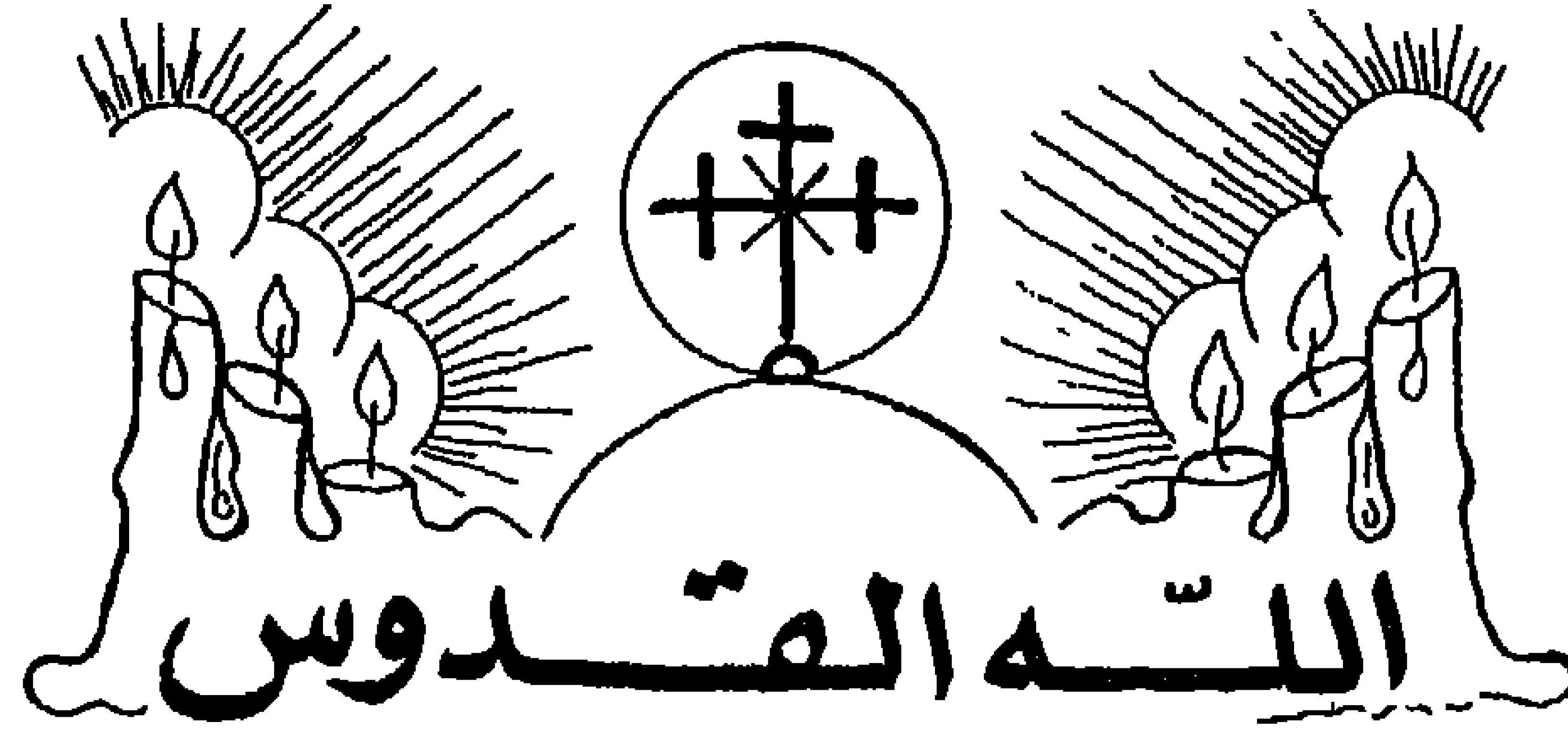
وفى التجربة على الجبل ، لما قال له الرب أخيراً "اذهب يا شيطان" (مت٤: ١٠) ، ذهب ولم يستطع أن يخالف .

ولا ننسى المعجزات الكثيرة الخاصة باخراج الشياطين . ونذكر من بينها قصة لجيئون، إذ كانوا فرقة بالآلاف من الشياطين . وقد اخرجوا . ولم يستطيعوا أن يدخلوا الخنازير إلا بسماح منه، إذ قالوا: ائذن لنا أن ندخل فيها، فأذن لهم (لو٨: ٣٢) . وفى بعض الأوقات كان الشياطين يصرخون خائفين أن يهلكهم (مر١: ٢٤) . وكان الناس يندهشون قائلين : إنه بسلطان وقوة يأمر الأرواح النجسة فتخرج (لو٤: ٣٦) .

على أن مصير الشيطان واضح أنه فى يد الله الكلى القدرة الذى سيهلكه .

لقد قيده الله ألف سنة (رؤ٢٠: ٢) . وهذا دليل على قدرة الله . وأخيراً سوف يلقيه فى بحيرة النار والكبريت هو وأنصاره ، وسيعذبون نهاراً وليلاً إلى أبد الآبدين" (رؤ٢٠: ١٠).. بل كل الأشرار أيضاً سوف يلقون فى "النار الأبدية المعدة لإبليس وملائكته" (مت٢٥: ٤١) .





إن الله هو وحده القدوس .

هكذا سبحته طغمة السارافيم من الملائكة قائلين "قدوس قدوس رب الجنود.." (أش٦: ٣). وفى سفر الرؤيا نرى أن الغالبين ينشدون له قائلين "من لا يخافك يارب ويمجد إسمك، لأنك أنت وحدك قدوس" (رؤ١٥: ٤). كذلك فإن القديسة العذراء مريم فى تسبحتها الجميلة قالت "..لأن القدير صنع بى عجائب، وإسمه قدوس" (لو١: ٤٩) .

نعم ، إن اسم الله قدوس ، كما قالت العذراء .



وهكذا فإن الوصية الثالثة من الوصايا العشر تأمر : "لا تنطق باسم الرب إلهك باطلاً، لأن الرب لا يبرئ من ينطق باسمه باطلاً" (خر٢٠: ٧). إن اسم الرب لا يُنطق به إلا بكل تقديس . وأول طلبة لنا فى الصلاة الربية هى "ليتقدس اسمك" ..

ومن أجل ذلك منعنا الرب من الحلفان باسم الله وبكل ما ينتسب إليه. فقال "لا تحلفوا البتة. لا بالسماء لأنها كرسى الله، ولا بالأرض لأنها موطئ قدميه، ولا بأورشليم لأنها مدينة الملك العظيم" (مت٥: ٣٤، ٣٥). بل نستخدم اسم الله فى العبادة بكل خشوع يليق بقداسته..



الله قدوس ، وروحه هو الروح القدس .

والابن قدوس ، كما قال الملاك المبشر للعذراء "القدوس المولود منك يدعى ابن الله" (لو١: ٣٥). ومادامت القداسة صفة لكل الأقانيم الثلاثة، لذلك نقول "الثالوث القدوس" ونصلى فى التسبحة قائلين "يا أيها الثالوث القدوس إرحمنا" "أجيا ترياس، أليسون إيماس".



ونحن نتغنى بقداسة الله كل يوم فى صلواتنا .

فى الصلاة الربية ، وفى السبع صلوات اليومية . فباستمرار نقول الثلاثة تقديسات

"قدوس الله، قدوس القوى، قدوس الحى الذى لا يموت" "قدوس قدوس قدوس رب الصباؤوت، السماء والأرض مملوءتان من مجدك الأقدس" . ونذكر هذه التقديسات أيضاً فى كل الصلوات الطقسية .

ونقول لحن أجيوس الكبير فى يوم الجمعة الكبيرة، وفى رسامة الرهبان، ونقول لحن أجيوس فى كل جناز، وفى كثير من المناسبات. ويندمج مع كثير من الألحان مثل لحن أومونوجينيس ... ويبدأ الكاهن صلوات القداس الإلهى بصلاة الاستعداد، التى يقول فى أولها "أيها الرب العارف قلب كل أحد، القدوس المستريح فى قديسيه، الذى بلا خطية وحده، القادر على مغفرة الخطايا. أنت يارب تعلم أنى غير مستعد ولا مستحق ولا مستوجب لهذه الخدمة المقدسة التى لك" ..



إن قداسة الله قداسة ذاتية . هى فى طبيعته منذ الأزل .

وهى أيضاً قداسة دائمة أبدية ، لا تتغير . وهى أيضاً قداسة مطلقة . أما البشر ، فإن وُصف بعضهم بالقداسة، يكون ذلك بجهاد ، وبعمل روح الله القدوس فيهم، وبقدر معين، وما عند البشر من قداسة يمكن أن يتغير وأن ينقص. وقد فقدوا فعلاً القداسة التى خُلقوا بها، حينما خلقهم الله على صورته ومثاله، كشبهه" (تك١: ٢٦، ٢٧). بل قيل عنهم "الكل قد زاغوا معاً وفسدوا. ليس من يعمل صلاحاً ، ليس ولا واحد" (مز ١٤: ٣) .. وبقى الله هو القدوس وحده .



ما هى إذن القداسة التى لله؟ ماذا تعنى ؟

تعنى الطهارة الكلية والبر الكلى . تعنى المعنى الكامل والمطلق لكل الفضائل والمعانى الحسنة . تعنى الحق والصلاح . وهنا نقول إنه هو وحده الصالح "لأنه ليس أحد صالحاً إلا واحد وهو الله" (مت١٩: ١٧) . وهو كلى الصلاح ، وكل أعماله صالحة، تستوجب منا الشكر والعرفان بالجميل، والتسليم الكامل لمشيئته الصالحة، بكل إطمئنان .

وقداسة الله لا تقبل الخطية ولا ترضاها لأنها ضد طبيعته . وإن كان البشر – وهم خطاة – يشمئزون من الخطية والنجاسة، فكم بالحرى الله الذى هو نور، لا تتفق طبيعته مع الظلمة !

عجيب أننا فى تذكرنا لمحبة الله، ننسى قداسته وصلاحه . وننسى أننا بالخطية ننفصل عن الله .

لأن الله نور (١يو١: ٥) ، بل هو النور الحقيقى (يو١: ٩)، بينما الخطية ظلمة (١بط٢: ٩). فالذى يعيش فى ظلمة الخطية، يكون قد ابتعد عن نور الله القدوس . والكتاب يقول فى ذلك "أية شركة للنور مع الظلمة؟! وأى اتفاق للمسيح مع بليعال؟!" (٢كو١٤: ١٥).

✠ ✠ ✠

الله قدوس . وكل ما يحيط به وما ينسب إليه، هو مقدس أيضاً .

سماؤه سماء مقدسة . والملائكة الذين يخدمونه فى السماء هم الملائكة القديسون. كذلك الكهنوت الذى يخدمه على الأرض هو كهنوت مقدس، يقول عنه المزمور "كهنتك يلبسون البر، وأبرارك يبتهجون" (مز١٣٢: ٩) . لذلك نرى أن الله قد أمر موسى النبى أن يمسح هرون أخاه بالمسحة المقدسة ، لكى يكهن له هو وبنوه . وقال "وتقدم هرون وبنيه إلى باب خيمة الاجتماع، وتغسلهم بماء، وتلبس هرون الثياب المقدسة، وتمسحه وتقدسه ليكهن لى.." (خر٤٠: ١٢- ١٤) . وهكذا فعل موسى "صبّ من دهن المسحة على رأس هرون، ومسحه لتقديسه" (لا٨: ١٢) وفعل بالمثل مع بنى هرون، مسحهم كما مسح أباهم.

✠ ✠ ✠

والأسرار التى يعمل فيها روح الله القدوس، تسمى الأسرار المقدسة .

فنقول سر المعمودية المقدس، وسر الميرون المقدس.. وسر الافخارستيا المقدس، نقيمه على المذبح المقدس، بصلوات القداس الإلهى الذى نسميه للمتناولين "قداس القديسين" ومن جهة الاستحقاق للتناول نقول "القدسات للقديسين" . كل هذا يجعلنا نسلك بكل قداسة ، لكى نستحق أن نتناول من الجسد المقدس والدم الكريم ...

لهذا لا نقدم الأسرار المقدسة إلا على مذبح تم تدشينه أى تقديسه بزيت المسحة المقدسة، بحلول روح الله القدوس لتقديس المذبح بيد الكهنوت المقدس ، فإن لم يوجد مذبح، يستعاض عنه بلوح مقدس، يكون قد تم تدشينه وتقديسه بمسحة الميرون المقدس .

✠ ✠ ✠

ولأن الله قدوس ، فكل مكان يحل فيه ، يصير موضعاً مقدساً .

عندما ظهر لموسى النبى فى العليقة المشتعلة بالنار ، قال له "إخلع حذاءك من رجليك، لأن الموضع الذى أنت واقف عليه أرض مقدسة" (خر٣: ٥) . ولما ظهر ليعقوب أبى الآباء فى أعلى السلّم الواصل إلى السماء، قال أبونا يعقوب "ما أرهب هذا المكان. ما هذا إلا بيت الله، وهذا باب السماء. وقدّس الموضع (تك٢٨: ١٧، ١٨) .

لذلك ننظر إلى بيت الله بكل تقديس . ونقول للرب كما قال المرتل فى المزمور "ببيتك تليق القداسة يارب" (مز٩٣: ٥) . وحينما ندخل إلى بيت الله، نقول مع داود النبى "أما أنا فبكثرة رحمتك أدخل إلى بيتك، وأسجد قدام هيكل قدسك بمخافتك" (مز٥: ٧) .

مواضع الله كلها مواضع مقدسة . نقول "اساساته فى الجبال المقدسة" (مز٨٧: ١) . ونقول عن مدينة الله أورشليم المدينة المقدسة (مت٤: ٥) (رؤ٢١: ١) . وخيمة الإجتماع كانت مقدسة، دشنها موسى النبى، وفيها القدس وقدس الأقداس . وكل ما فيها تقدس .

فالأوانى التى نخدم بها الرب تسمى الأوانى المقدسة، وثياب الخدمة الكهنوتية تسمى ثياباً مقدسة، كما قال الرب لموسى "اصنع ثياباً مقدسة لهرون أخيك للمجد والبهاء" (مز٢٨: ٢) .

حتى جسد الإنسان كهيكل لله ، يحل فيه روح الله، هو جسد قد تقدس "لأن هيكل الله مقدس هو" (١كو٣: ١٧) .



وهكذا دُعى المؤمنون قديسين وشعباً مقدساً .

يقول الكتاب "يقيمك الرب لنفسه شعباً مقدساً" (تث٢٨: ٩). ويسميه بطرس الرسول "أمة مقدسة" (١بط٢: ٩). والمؤمنون دعوا قديسين فى رسائل القديس بولس . كما يقول فى رسالته إلى فيلبى "سلّموا على كل قديس فى المسيح يسوع.. يسلّم عليكم جميع القديسين، ولاسيما الذين فى بيت قيصر" (فى٤: ٢١، ٢٢) . ويقول فى رسالته إلى العبرانيين "من ثم أيها الأخوة القديسون، شركاء الدعوة السماوية.." (عب٣: ١). ويبدأ كثيراً من رسائله بعبارة "..إلى القديسين الذين فى .." .

هم قديسون لأنهم أبناء الله القدوس .

ولدوا من روحه القدوس فى ماء المعمودية (يو٣: ٥) (تى٣: ٥) . وهم قديسون لأنه أحبهم وغسلهم من خطاياهم بدمه (رؤ١: ٥). وهم قديسون لأنهم أعضاء جسده (أف٥: ٣٠) (١كو٦: ١٥). وهم قديسون إذ مسحوا بالمسحة المقدسة ، وسكنهم الروح القدس (١كو٣: ١٦) (١يو٢: ٢٠). وهكذا كل الذين يسكنهم الله القدوس يصيرون قديسين .



ولكن القداسة ليست مجرد لقب، إنما هى حياة .

وهكذا قال القديس بطرس الرسول "نظير القدوس الذى دعاكم، كونوا أنتم أيضاً

قديسين فى كل سيرة . لأنه مكتوب : كونوا قديسين، لأنى أنا قدوس" (١بط١: ١٥، ١٦). كما قال القديس بولس الرسول "هذه هى إرادة الله قداستكم" (١تس٤: ٣) . وقال "مكملين القداسة فى خوف" (٢كو٧: ١) "..لكى نشترك فى قداسته" (عب١٢: ١٠) .. إنها القداسة التى بدونها لا يعاين أحد الرب .

وفى حياة القداسة نطيع وصايا الله المقدسة .

لأن الله قدوس، فكل كلمة منه مقدسة . وكتابه نسميه الكتاب المقدس ، كما قال القديس بولس لتلميذه تيموثاوس "وأنت منذ الطفولية تعرف الكتب المقدسة القادرة أن تحكمك للخلاص.." (٢تى٣: ١٥) .

وكما نحرص على العمل بكتب الله المقدسة ، نحرص على تقديس يومه، لأن الكتاب أمر قائلاً "اذكر يوم السبت لتقدسه" (خر٢٠: ٨) . إنه يوم الرب القدوس ، فيجب أن يكون يوماً مقدساً للرب. وهكذا أيضاً كل مواسم الرب وأعياده ومحافله (لا٢٣) .

فالأصوام أيام مقدسة مخصصة للرب . نسمى الصوم بالصوم المقدس، لأننا لأجل الله القدوس نصوم. ونسمى أسبوع الآلام الأسبوع المقدس، والبضخة المقدسة، لأننا نذكر آلام الرب القدوس .

وكل ما نفعله لأجل الله القدوس يكون مقدساً له وبه .

النذور والبكور ، كلها مقدسة للرب . وعهودنا معه وعهده معنا، كلها مقدسة. والكتب التى نستخدمها فى عبادة الله القدوس، يكون لها صفة القداسة أيضاً . فنقول مثلاً كتاب الخولاجى المقدس، وكتاب الأبصلمودية المقدسة. والأيقونات التى نتذكر بها قديسيه هى أيقونات مقدسة، تدشنها الكنيسة المقدسة ...

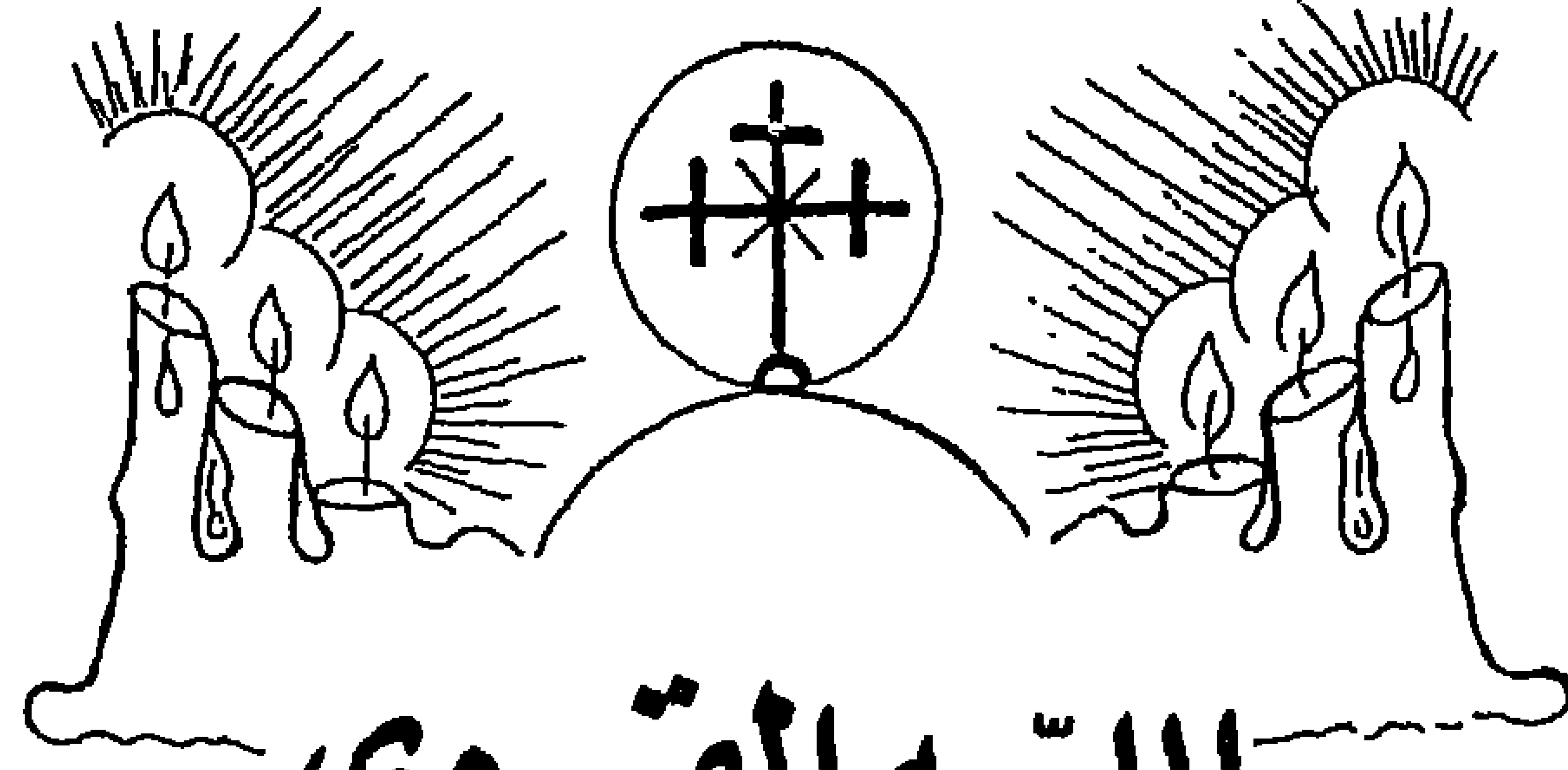


إن عشنا مع الله القدوس ، فلنعش حياة مقدسة .

حياة مقدسة بعمله فينا ، ومقدسة بحبنا له ...ذلك لأن الذين يعيشون بالقداسة فى هذا العالم، هم الذين سيعيشون مع الله فى الأبدية .

فالحياة الأبدية سوف لا يكون فيها سوى الله القدوس ومعه القديسون من الملائكة ومن البشر القديسين .





الله القوى القادر على كل شئ

Almighty

قوة الله نتغنى بها فى كل ساعة فى تسبحة الثلاثة تقديسات ، فنقول :

قدوس الله ، قدوس القوى .

وقوة الله قوة عجيبة، تشمل كل شئ. وهى أولاً **قوة ذاتية**، أى أن الله قوته فى ذاته، ليست من أى مصدر خارجى، مثل قوى البشر أو قوة الملائكة. فكل هؤلاء مصدر قوتهم من الله خالقهم .

إن قلنا إن العقل البشرى له قوة عجيبة استطاعت أن تصل إلى الفضاء ، وأن تقوم باختراعات مذهلة، نقول إلى جوار ذلك إن هذا العقل هو هبة من الله للبشر، والله هو الذى أعطاه هذه القوة. ونفس الوضع نقوله عن الملائكة . أما الله فقوته من ذاته .

كذلك يمكن لأى كائن أن يفقد قوته ، أو أن تقل هذه القوة التى له ، أو ينافسه أحد فى قوته ويعطل مفعولها ولو إلى حين. أما الله فقوته ثابتة ، بلا منافس ، ولا تتغير .

صفة أخرى تميز قوة الله عن أية قوة أخرى ، وهى :

✠ ✠ ✠

إن الله وحده هو القادر على كل شئ .

قد يوجد مخلوق قادر فى ناحية من النواحى ، ولكن لا يوجد مخلوق قادر على كل شئ. فهذه الصفة هى لله وحده (تك٤٨: ٣) . هو الذى قال عن نفسه "أنا هو الألف والياء، البداية والنهاية، يقول الرب الكائن والذى كان والذى يأتى، القادر على كل شئ" (رؤ١: ٨) . وقد وردت هذه الصفة فى مواضع كثيرة فى سفر الرؤيا مثل (رؤ١٦: ٧،

١٤) (رؤ٢١: ٢٢) .

الملائكة قيل عنهم "المقتدرين قـوة" (مز١٠٣: ٢٠)، ولكنهم ليسوا قـادرين علـى كـل شئ. والإنسان قد يكون مقتدراً فى بعض المجالات، ولكنه بلا شـك ليس قـادراً علـى كـل شئ. كذلك الطبيعة: قد يكون الزلزال قادراً على أن يهدم بعض المبانى، ولكنه ليس قـادراً على كل شئ.. وقس على ذلك باقى المخلوقات. أما الله فكل شئ فـى مجـال قدرتـه. وقد قال عنه أيوب الصديق "علمت أنك تستطيع كل شئ، ولا يعسر عليك أمر" (أى٤٢: ٢) .

✠ ✠ ✠

على أنه من الأمور الطريفة فى هذا المجـال، أن أحـد مدرسـى التربيـة الكنسـية كـان يشرح هذه النقطة . فاعترضه أحد التلاميذ قائلاً :

هناك شئ لا يقدر عليه الله، وهو الخطية! لأنها ضد قداسة الله !!

ونجيب على ذلك أن الخطية ليست قدرة بل ضعفاً . فـالمتكبر مثـلاً ليس قـادراً علـى التواضع، والظالم ليس قادراً على العدل، والزانى ليس قادراً على العفة .

فلا نقول مثلاً إن العادل غير قادر على الظلم، لأن الظلم صفة سـلبية، إنمـا نقـول إنـه قادر على العدل . كذلك الله القدوس نقول إنه قادر علـى الـبر بطريقـة مطلقـة ، ولا نقـول إنه غير قادر على الخطأ . لأن الخطأ ضعف وليس قدرة .

✠ ✠ ✠

نقطة أخرى فى قوة الله وقدرته وهى : **إن الله بلا منافس فى قوته وقدرته .**

بعض الشعوب البدائية كانت تؤمن بوجود إلهين: إلـه للخـير، وإلـه للشـر. ولكـن ذلـك الإيمان ضد قوة الله .. ونحن لا نؤمن إطلاقاً بأن الشيطان منافس لله، أو أنـه إلـه للشـر. فهو من خليقة الله. ولكن الله لم يخلقه شيطاناً، بل خلقه ملاكاً. ولكنه بحريـة إرادتـه التـى انحرفت تحول إلى شيطان مقاوم لإرادة الله . كما يوجد بشـر أيضـاً يقـاومون إرادة اللـه. والله صابر على كل هؤلاء . ومع ذلك :

✠ ✠ ✠

١ - فإن الله سيلقى الشيطان فى البحيرة المتقدة بالنار والكبريت (رؤ٢٠: ١٠) .

كما أنه سيبيد بنفخة فمه - فى الأيام الأخـيرة - ذلـك المقـاوم والمرتفـع علـى كـل مـا يدعى إلهاً (٢تس٢: ٤، ٨) . وكذلك سيجازى كل مقاوميه، ويقـول لهـم فـى يـوم الدينونـة "اذهبوا عنى يا ملاعين إلى النـار المعـدة لإبليس وملائكتـه" "فيمضـى هـؤلاء إلـى عـذاب أبدى" (مت٢٥: ٤١، ٤٦) .

٢ – على الأرض أيضاً ، يتدخل الله متى شاء ليوقف الشيطان ولا يسمح له ...

وهذا واضح أيضاً فى تجربة أيوب الصديق . فإن الله لم يسمح للشيطان أولاً أن يجرب أيوب الصديق إلا فى ممتلكاته وأولاده . ثم سمح له بعد ذلك أن يجربه فى صحته، ولكن لا يمد يده إلى نفسه (أى١: ١٢) (أى٢: ٦) .

وفى التجربة على الجبل سمح له فى حدود . ولكن حينما قال له "اذهب يا شيطان" (مت٤: ١١) ، ذهب ولم يجرؤ أن يفعل أكثر .

كذلك لا ننسى معجزات اخراج الشياطين التى قام بها الرب وتلاميذه .

وهذا يدل على ضعف الشياطين أمام الرب .. وكم قالوا له وهم يصرخون "مالنا ولك يا يسوع الناصرى، أتيت لتهلكنا" (لو٤: ٣٤) (مر١: ٢٤) . وفى معجزة لجيئون ، لما أخرج الشيطان ؛ طلبوا منه أن يأذن لهم فى أن يدخلوا فى الخنازير، فأذن لهم" (لو٨: ٢٢). إذن الشياطين ليسوا قوة منافسه لله ...

✠ ✠ ✠

من مظاهر قوة الله أيضاً قوته فى الخلق .

أقصى ما يمكن أن يصل إليه الإنسان أن يكون صانعاً ومكتشفاً. يكتشف طبيعة الأشياء وخواصها، ويصنع منها ما يستطيعه عقله . أما الخلق، أى الإيجاد من العدم، فهى قدرة لله وحده ، لا يقدر عليها أحد، وبخاصة قدرة الله العجيبة فيما خلقه من جهة عدد الخليقة وأنواعها، ما يُرى وما لا يُرى ، مما لا يستطيع إحصاءه أى عقل بشرى .

والمعجزة الأخرى المذهلة هى إقامة الموتى .

قرأنا فى الكتاب المقدس عن معجزات لإقامة الموتى بقوة الله. لكن المعجزة التى هى فوق عقولنا جميعاً هى قيامة الأموات جميعاً فى اليوم الأخير: ملايين الملايين فى كل بقاع الأرض، ممن قد تحللت أجسامهم وعظامهم، وتحولت إلى تراب!! وتقوم كلها فى وقت واحد، وتدخل فيها أرواحها، وتقف أمام الله فى يوم الدينونة الرهيب، ليجازى كلاً منها حسب أعمالها (يو٥: ٢٨، ٢٩) .

هاتان المعجزتان من أقوى المعجزات التى هى فوق العقل البشرى ..

ومن قوة الله أيضاً باقى المعجزات والأعاجيب .

والكتاب المقدس حافل بأمثلة عديدة جداً من هذه المعجزات والأعاجيب مما لا نستطيع حصره. نذكر من بين ذلك منح البصر للعميان، وشفاء الأمراض المستعصية، وشق البحر الأحمر، وانزال المن والسلوى من السماء، واخراج الماء من الصخرة، والظهورات

العجيبة ، وحلول الروح القدس كألسنة من نار، ومواهب الروح المتعددة، والوحى، وعلامات آخر الزمان، والتحدث مع البشر في الأحلام، وغير ذلك من الأعاجيب التى لا تقوى عليها قدرة مخلوق .

✠ ✠ ✠

ومن تواضع الله فى قدرته ، أنه منح القدرة لبعض مخلوقاته .

سواء فى ذلك القدرات التى منحها للملائكة وللبشر وللطبيعة، القدرات الطبيعية والقدرات الفائقة للطبيعة التى تدخل فى حدود الأعجوبة والمعجزة ..

فقد منح قدرات عجيبة للملائكة ، بحيث يمكنهم أن ينتقلوا من السماء إلى الأرض فى لمح البصر، وأن يقوموا بأعمال معجزية يكلفهم بها .

كذلك القدرات التى وهبها الله للعقل البشرى ، فاستطاع العلماء أن يبتكروا ويصنعوا أشياء تفوق الخيال، ومن كثرتها تبدو الآن طبيعية ، مثل الفاكس والكمبيوتر، والتليفون بين القارات، والطائرات، واستخدام الذرة والليزر، وما يستخدم فى مجال الطب والصناعة وعلوم الفضاء والبحار وما إلى ذلك .

وأيضاً منح أحباءه من البشر أن يصنعوا المعجزات باسمه وبقوته . "أعطاهم السلطان أن يدوسوا الحيات والعقارب وكل قوة العدو" (لو١٠: ١٩) . وكذلك منحهم أن يشفوا المرضى، ويقيموا الموتى، ويخرجوا الشياطين (مت١٠: ١) . وقال لتلاميذه "ستنالون قوة متى حل الروح القدس عليكم" (أع١: ٨) .

✠ ✠ ✠

إنها قوة عظيمة ممنوحة للبشر. ولكنها ليست قوة ذاتية ، بل قوة الله العاملة فيهم.

وعنها قال القديس بولس الرسول "لا أنا، بل نعمة الله التى معى" (١كو١٥: ١٠). وقال "أستطيع كل شئ ، فى المسيح الذى يقوينى" (فى٤: ١٣) .

نعم ، إنها قدرة فائقة ، ولكنها ليست قدرة بشرية . بل هى قدرة إلهية قد منحها الله من عنده للبشر . وعن هذا قال السيد المسيح :

"بدونى لا تقدرون أن تعملوا شيئاً " (يو١٥: ٥) .

حقاً إننا نستطيع – بالإيمان – أن نعمل أشياء كثيرة .. بالإيمان بقدرة الله التى تعمل فينا وبنا . وعن هذه قيل فى الإنجيل "كل شئ مستطاع للمؤمن" (مر٩: ٣) .. المؤمن الذى يؤمن بأن الله قادر على كل شئ . بهذا الإيمان يعمل الله به كل شئ، ويعمل كل شئ بصلاته، التى بها يتدخل الله ويعمل ..

الله أيضاً قوى فى كلمته .

سواء من جهة المعجزة ، أو من جهة تأثير الكلمة فى التعليم .

قال الله "ليكن نور" فكان نور (تك١: ٣) . وذلك فى اليوم الأول للخليقة . وكذلك فى باقى أيام الخليقة ... أمر فكانت المخلوقات ..

وقال لصاحب اليد اليابسة "مدّ يدك" (مت١٢: ١٣) ، فصارت يده سليمة . عبارة "مد يدك" كانت أمراً قد صدر للأعصاب والأنسجة والشرايين والعظام، ليأخذ كل منها موضعه، ويعمل بطريقة طبيعية . وكان أمراً لكل خلل أن يزول. كذلك حينما قال لابن أرملة نايين الميت : "أيها الشاب لك أقول قم" (لو٧: ١٤) . كانت تلك الكلمة أمراً للروح أن تعود وتتحد بالجسد. وكانت أمراً للجسد أن يعود لعمله الطبيعى، فعاد إليه بكل أجهزته.

وبالمثل فى جميع المعجزات التى تمت بمجرد كلمة .

✠ ✠ ✠

قوة كلمته أيضاً كانت فى التعليم ، كما قيل فى الكتاب "كلمة الله حية وفعالة، وأمضى من كل سيف ذى حدين، وخارقة إلى مفرق النفس والروح" (عب٤: ١٢) . وما أجمل ما قيل عن تأثير كلمات الرب فى العظة على الجبل إنه "كان يعلمهم كمن له سلطان وليس كالكتبة" (مت٧: ٢٩) .

✠ ✠ ✠

نتحدث أيضاً عن قوة الله فى حبه .

قيل "إذ كان قد أحب خاصته الذين فى العالم، أحبهم حتى المنتهى" (يو١٣: ١) . وقيل أيضاً "هكذا أحب الله العالم، حتى بذل إبنه الوحيد. لكى لا يهلك كل من يؤمن به، بل تكون له الحياة الأبدية" (يو٣: ١٦) . وهكذا ظهرت محبته فى الفداء، الذى قال عنه لتلاميذه "ليس لأحد حب أعظم من هذا، أن يضع أحد نفسه لأجل أحبائه" (يو١٥: ١٣) .

قوة الله فى محبته ، تظهر أيضاً فى عطائه ، إذ يعطى الجميع بسخاء ولا يعير (يع١: ٥)، ويعطى دون أن نطلب، ويعطى فوق ما نطلب، ولا يعطى بكيل (يو٣: ٣٤)، بل يفتح كوى السماء .. حتى نقول من قوة حبه وعطائه : كفانا كفانا ...

✠ ✠ ✠

قوة الله أيضاً تظهر فى العون والإنقاذ :

ونعنى الانقاذ الذى يبدو فيه لا أمل ولا نجاة، الذى عنه قال المرتل : "كثيرون يقولون

لى: ليس له خلاص بإلهه" (مز٣) . وفى هذا يقول "يمين الرب صنعت قوة، يمين الرب رفعتنى. يمين الرب صنعت قوة، فلن أموت بعد بل أحيا" مز (١١٧ {١١٨}: ١٥، ١٦). وبهذه القوة تغنى فى المزمور فقال "لولا أن الرب كان معنا حين قام الناس علينا، لابتلعونا ونحن أحياء.. نجت أنفسنا مثل العصفور من فخ الصيادين . الفخ انكسر ونحن نجونا. عوننا من عند الرب الذى صنع السماء والأرض!! (مز١٢٣{١٢٤}).

وقال أيضاً اعتماداً على قوة الله "إن سرت فى وادى ظل الموت، لا أخاف شراً، لأنك أنت معى" (مز٢٢{٢٣}) .

قوة الله فى الانقاذ ، تظهر فى شق البحر الأحمر (خر١٤). تظهر فى قول دانيال النبى "إلهى أرسل ملاكه، فسد أفواه الأسود" (دا٦) . وكذلك فى إنقاذ الفتية من أتون النار (دا٣). تظهر فى تعضيد الفتى داود للانتصار على جليات الجبار، كما قال له داود "اليوم يحبسك الرب فى يدى" (١صم١٧). تظهر قوة الله أيضاً فى إرسال ملاك لإنقاذ بولس وسيلا من السجن. "فحدثت بغتة زلزلة عظيمة حتى تزعزعت اساسات السجن. فانفتحت فى الحال الأبواب كلها، وانفكت قيود الجميع" (أع١٦: ٢٦). قوة الله تظهر فى وعده للكنيسة إن "أبواب الجحيم لن تقوى عليها" (مت١٦: ١٨) . وفى كلمة موسى النبى للشعب "الرب يقاتل عنكم ، وأنت تصمتون" (خر١٤: ١٤) .

✠ ✠ ✠

إننا نفرح أننا فى حماية إله قوى ، قادر أن ينقذ .

حقاً ، لولا أن الله قوى فى وضعه حداً للإيذاء الذى يصدر من الأشرار، لقوى أولئك على غيرهم وأبادوهم! بل لولا أن الله قد وضع حداً للشيطان وقيده، لأهلك العالم كله..!! إنها قوة اللهِ التى يمنحها للكنيسة فيقول عنها فى سفر النشيد إنها جميلة كالقمر، طاهرة كالشمس مرهبة كجيش بألوية" (نش٦: ١٠) .

✠ ✠ ✠

أيضاً قوة الله تظهر بشكل عجيب فى احتماله .

الله الذى يحتمل كل تجاديف الناس والحادهم، وكسرهم لوصاياه ، وفجورهم وفسادهم. وكان قادراً أن يفنيهم ، ولكنه لم يفعل. لأن المحتمل هو أقوى بلا شك من المسئ. لذلك قال بولس الرسول "يجب علينا نحن الأقوياء أن نحتمل ضعفات الضعفاء" (رو١٥: ١) .

وقد ظل يحتمل الكثيرين بقوة فى طول أناته حتى تابوا .

احتمل شاول الطرسوسى الذى ظل يضطهد الكنيسة زمناً طويلاً ، حتى تاب وصار

رسولاً عظيماً . واحتمل أريانوس والى أنصنا أقسى ولاة ديوقلديانوس، حتى تاب وصار شهيداً . وكذلك لونجينوس الجندى الذى طعنه بالحربة ، وجعله يؤمن ويصير شهيداً .

. احتمل خطايا أوغسطينوس وفساده كل أيام شبابه، إلى أن قاده الله وتاب وترهب وصار قديساً ومصدراً للروحانية والتأمل .

وبنفس القوة احتمل كل خطايا زكا العشار ، والمرأة الزانية التى ضبطت فى ذات الفعل (يو٨) ، وخطايا مريم القبطية ، وقسوة موسى الأسود، حتى جعل من كل هؤلاء وأمثالهم قديسين ...

إننا ضعفاء فى إحتمالنا ، نتأثر بحساسية شديدة، وأحياناً نغضب ونثور، وأحياناً ننتقم لأنفسنا أو نفكر فى الانتقام . أما الله فإنه يحتمل الكل، ويصبر فى احتماله .. لقد احتمل تجاديف الشيوعيين فى روسيا سبعين سنة، حتى تابت روسيا وعادت إلى الإيمان .



والله ليس فقط قوياً فى احتماله ، بل قوياً أيضاً فى مغفرته .

صعب على البشر أن يغفروا . وإن غفروا ربما لا يستطيعون أن ينسوا . وإن خيّل إليهم أنهم نسوا، قد يتذكرون كل الإساءات القديمة، إن تعرضوا لإساءة جديدة .

أما الله فهو قوى فى مغفرته، قال فى ذلك "لأنى أصفح عن إثمهم، ولا أذكر خطيتهم بعد" (أر٣١: ٣٤) . وقيل فى مصالحته للبشر "غير حاسب لهم خطاياهم" (٢كو٥: ١٩).

وفى مغفرته وعدم محاسبته قيل فى المزمور "طوبى للذى غُفر إثمه وسترت خطيته. طوبى لإنسان لا يحسب له الرب خطية" (مز٣٢: ١، ٢) . ولقد أحب القديس بولس الرسول هاتين الآيتين فكررهما فى رسالته إلى أهل رومية (رو٤: ٧، ٨) .

فى مغفرته قيل عنه إنه "جاء لكى يطلب ويخلص ما قد هلك" (لو١٩: ١٠). وإنه لم يأتِ ليدين العالم بل ليخلص العالم" (لو٩: ٥٦) .

وقوة مغفرته ليس فقط فى أن يغفر، بل يغسل الإنسان، فيبيض أكثر من الثلج" (مز٥٠)

هناك نواحٍ أخرى فى قدرة الله العجيبة .

مثل قوة الله فى معرفته ، وقوة الله فى عقوبته ، وقوة الله فى تدبيره ، وأمور أخرى لا يتسع لها المجال .



الله عظيم فى مجده "لأن مجد الرب عظيم" (مز١٣٨: ٥) .

يتغنى به المرتل فى المزمور ويقول "أيها الرب ربنا، ما أعجب إسمك فى الأرض كلها. لأنه قد ارتفع جلالك فوق السموات" (مز٨: ١، ٢).

قال عنه اليهو فى سفر أيوب "الله يتعالى بقدرته . من مثله علماً؟!.. هوذا الله عظيم، ولا نعرفه.." (أى٣٦: ٢٢، ٢٦).. قارن الآباء بينه وبين آلهة الأمم، فقالوا "..حدثوا فى الأمم بمجده، وبين جميع الشعوب بعجائبه. لأن الرب عظيم هو ومسبّح جداً. مرهوب على كل الآلهة . لأن كل آلهة الأمم شياطين" (١أى١٦: ٢٤- ٢٦) (مز٩٦: ٣- ٥) .

يتحدث داود النبى عن عظمة الله فيقول :

"..أضاءت بروقه المسكونة. نظرت الأرض فتزلزلت. ذابت الجبال مثل الشمع من قدام وجه الرب، من قدام وجه سيد الأرض كلها. أخبرت السموات بعدله ، وعاينت جميع الشعوب مجده" (مز٩٧: ٤- ٦)... "عظيم هو الرب، وعظيمة هى قوته، ولا إحصاء لفهمه" (مز١٤٧: ٥) "لا شبيه لك بين الآلهة يارب. ولا مثل أعمالك . كل الأمم الذين صنعتهم ، يأتون ويسجدون أمامك يارب ويمجدون إسمك، لأنك عظيم أنت وصانع العجائب ، أنت الله وحدك" (مز٨٦: ٨- ١٠) .

✠ ✠ ✠

لقد تغنى كثيرون بعجائب الرب ، بأعماله وعظائمه ..

ففى عبور البحر الأحمر "أخذت مريم النبية أخت هارون الدف بيدها، وخرجت جميع النساء وراءها بدف ورقص . وأجابتهم مريم : رنموا للرب فإنه قد تعظم . الفرس وراكبه طرحهما فى البحر" (خر١٥: ٢٠، ٢١) . وبنفس التسبحة رنم موسى النبى وكل الشعب (خر١٥: ١) .

وهكذا قال أليهو بن برخئيل البوزى "..قف وتأمل عجائب الله" .. "يصنع عظائم لا

ندركها" (أى٣٧: ١٤، ٥) . وقال داود النبى : "عظيمة هى أعمال الرب" (مز١١١: ٢) "ما أعظم أعمالك يارب، وما أعمق أفكارك جداً" (مز٩٢: ٥) "ما أعظم أعمالك يارب. كلها بحكمة صنعت" (مز١٠٤: ٢٤). "قد عرفت أن الرب عظيم، وربنا فوق جميع الآلهة. كل ما شاء الرب صنع . فى السموات وفى الأرض، فى البحار وفى كل اللجج.." (مز١٣٥: ٥، ٦) .



حقاً إن الرب عظيم ، وكل أعماله وصفاته عظيمة .

عظيم هو فى قدرته (نا١: ٣) ، وعظيم فى رحمته (مز٨٦: ١٣)، وعظيم فى عجائبه. وعظيم فى جوده (مز٣١: ١٩). وعظيم فى رعايته (عب١٣: ٢٠) . عظيم وسط شعبه. وإسمه عظيم بين الأمم (ملا١: ١١). يناديه دانيال فى أرض السبى فيقول "أيها الرب الإله العظيم المهوب" (دا٩: ٤) .

وإذا بداريوس الملك يصدر أمراً يقول فيه "فى كل سلطان مملكتى يرتعدون ويخافون قدام إله دانيال، لأنه هو الإله الحى القيوم إلى الأبد. وملكوته لن يزول ، وسلطانه إلى المنتهى . هو ينجى وينقذ . ويعمل الآيات والعجائب فى السموات وفى الأرض . هو الذى نجى دانيال من يد الأسود" (دا٦: ٢٦، ٢٧).

وكذلك نبوخذنصر بعد معجزة الثلاثة فتية ، مجّد الله قائلاً لكل شعوبه "الآيات والعجائب التى صنعها معى الله العلىّ، حسن عندى أن أخبر بها. آياته ما أعظمها، وعجائبه ما أقواها. ملكوته ملكوت أبدى، وسلطانه إلى دور فدور" (دا٤: ٢، ٣).



لذلك فإن الذين اختبروا الرب ، كانوا دائماً يعظمونه .

يهتف داود النبى ويقول "عظموا الرب معى، ولنرفعن إسمه معاً" (مز٣٤: ٣). ويقول أيضاً "أعظمك يارب لأنك احتضنتنى ولم تشمت بى أعدائى" (مز٣٠: ١) . والقديسة العذراء تقول فى تسبحتها "تعظم نفسى الرب.. لأن القدير صنع بى عظائم وإسمه قدوس.." (لو١: ٤٦، ٤٩).

ويقول المرتل للرب فى أكثر من مزمور "فليبتهج ويفرح بك جميع طالبيك. وليقل دائماً محبو خلاصك : ليتعظم الرب" (مز٧٠: ٤) (مز٤٠: ١٦) (مز٣٥: ٢٧). ويقول ملاخى النبى "فترى أعينكم وتقولون : ليتعظم الرب" (ملا١: ٥) . نعم "عظيم هو الرب،

ومسبح جداً، وليس لعظمته استقصاء" (مز١٤٥: ٣) (مز٤٨: ١) .

✠ ✠ ✠

عظمة الرب تمتزج بمجده وكرامته .

وهكذا يقول المزمور "قدموا للرب يا أبناء الله. قدموا للرب مجداً وكرامة . قدموا للرب مجداً لإسمه . اسجدوا للرب فى دار قدسه" (مز٢٩: ١، ٢) . ويقول أيضاً "حدثوا فى الأمم بمجده ، وبين جميع الشعوب بعجائبه" (مز٩٦: ٣). ويهتف كل خدّام الرب قائلين "ليس لنا يارب ليس لنا، لكن لإسمك القدوس أعطِ مجداً" (مز١١٥: ١) .

✠ ✠ ✠

وبهذا المجد هتف الملائكة قائلين "المجد لله فى الأعالى" (لو٢: ١٤) .

فالله ممجد فى سمائه ، من ملائكته القديسين .

ولقد قدم لنا سفر اشعياء النبى صورة من هذا التمجيد : "الله على عرش عالٍ مرتفع . والسارافيم وقوف ، ولكل واحد منهم ستة أجنحة. وهم يسبحون الله قائلين : قدوس قدوس رب الجنود، مجده ملء كل الأرض.." (أش٦: ١- ٣).

وكذلك حزقيال النبى أعطانا صورة أخرى عن "شبه مجد الرب" (حز١: ٢٨) .. مع منظر الأحياء الأربعة ..

✠ ✠ ✠

إن مجد الله ، هو مجد طبيعته ، مجد جوهره :

الله الذى هو غير المحدود ، غير المرئى ، غير المدرَك.. الله القادر على كل شئ، الموجود فى كل مكان، الكائن قبل كل زمان .. الله الفاحص القلوب والكلى (أر١١: ٢٠) (رؤ٢: ٢٣) .. الله كلى الحكمة ، الذى "ما أبعد أحكامه عن الفحص، وطرقه عن الإستقصاء" (رو١١: ٢٣) .

حقاً ، كما قال أحد الآباء : ما من مرة تكلمت اللغة عن اللاهوت، إلا وقصّرت فى التعبير" .. إننا نقف أمام لاهوته فى ذهول، هذا اللاهوت غير المرئى . لأنه لا يستطيع إنسان أن يرى الرب ويعيش (خر٣٣: ٢٠). الله "الذى لم يره أحد من الناس، ولا يقدر أن يراه، الذى له الكرامة والقدرة الأبدى "ملك الملوك ورب الأرباب، الذى وحده له عدم الموت، ساكناً فى نور لا يدنى منه" (اتى٦: ١٦، ١٥) .

✠ ✠ ✠

الله الممجد فى أزليته، ووحدانيته، وخلقه للكل .

الذى ليست له بداية أيام . "قبله لم يصور إله، وبعده لا يكون" (أش٤٣: ١٠). كان وحده منذ الأزل ، قبل كون الأكوان، وقبل كل الدهور . هو وحده الواجب الوجود، لأنه علة كل موجود . شاء من صلاحه وجوده أن يوُجد موجودات أخرى أنعم عليها بنعمة الوجود، فخلق الكل. "كل شئ به كان. وبغيره لم يكن شئ مما كان" (يو١: ٣). "قال ليكن نور، فكان نور" (تك١: ٣) . وهكذا مع باقى المخلوقات "ورأى الله كل ما عمله ، فإذا هو حسن جداً" (تك١: ٣١) .

✠ ✠ ✠

الله سبب الوجود ، سبب البركة، سبب الحياة، مصدر كل قوة ...

مجد الله فى طبيعته ، فى ذاته .. هو "النور الحقيقى الذى ينير كل إنسان" (يو١: ٩) الذى دعانا من الظلمة إلى نوره العجيب (١بط٢: ٩). الله الذى هو نار آكلة (عب١٢: ٢٩) . ترمز إليه النار فى ذبيحة المحرقة (لا١: ٣، ١٣) . كما ترمز إلى لاهوته النار فى المجمرة ...

إنه الله الذى السموات كرسيه ، والأرض موطئ قدميه (مت٥: ٣٤، ٣٥).

بل هو الله الذى قال له سليمان الحكيم يوم تدشين الهيكل "هوذا سماء السموات لا تسعك. فكم بالأقل هذا البيت الذى بنيت" (١مل٨: ٢٧). الله الذى "طأطأ السموات ونزل، والضباب تحت رجليه" (مز١٨: ٩). "الجالس فوق الشاروبيم ، الماشى على أجنحة الرياح" (٢صم٢٢: ١٠).

✠ ✠ ✠

الله الذى ظهرت قوة مجده فى الخلق وأيضاً فى القيامة .

الذى من لا شئ ، خلق كل شئ . والذى فيه القيامة والحياة (يو١١: ٢٥) "من آمن به ولو مات فسيحيا" وأيضاً "له مفاتيح الهاوية والموت" (رؤ١: ١٨). الذى يظهر مجده فى قدرته على أن يقيم من الموت كل الذين ماتوا من أيام آدم إلى آخر الدهور، بعد أن تحولوا إلى تراب "يسمع جميع من فى القبور صوته. فيخرج الذين فعلوا الصالحات إلى قيامة الحياة ، والذين عملوا السيئات إلى قيامة الدينونة" (يو٥: ٢٨، ٢٩) .

✠ ✠ ✠

ظهر مجده فى التجلى وفى القيامة والصعود .

كم كان السيد الرب ممجداً فى التجلى ، وهو محاط بالنور ، وحوله موسى وإيليا . وصارت ثيابه تلمع بيضاء كالثلج .. (مر٩: ١- ٥) .

مجد القيامة أيضاً، التى فيها انتصر على الموت، مع الخروج من القبر المغلق، ودخول العلية إلى التلاميذ ، والأبواب مغلقة (يو٢٠: ١٩). ومجد الصعود الذى استطاع بالجسد الممجد أن يصعد إلى السماء، وأخذته سحابة عن أعين التلاميذ (أع١: ٩) . ومن محبته أعطانا نحن أيضاً أن نقوم "على صورة جسد مجده" (فى٣: ٢١) .

✠ ✠ ✠

هناك أيضاً مجد المجئ الثانى .

"الذى فيه سوف يأتى فى مجد أبيه مع ملائكته . وحينئذ سيجازى كل واحد حسب أعماله" (مت١٦: ٢٧). وعن هذا ورد فى إنجيل معلمنا لوقا البشير أنه "يأتى بمجده ومجد الآب، والملائكة القديسين" (لو٩: ٢٦) .

"ومتى جاء فى مجده، وجميع الملائكة القديسين معه، فحينئذ يجلس على كرسى مجده. ويجتمع أمامه جميع الشعوب ، فيميز بعضهم عن بعض كما يميز الراعى الخراف من الجداء .. ويقول للذين عن يمينه : تعالوا يا مباركى أبى رثوا الملك المعدّ لكم منذ إنشاء العالم.." (مت٢٥: ٣١- ٣٤) ...

✠ ✠ ✠

ليس مجده فقط فى هذه الدينونة الرهيبة ، بل أننا نمجده أيضاً فى صلبه ، فى أسبوع الآلام ، فنقول له : **لك القوة والمجد والبركة والعزة إلى الأبد آمين .**

فهو على الصليب فى مجد محبته ، وفى مجد بذله ومغفرته . فى مجد العطاء والحب والمصالحة . وفى مجد الطاعة لله الآب ..

✠ ✠ ✠

وبعد الصلب والقيامة ، أعطانا صورة عن عربون مجده فى ظهوره للقديس يوحنا الرائى "ووجهه كالشمس وهى تضئ فى قوتها" "وعيناه كلهيب نار" "وصوته كصوت مياه كثيرة" (رؤ١: ١٤- ١٦) . حتى أن يوحنا حبيبه قال "فلما رأيته سقطت عند قدميه كميت. فوضع يده اليمنى علىّ قائلاً : لا تخف . أنا هو الأول والآخر .." (رؤ١: ١٧) .

هذه فكرة عن مجد الله . فما هو موقف الخليقة منه ؟

وما هو موقفنا نحن البشر ؟ كيف نمجد الله ؟

كيف نمجد الله

أولاً ينبغى أن تعتقد بأن المجد لله وحده ...

فتبتعد مثلاً عن تمجيد ذاتك ، لتعطى المجد لله ، كما قيل فى المزمور :

"ليس لنا يارب ، ليس لنا . لكن لإسمك القدوس أعطِ مجداً" (مز١١٥: ١) .

ففى كل الخير الذى تعمله ، اعتقد تماماً أن هذا الخير ، ليس هو منك، إنما فعله الله على يديك . بالقوة التى منحك الله إياها، بالنعمة الإلهية التى عملت فيك ومعك . كما قال بولس الرسول "ولكن بنعمة الله، أنا ما أنا. ونعمته المعطاة لى لم تكن باطلة، بل أنا تعبت أكثر من جميعهم. ولكن لا أنا، بل نعمة الله التى معى" (١كو١٥: ١٠) .

وهكذا قيل عن هيرودس الملك ، لما قبل تمجيد الناس له ، إن ملاك الرب ضربه فى الحال "لأنه لم يعطِ المجد لله، فأكله الدود ومات" (أع١٢: ٢٣) .

✠ ✠ ✠

أمام الله تخشع الملائكة ، وكل القوات السمائية .

الشاروبيم والسارافيم يخشعون أمام مجده . بجناحين يغطون وجوههم، وباثنين يغطون أرجلهم، ويطيرون بإثنين.." (أش٦: ٢) . ومن هيبة الله "تسجد له كل ركبة، ما فى السماء، وما على الأرض، وما تحت الأرض" (فى٢: ١٠) .

وقد رأى القديس يوحنا الرائى الأربعة والعشرين كاهناً "يخرون قدام الجالس على العرش، ويسجدون للحى إلى أبد الآبدين، ويطرحون أكاليلهم أمام العرش قائلين : أنت مستحق أيها الرب أن تأخذ المجد والكرامة والقدرة . لأنك أنت خلقت كل الأشياء، وهى بإرادتك كائنة.. وخُلقت" (رؤ٤: ١٠، ١١) .

كما رأى كل الغالبين ، وهم فى السماء يرتلون قائلين "عظيمة وعجيبة هى أعمالك أيها الرب الإله القادر على كل شئ. عادلة وحق هى طرقك يا ملك القديسين. من لا يخافك يارب ويمجد إسمك، لأنك أنت وحدك قدوس.." (رؤ١٥: ٣، ٤) .

✠ ✠ ✠

ينبغى أن نخشع كلنا أمامه . فهو ملك الملوك ورب الأرباب (رؤ١٩: ١٦) .

نخشع فى تقديس إسمه . ولا نذكر إسم الله باطلاً "لأن الرب لا يبرئ من نطق بإسمه باطلاً" (خر٢٠: ٧). بل نحن نحنى رؤوسنا حينما نرتل لإسمه قائلين "قدوس قدوس قدوس.." . وحينما نصلى نقف خاشعين أمامه ، أو نسجد ونركع فى خشوع. كما قال المرتل فى المزمور "ارفعوا الرب إلهنا، واسجدوا لموطئ قدميه فإنه قدوس" "ارفعوا الرب إلهنا، واسجدوا فى جبله المقدس.." (مز٩٩: ٥، ٩) .

بخشوع نتعامل مع الله، ومع كل ما ينتسب إليه: مع بيته وكتابه وأسراره المقدسة.

من جهة بيته نقول له فى المزمور "أما أنا فبكثرة رحمتك أدخل إلى بيتك، وأسجد قدام هيكل قدسك بمخافتك" (مز٥: ٧)، ونقول أيضاً "ببيتك يليق التقديس يارب" (مز٩٣: ٥) . أليس هو الرب الذى دافع عن كرامة بيته وقال "بيتى بيت الصلاة يُدعى" (اش٥٦: ٧) . ومن هيبة بيت الله، قال يعقوب أبو الآباء "ما أرهب هذا المكان. ما هذا إلا بيت الله، وهذا باب السماء" (تك٢٨: ١٧) .

وفى تمجيد الله، نخلع أحذيتنا فى مواضعه المقدسة .

وهكذا قال الله لموسى ، لما ناداه من العليقة المشتعلة بالنار : "اخلع حذاءك من رجليك، لأن الموضع الذى أنت واقف عليه أرض مقدسة" (خز٣: ٥). ونفس هذه العبارة قيلت أيضاً ليشوع خليفة موسى (يش٥: ١٥) .

لذلك نحن نخلع أحذيتنا خشوعاً ، حينما ندخل إلى الهيكل المقدس . وفى الأديرة لا ندخل إلى الكنيسة كلها بحذاء، بل نخلعه خارج الكنيسة. فى كل ذلك نشعر بهيبة المكان وقدسيته. وبالتالى نمجد الله رب المكان وصاحبه .

لهذا ، فإنه على قدر ما يهاب الإنسان بيت الله ، على قدر ما يستفيد روحياً .

أما الذى يدخل بيت الله بغير هيبة ولا خشية ، فواضح إنه لا يشعر بوجود الله فيه . وبالتالى هو لا يمجد الله فى دخوله إلى بيته. وهكذا أيضاً لا يخشع قلبه ولا يستفيد روحياً.. قديماً لم تكن بيوت الناس ملتصقة بخيمة الإجتماع، بل كانت على بعد منها .. وكانت الأقرب إليها هى مساكن الكهنة واللاويين خدام بيت الله ...

✠ ✠ ✠

وبنفس الهيبة لله ، نتعامل مع كتابه المقدس .

فحينما يقرأ الكتاب فى الكنيسة ، يصيح الشماس قائلاً "قفوا بخوف من الله، وأنصتوا لسماع الإنجيل المقدس. ويرفع رئيس الكهنة تاجه لهيبة كلمات الله التى تتلى ، ويقف جميع الناس إحتراماً . والكهنة جميعاً يقبلون كتاب الله .. فى تمجيدنا الله، نمجد كلمته وكتابه . وبقدر ما نخشع فى ذلك، على هذا القدر نستفيد ...

✠ ✠ ✠

وهكذا أيضاً فى القداس الإلهى :

أمام الأسرار الإلهية ، عند حلول الروح القدس، يصرخ الشماس قائلاً للشعب "اسجدوا

لله بخوف ورعدة" . ويسجد الجميع ويرتلون وهم ساجدون . وهكذا في مواضع أخرى يسجدون معطين مجداً لله، أو على الأقل يكونون واقفين . وما أكثر ما نردد في صلواتنا "ذكصابتري .." أي المجد للآب والابن والروح القدس" ، كما نردد في صلاة نصف الليل عبارة "المجد لك يا محب البشر.." .

ونحن حينما نقول لله في صلاة القداس الإلهي :

ألوف ألوف وقوف قدامك ، وربوات ربوات يقدمون لك الخدمة :

إنما نخشع قدامه ، هذا الذي تخشع له كل هذه الملايين ومئات الملايين من القوات السمائية .. والذي قال عنه ملاك طائر في وسط السماء "خافوا الله واعطوه مجداً" (رؤ١٤: ٧) . كما أنشد أيضاً عنه المرتل في المزمور "قدموا للرب مجداً وكرامة. قدموا للرب مجداً لإسمه" (مز٢٩: ١) . بل هذا الذي حينما تحدث معه أبونا ابراهيم أبو الآباء، انسحق وقال في اتضاع "شرعت أكلم المولى، وأنا تراب ورماد" (تك١٨: ٢٧).. والذي أمامه وقف العشار من بعيد ، لا يجرؤ أن يرفع عينيه نحو السماء . بل قرع صدره وقال "ارحمني يارب أنا الخاطئ" (لو١٨: ١٣) .

✠ ✠ ✠

لماذا نخشع أمام الله ؟ ولماذا الركوع والسجود ؟

لشعورنا بعظمة الله ومجده ، وأيضاً لشعورنا بالانسحاق وعدم الاستحقاق. حقاً من نحن يارب حتى نقف أمامك، نحن التراب والرماد؟! أنت الذي تتضاءل أمامك كل عظمة وكل وجود .. إننا لسنا نسجد لك فقط بأجسادنا، وبإنحناء رؤوسنا إلى التراب، بل بالأكثر بإنحناء نفوسنا وأفكارنا .. باتضاع القلب ومسكنة الروح ...

✠ ✠ ✠

لذلك نحن نمجد الله أيضاً بطاعتنا له ، بتنفيذ مشيئته .

إن السير في طريق الخطية ، هو مخالفة لله ، وعصيان لوصاياه ، بل ثورة عليه وتمرد على ملكوته . لذلك فالخاطئ هو إنسان لا يمجد الله في حياته . بل لا يجعل الآخرين يمجدونه . هوذا السيد الرب يقول في عظته على الجبل "فليضئ نوركم هكذا قدام الناس. لكي يروا أعمالكم الحسنة، ويمجدوا أباكم الذي في السموات" (مت٥: ١٦) . بهذا تمجد الله ، حينما تكون سبباً في تمجيد الناس له .

إنك تمجد الله بتوبتك وحياتك فى طاعته . لذلك قيل فى سفر الرؤيا عن بعض الخطاة "لم يتوبوا ويعطوه مجداً" (رؤ١٦: ٩) .

✠ ✠ ✠

وفى شمولية تمجيدنا لله ، كما قال القديس بولس الرسول :

"مجدوا الله فى أجسادكم وفى أرواحكم التى هى لله" (١كو٦: ٢٠) .

ليس فقط بمجرد اللسان حينما تقول "المجد لك يارب". بل بالأكثر بروحك التى تعيش منقادة لروح الله . "لأن كل الذين ينقادون بروح الله، فأولئك هم أبناء الله" (رو٨: ١٤). كذلك نمجد الله فى أجسادنا، حينما تسلك هذه الأجساد كهياكل لروح الله القدوس الذى يسكن فيها (١كو٦: ١٩) (١كو٣: ١٦) . ولكننا لا نمجد الله أبداً حينما نستخدم أجسادنا كآلات للخطية .. هوذا الرسول يقول "ألستم تعلمون أن أجسادكم هى أعضاء للمسيح. أفآخذ أعضاء المسيح، وأجعلها أعضاء زانية؟! حاشا" (١كو٦: ١٥) .

إننا نمجد الله ، حينما نحيا كأشخاص مثاليين وكأسر مثالية . يرانا الناس فيحبون الله بسببنا، ويحبون الدين والحياة الروحية بسببنا . وهكذا يمجدون الله .

✠ ✠ ✠

إننا نمجد الله أيضاً بنشر ملكوته على الأرض .

لقد أعطانا سيدنا يسوع المسيح مثالاً لذلك ، حينما قال للآب "أنا مجدتك على الأرض. العمل الذى أعطيتنى لأعمل قد أكملته... أظهرت إسمك للناس الذين أعطيتنى .. الكلام الذى أعطيتنى قد أعطيتهم .. حفظتهم ولم يهلك منهم أحد .. عرّفتهم إسمك وسأعرّفهم ، ليكون فيهم الحب الذى أحببتنى به.." (يو١٧) .

فهل نستطيع نحن أيضاً أن نقول مثل هذا ؟ هل شهدنا للرب بحياتنا وبكرازتنا؟ هل نشرنا ملكوته على الأرض؟ هل كنا سبباً لتمجيد إسمه؟

✠ ✠ ✠

هذه هى الناحية الإيجابية فى تمجيد الله . إن لم نصل إليها، فعلى الأقل ينبغى أن نبعد عن السلبيات ...

نبعد عن التذمر على الله ، والتجديف على إسمه القدوس .

نبعد عن العصيان والمخالفة . وعن الكبرياء التى فيها ننسب إلى أنفسنا ما عمله الله

على أيدينا .. ونبعد عن تدنيس هيكله المقدس الذى هو أجسادنا . ولا نجعل الناس يجدفون على إسم الله بسببنا (رو٢: ٢٤) .

✠ ✠ ✠

وقبل كل شئ ، ليكن هدفنا باستمرار هو تمجيد الله .

لأننا إن تعمقنا فى هذا الهدف ، سنهتم كل حين بالوسائل الموصلة إليه ولنعرف هذه الحقيقة الهامة : **إن مجدنا الله ، سيمجدنا الله أيضاً ...**

عجيب هذا، أن الله يمجد خليقته . يمنحها مجداً من عنده .. وهذا فيض من تواضعه..

الله يمجد خلائقه

عظيم هو الله فى مجده ، بل هو وحده الذى له المجد والعظمة. هذا الذى تحدث السموات بمجده، والفلك يخبر بعمل يديه (مز١٩: ١) .. ومع ذلك فإنه يعطى مجداً وعظمة لخلائقه ..!!

ليس فقط للمخلوقات العاقلة ، بل للخليقة الجامدة أيضاً تعطى مجداً .

هوذا الرسول يقول فى ذلك : "مجد السماوات شئ، ومجد الأرضيات شئ آخر. مجد الشمس شئ، ومجد القمر آخر، ومجد النجوم آخر. لأن نجماً يمتاز عن نجم فى المجد" (١كو١٥: ٤٠،٤١). ووصف الله الشمس والقمر بالعظمة. فقال الوحى الإلهى فى قصة الخليقة "فعمل الله النورين العظيمين: النور الأكبر لحكم النهار. والنور الأصغر لحكم الليل" (تك١: ١٦) .

حتى الزهور فى جمالها وزينتها ، قال عنها الرب لتلاميذه : تأملوا زنابق الحقل.. ولا سليمان فى كل مجده كان يلبس كواحدة منها" (مت٦: ٢٨، ٢٩). بل أن الله أعطى مجداً للجمادات كالذهب والفضة، والزمرد واللؤلؤ، وأسماها بالأحجار الكريمة" كما ورد فى سفر الرؤيا (رؤ٢١: ١٩- ٢١) .

✠ ✠ ✠

وأعطى الله مجداً للإنسان منذ خلقه :

أول مجد منحه الله للإنسان ، هو أنه خلقه على صورته بشبهه ومثاله (تك١: ٢٦، ٢٧). والمجد الثانى الذى منحه إياه هو السلطة . إذ أعطاه السلطة على الأرض وكل ما فيها من كائنات (تك١: ٢٨). وكرر هذه البركة لأبينا نوح بعد رسو الفلك (تك٩: ١، ٢)

إن الله يفرح بأن يمجد الإنسان، لأن مسرته فى بنى البشر. إنه لا يعتبر مجد الإنسان منافساً له ..

✠ ✠ ✠

مادام كذلك ، فما معنى قوله: "أنا الرب. هذا إسمى، ومجدى لا أعطيه لآخر" (أش٤٢: ٨) .

إن المجد الذى لا أعطيه لآخر ، هو مجد اللاهوت .

وقد قال عبارة "مجدى لا أعطيه لآخر" فى مناسبة رفضه للآلهة الأخرى وعبادة الأصنام. فقال بعدها "ولا تسبيحى للمنحوتات" .

فلو بعدنا عن مجد اللاهوت ، فما أكثر أنواع المجد التى منحها الله لخليقته .

✠ ✠ ✠

ما أبهى وأعظم المجد الذى منحه للملائكة .

هؤلاء الذين قال عنهم المرتل "ملائكته المقتدرين قوة" (مز١٠٣: ٢٠) . والذين وُصفوا بأنهم "ملائكة النور" (٢كو١١: ١٤)، وجعل فيهم "عروشاً وسيادات ورياسات (أرباباً) وسلاطين" (كو١: ١٦) ... ومنحهم طبيعة ممجدة يمكن أن تنتقل من السماء إلى الأرض فى لمح البصر . وقوة يستطيعون أن يعملوا بها أعاجيب ...

كذلك أعطى الله البشر أن يصنعوا الآيات والعجائب .

ما أعجب ما أعطاه الله لموسى النبى : أن يضرب البحر الأحمر بعصاه، فينشق إلى نصفين، وإذا ممر وسط البحر عبر منه الشعب، والماء سور لهم عن يمينهم وعن يسارهم" (خر١٤: ٢٢) . ثم يمد موسى يده فيعود البحر إلى حالته الطبيعية ويغرق جيش فرعون (خر١٤: ٢٦، ٢٧). يضاف إلى هذا المجد الذى أعطاه الله لموسى، إذ يضرب الصخرة بعصاه، فيتفجر منها الماء (خر١٧: ٥، ٦) .

كذلك قول الرب عن موسى "هو أمين على كل بيتى. فماً إلى فم وعياناً أتكلم معه لا بالألغاز، وشبه الرب يعاين" (عد١٢: ٧، ٨) ...

✠ ✠ ✠

وما أعجب المعجزات التى مجد الله بها رسله فى العهد الجديد :

إذ قال لهم "اشفوا مرضى، طهروا برصاً، اقيموا موتى، اخرجوا شياطين" (مت١٠: ٨). وعجيب ما قيل فى سفر الأعمال عن القديس بولس الرسول إنه "كان يؤتى عن جسده

بمناديل أو مآزر إلى المرضى، فتزول عنهم الأمراض، وتخرج الأرواح الشريرة منهم" (أع١٩: ١٢) ... ولسنا مستطيعين أن نحصى ما قام به الآباء الرسل من آيات كانت سبباً فى نشر الإيمان . لكن يكفى فقط أن نذكر قول الرب :

"من يؤمن بى، فالأعمال التى أنا أعملها، يعملها هو أيضاً، ويعمل أعظم منها" (يو١٤: ١٢) .

إننا نقف مذهولين أمام هذه الآية، وكيف مجد الله المؤمنين به بصنع هذه الآيات التى لم تقتصر على عهد الرسل، وإنما استمرت على طول العصور على أيدى القديسين من الشهداء ومن الآباء الرعاة والنساك فيما منحهم الله إياه من قوة الشفاعة والصلاة.

وهكذا قال قبل صعوده "وهذه الآيات تتبع المؤمنين.." (مر١٦: ١٧، ١٨) .

✠ ✠ ✠

لقد مجد الله الإنسان بأن جعله هيكلاً لروحه القدوس (١كو٣: ١٦) . ومجده أيضاً بمنحه مواهب الروح القدس .

بأنواع مواهب متعددة شرحها القديس بولس الرسول فى رسالته الأولى إلى أهل كورنثوس (١كو١٢): منها الحكمة والعلم والإيمان، ومواهب الشفاء وعمل القوات والنبوة، وتمييز الأرواح والألسنة وترجمتها ...

ويقول معلمنا القديس يعقوب الرسول "كل عطية صالحة وكل موهبة تامة، هى من فوق، نازلة من عند أبى الأنوار" (يع١: ١٧) .

✠ ✠ ✠

ومما مجد الله به الإنسان نعمة الدعوة والإختيار والتبرير .

ويقول الكتاب فى ذلك "الذين سبق فعرفهم، سبق فعينهم ليكونوا مشابهين صورة ابنه.. والذين سبق فعينهم، فهؤلاء دعاهم أيضاً. والذين دعاهم فهؤلاء بررهم أيضاً. والذين بررهم فهؤلاء مجدهم أيضاً" (رو٨: ٢٩، ٣٠) .

والله يمجد بالأكثر الذين يتألمون من أجله. كما يقول الرسول "إن كنا نتألم معه، فلكى نتمجد أيضاً معه" (رو٨: ١٧) .

✠ ✠ ✠

ومن المجد الذى وهبه الله للإنسان : مجد الكهنوت .

الذى فيه يكون الإنسان وكيلاً لله (تى١: ٧) ، ووكيلاً لسرائر الله (١كو٤: ١) .

وسفيراً عن الله (٢كو٥: ٢٠) .

وفى عمل الوكالة والسفارة، يمنح الله الإنسان سلطاناً لمغفرة الخطايا. كما حدث أنه نفخ فى وجوه تلاميذه القديسين وقال لهم : "اقبلوا الروح القدس. من غفرتم خطاياه غفرت له. ومن أمسكتم خطاياه أمسكت" (يو٢٠: ٢٢، ٢٣) . وقال لهم أيضاً "كل ما تربطونه على الأرض، يكون مربوطاً فى السماء. وكل ما تحلونه على الأرض، يكون محلولاً فى السماء" (مت١٨: ١٨) .

✠ ✠ ✠

وفى هذا السلطان أعطاهم أن يمنحوا الروح القدس :

ففى عهد الآباء الرسل، كانوا يضعون أيديهم على المعمدين فيحلّ الروح القدس عليهم. كما حدث بالنسبة إلى أهل السامرة، لما وضع بطرس ويوحنا أيديهما عليهم، قبلوا الروح القدس (أع٨: ١٧، ١٨). وكما حدث لأهل أفسس "لما وضع بولس يديه عليهم، حل الروح القدس عليهم، وطفقوا يتكلمون بلغات ويتنبأون" (أع١٩: ٦) .

✠ ✠ ✠

ونرى تمجيد الله لكهنته ، ما أمر بعمله لأجل هارون .

قال الرب لموسى "اصنع ثياباً مقدسة لهارون أخيك للمجد والبهاء. وتكلّم جميع حكماء القلوب الذين ملأتهم روح حكمة أن يصنعوا ثياب هارون لتقديسه ليكهن لى" (خر٢٨: ٢، ٣) . وأمر الرب أيضاً أن توضع على عمامة هارون "صفيحة من ذهب نقى، تنقش عليها نقش خاتم: قدس للرب، فتكون على جبهة هارون" (خر٢٨: ٣٦- ٣٨) .

وبالنسبة إلى بنى هارون الكهنة، قال الرب لموسى "تصنع لهم قلانس للمجد والبهاء" (خر٢٨: ٤٠). عجيبة عبارة "المجد والبهاء" هذه ...

✠ ✠ ✠

وعجيب المجد الذى وهبه الله لموسى عند تعيين السبعين شيخاً .

قال الرب لموسى "إجمع إلىّ سبعين رجلاً من شيوخ إسرائيل، الذين تعلم أنهم شيوخ الشعب وعرفاؤه .. فأنزل أنا وأتكلم معك.. وآخذ من الروح الذى عليك وأضع عليهم، فيحملون معك ثقل الشعب" (عد١١: ١٦، ١٧) ... الله يأخذ من الروح الذى على موسى ويعطى .. هذا عجيب حقاً . ومع ذلك فهو الذى حدث .. موسى اختار السبعين، وأوقفهم حوالى الخيمة "فنزل الرب فى سحابة، وتكلم معه. وأخذ من الروح الذى عليه، وجعل على السبعين رجلاً الشيوخ . فلما حلّ عليهم الروح تنبأوا" (عد١١: ٢٤، ٢٥) .

وهكذا مجّد الله موسى - عبده ونبيه وكاهنه - أمام الجميع ...

✠ ✠ ✠

ونرى هذا واضحاً فى عبارة مذهلة قالها ربنا يسوع المسيح للآب عن تلاميذه القديسين، وهى :

"المجد الذى أعطيتنى، قد أعطيتهم" (يو١٧: ٢٢) .

أى مجد هذا الذى أعطاه لهم؟! أهو المجد الذى أعطاه له الآب؟! كيف هذا؟! يذكرنا هذا بقوله فى سفر الرؤيا : "من يغلب، فسأعطيه أن يجلس معى فى عرشى، كما غلبت أنا وجلست مع أبى فى عرشه" (رؤ٣: ٢١). ويذكرنا أيضاً بما رواه القديس يوحنا فى رؤياه، إذ رأى عرش الله فى السماء . وماذا أيضاً؟ يقول "وحول العرش أربعة وعشرون عرشاً. ورأيت على العروش أربعة وعشرين قسيساً، جالسين متسربلين بثياب بيض. وعلى رؤوسهم أكاليل من ذهب" (رؤ٤: ٢- ٤)... حقاً إن فى هذا عجباً .. أشخاص يجلسون على عروش، إلى جوار الله، وعلى رؤوسهم تيجان من ذهب!!

ولكنه المجد الذى يعطيه الله - فى تواضعه - لخدامه المحبوبين .

✠ ✠ ✠

لقد أعطى إيليا النبى مجداً آخر :

أعطاه أن يغلق السماء ويفتح . فيقول إيليا "حىّ هو الرب.. إنه لا يكون طل ولا مطر فى هذه السنين إلا عند قولى" (١مل١٧: ١).. "صلى صلاة أن لا تمطر ، فلم تمطرعلى الأرض ثلاث سنين وستة أشهر. ثم صلى أيضاً فأعطت السماء مطراً، وأخرجت الأرض ثمرها" (يع٥: ١٧، ١٨) .

وأمر إيليا أن تنزل نار من السماء وتأكل الخمسين جندياً، فكان كذلك، وحدث كما قال ونزلت النار من السماء فأكلتهم. وكرر الأمر مرة أخرى، فحدث كما قال (٢مل١: ١٠- ١٢) .

ومجد الله إيليا ، بأن أصعده فى مركبة نارية إلى السماء (٢مل٢: ١١) .

✠ ✠ ✠

من الأمور التى مجد الله بها أولاده : التجلى.

فلما تجلى الرب على جبل طابور أمام ثلاثة من رسله "وتغيرت هيئته قدامهم. وأضاء وجهه كالشمس ، وصارت ثيابه بيضاء كالنور" (مت١٧: ٢) . سمح أن يكون معه على

جبل التجلى موسى وإيليا. "اللذان ظهرا بمجد" (لو٩: ٣١) يتكلمان معه .

✠ ✠ ✠

والمجد العظيم الذى يمنحه الله لأولاده هو المجد الأبدى .

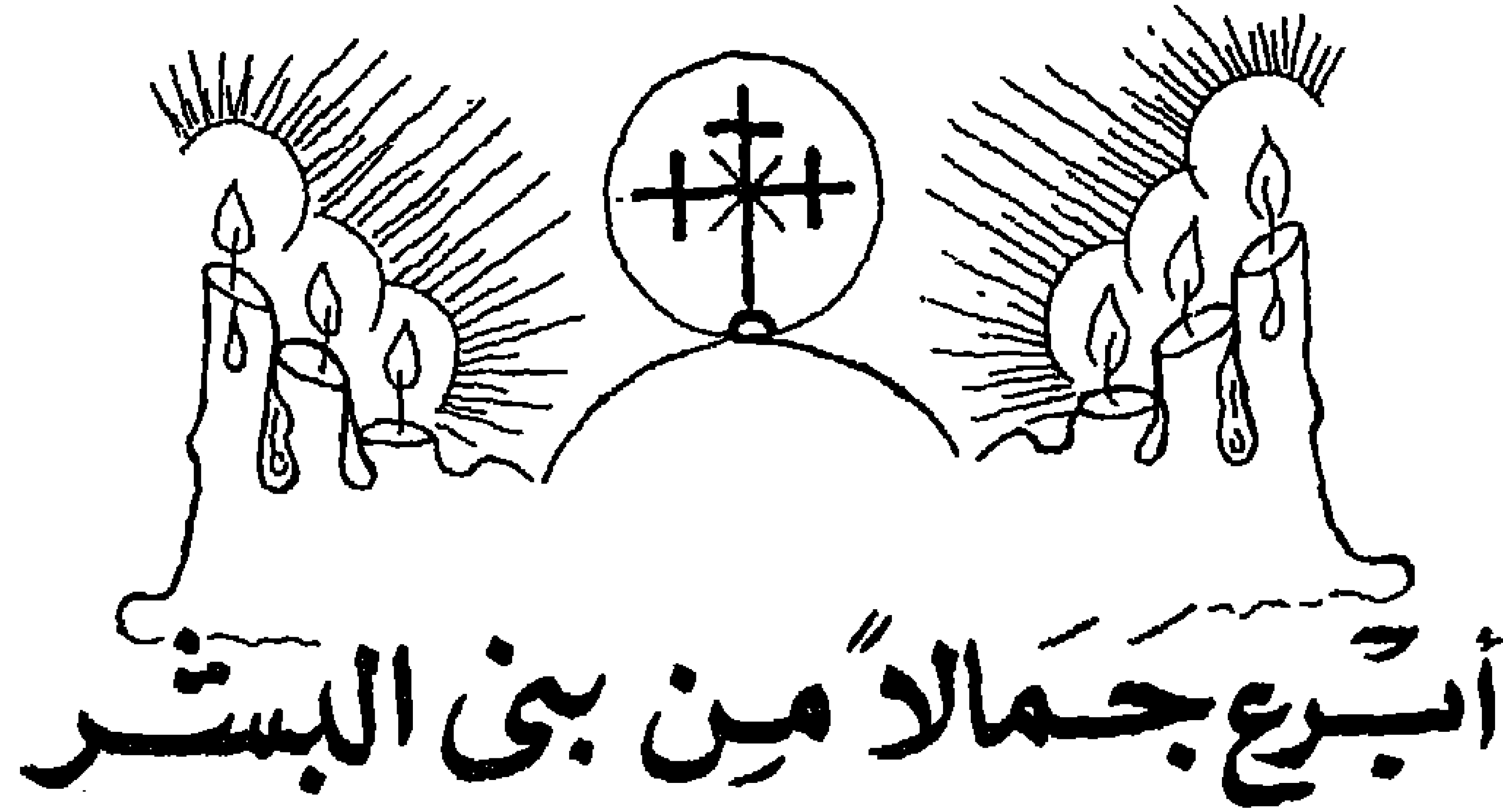
أولاً : مجد القيامة ، إذ أنه "سيغير شكل جسد تواضعنا ليكون على صورة جسد مجده" (فى٣: ٢١) . فهذا الجسد الفاسد يلبس عدم فساد. "يزرع فى هوان، ويقام فى مجد.. يزرع جسماً حيوانياً، ويُقام جسماً روحانياً" "وكما لبسنا صورة الترابى، سنلبس أيضاً صورة السمائى" (١كو١٥: ٤٣، ٤٩) . "نتغير إلى هذه الصورة عينها، من مجد إلى مجد" (٢كو٣: ١٨) .

"تُعتق من الفساد إلى حرية مجد اولاد الله" (رو٨: ٢١) .

وهكذا قال القديس بولس الرسول "إن آلام الزمان الحاضر، لا تُقاس بالمجد العتيد أن يستعلن فينا" (رو٨: ١٨) . وتحدث القديس بطرس الرسول عن "المجد العتيد أن يعلن" (١بط٥: ١) وقال "ومتى ظهر رئيس الرعاة، تنالون إكليل المجد الذى لا يبلى" (١بط٥: ٤) ذلك لأن "إله كل نعمة.. دعانا إلى مجده الأبدى فى المسيح يسوع" (١بط٥: ١٠) .

يأخذنا الرب معه فى السحب، لملاقاة الرب فى الهواء فى مجيئه الثانى "وهكذا نكون كل حين مع الرب" (١تس٤: ١٧) .





أبرع جمالاً من بنى البشر

(مز٤٥ : ٢)

جميل ومحب للجمال

إن الله كامل فى كل شئ ، والجمال فرع من كماله .

إنه جميل فى كماله ، وكامل فى جماله ...

قيل عنه فى المزامير إنه "أبرع جمالاً من بنى البشر" (مز٤٥: ٢) وقيل إنه "نور لا يُدنى منه" (١تى٦: ١٦) ، وأنه "النور الحقيقى" (يو١: ٩) . اشتهى داود جمال الرب فقال "واحدة طلبت من الرب وإياها ألتمس: أن أسكن فى بيت الرب كل أيام حياتى، لكى أنظر إلى جمال الرب وأتفرس فى هيكله" (مز٢٧: ٤) . مبهراً كان جمال الرب على جبل التجلى (مر٩) . وحينما ظهر للقديس يوحنا الرسول كان وجهه كالشمس وهى تضئ فى قوتها" (رؤ١: ١٦) .

ما أجمل ما قيل عن سيدنا يسوع المسيح فى سفر النشيد :

"فتى كالأرز، طلعته كلبنان. حلقه حلاوة وكله مشتهيات" (نش٥: ١٥، ١٦) . "رأسه ذهب أبريز.. عيناه كالحمام على مجارى المياه، مغسولتان باللبن" (نش٥: ١١، ١٢) . وقالت عنه الكنيسة "حبيبى أبيض وأحمر" (نش٥: ١٠) . أبيض فى نقاوة قلبه، وأحمر بالدم الكريم الذى سكبه لأجلنا ...



ولأن الله جميل ويحب الجمال ، ظهرت محبته للجمال فى الخليقة التى خلقها .

نبدأ بأن نذكر جمال الملائكة . صدقونى ، حتى الشيطان قيل عنه إنه كان قبل سقطته

إنـه كـان "مـلآن حكمـة وكـامل الجمـال" (حز٢٨: ١٢) ... السـماء كـانت جميلـة وكذلـك الأرض. وقد "نظر الله إلى كل ما عمله ، فإذا هو حسن جداً" (تك١: ٣١) .

انظروا إلى القمر فى السماء . كم هـو جميـل حينمـا يكمـل . لذلـك إذا وصفـوا إنسـاناً جميلاً ، يقولون إنه مثل القمر . والشمس أجمل بكثير من القمر ، بل إن القمر يستمد نوره وجماله منها . فى وصفه جمـال عذراء النشـيد، قيـل إنهـا "مشرقة مثـل الصبـاح، جميلـة كالقمر، طاهرة كالشمس" (نش٦: ١٠) . كذلك قيل فى جمال النجوم إن نجمـاً يفـوق نجمـاً فى الرفعة (١كو١٥: ٤١) .



والأرض خلقها الله جميلة جداً .

بكل ما فيها من بحار وبحيرات وأنهـار ، وأشـجار وثمـار وأزهـار .. وبمـا فيهـا مـن جبال ووديان وسهول ، ومناظر عجيبة تدل على إبداع الخالق ومحبته للجمـال . حتـى أن أمير الشعراء أحمد شوقى تغنى بهذه الطبيعة فى قصيدة مطلعها :

هذه الطبيعة قف بنا يا سارى حتى أريك بديع صنع البارى

حقاً ، ما أجمل منظر الطبيعة وقت الغروب ووقت الشروق . ومـا أجمـل قـوس قـزح بألوانه المتعددة . ما أجمل ألوان الزهور والورود والرياحين، متناسـقة، وهـى جميلـة فـى تعدد أنواعها ، وفى جمال رائحتها . لا يمكن أن تضاهيها الزهـور الصناعيـة مهمـا أفتـن الإنسان فى صنعها ، وتبقى بلا حياة بلا رائحة بلا ليونـة ...

من محبة الله للجمال ، حينما خلق الإنسان وضعه فى جنة .

بكل ما تحمل كلمة جنة من جمال . وما يضيفه هذا الجمـال مـن الرقـة ومـن الشـعور بالسعادة . كان كل ما فيها جميلاً : الزهر والطير والشجر والثمر ، والطبيعة الخلابة .



والإنسان نفسه خلقه الله جميلاً .

يكفى ما قيل عنه فى الكتاب "إن الله خلقه على صورتـه، كشـبهه ومثالـه" (تـك١: ٢٦، ٢٧). كانت حواء جميلة جداً، بل أجمل إمرأة فى الوجود . لم تستحق هذا الوصـف بعدهـا سوى القديسة مريم . وكان آدم جميلاً أيضـاً . ولـم تشـوّه جمـال الإنسـان سـوى الخطيـة . ولكنه فى البدء لم يكن كذلك . لقد خلقه الله جميلاً .

وكثير من الأنبياء والقديسين وصفهم الكتاب بالجمال .

يوسف الصديق كان جميلاً ، قيل عنه إنه "كان حسن الصورة وحسن المنظر" (تك٣٩: ٦). وموسى النبى قيل إنه "كان جميلاً جداً" (أع٧: ٢٠) (عب١١: ٢٣) . ولعل هذا مما جعل إبنة فرعون تأخذه معها إلى قصرها وتتبناه ، فدُعى ابن ابنة فرعون (عب١١: ٢٤). وداود النبى كان أيضاً جميلاً "كان أشقر مع حلاوة فى العينين، وحسن المنظر" (١صم١٦: ١٢، ١٨). وسارة زوجة أبينا ابراهيم كانت جميلة وهى فى التسعين من عمرها، لدرجة أن أبيمالك ملك جرار أخذها إلى بيته لتكون له إمرأة (تك٢٠: ٢) . وبنات أيوب الصديق اللائى وُلدن له بعد التجربة، قال الكتاب عنهن " ولم توجد نساء جميلات كبنات أيوب فى كل الأرض" (أى٤٢: ١٥) .



اتصف كل هؤلاء بجمال الجسد ، وجمال الروح أيضاً .

ولعلنا نذكر من هذا المثال : استير التى كانت أجمل نساء عصرها ، حتى أنهم اختاروها زوجة للملك أحشويرش "وكانت الفتاة جميلة الصورة وحسنة المنظر" (أس٢: ٧، ٩). "وكانت تنال نعمة فى عينى كل من رآها" (إس٢: ١٥) . وهى القديسة التى صامت، ودعت الشعب كله إلى الصوم، وأنقذت شعبها، وكان الله معها" (إس٤: ١٦) .

وأعظم مثل نسائى فى جمال الصورة وجمال الروح أيضاً هو القديسة العذراء مريم.

إنك تنظر إلى صورة العذراء ، فتجدها جميلة. ولكن ليس بمثل الجمال العادى. وإنما أيضاً جمال الروح أضفى على صورتها لوناً من الجمال الروحى . يظهر فى صورتها ما فى قلبها من وداعة وبساطة وعفة وهدوء وسلام، وباقى الفضائل الجميلة .



إن الجمال هبة من الله ، تزداد بهاءً بجمال الفضيلة فى الروح .

ملامح الوجه تكشف عن حالة الروح من خير أو شر، وتكشف مشاعر القلب. وبخاصة العين فهى مرآة لكل الأحاسيس الداخلية فى الإنسان، إن كان فى قلبه حب أو شهوة، يظهر ذلك فى عينيه. وإن كان فى قلبه غضب أو حقد أو رغبة فى الانتقام ، يظهر فى عينيه أيضاً. ما فى القلب من قسوة أو من طيبة تكشفه العين. وما فى القلب من خوف أو من شجاعة تظهره العين ...

كذلك القداسة والطهر والنقاوة كلها تظهر فى ملامح الوجه وفى نظرات العينين . لهذا ما أجمل ما قاله القديس يوسف للقديس الأنبا أنطونيوس الكبير "يكفينى مجرد النظر إلى

وجهك يا أبى" .

فحينما خلق الله الإنسان خلقه جميلاً جسداً وروحاً .

بالخطية فقد الإنسان هذا الجمال . وجاء السيد المسيح يقدّم لنا الصورة الإلهية التى فقدها الإنسان . إذ أنه "صورة الله غير المنظور" (كو ١: ١٥) "وهو بهاء مجده ورسم جوهره" (عب١: ٣) . قدّم لنا الكمال فى الجمال، صورة وروحاً .

✠ ✠ ✠

والله المحب للجمال ، منح الجمال أيضاً لمخلوقات عديدة .

الطيور مثلاً فى تعدد أنواعها وأشكالها . وجمال أصواتها وتنوع نبراتها، تعزف للكون موسيقى عجيبة وجميلة ومفرحة . والفراشات فى جمال ألوانها ، وتنوع صور هذه الألوان تدل على إبداع الخالق فيما وهبها من جمال فى عشرات أو مئات الأشكال التى يعجز أى فنان عن تصوير مثل تلك المجموعة العجيبة. كذلك الأسماك الملونة بمئات الأشكال والألوان المذهلة، تعطينا فكرة عن الخالق المحب للجمال ...

والزهور والورود والرياحين، يكفى فى جمالها ما قاله رب المجد عنها : "تأملوا زنابق الحقل.. ولا سليمان فى كل مجده كان يلبس كواحدة منها" (مت٦: ٢٨- ٣٠) .

ولم يعطِ الله الجمال للإناث فقط، بل للذكور أيضاً .

كما قال البعض : إن الأسد أكثر جمالاً فى شكله من اللبؤة . والديك أكثر جمالاً من الدجاجة . والفرس أكثر جمالاً من أنثاه .

بل منح الله الجمال لكائنات لا ذكر فيها ولا أنثى ، كمناظر الطبيعة .

✠ ✠ ✠

إن كان الجسد فى الأرض له جمال ، فماذا نقول عن الأجسام فى القيامة .

هذه التى وصفها القديس بولس الرسول بأنها ستقوم فى مجد وفى قوة . تقوم أجساماً روحانية وأجساماً سماوية (١كو١٥: ٤٣- ٤٩). بأية صورة جميلة إذن سوف يقيمها الله محب الجمال؟! ما أعجب ما قاله عن ذلك القديس بولس الرسول . إذ قال عن السيد المسيح "..الذى سيغير شكل جسد تواضعنا ، ليكون على صورة جسد مجده.." (فى٣: ٢١) ... حقاً ما أجمل وما أبهى "صورة جسد مجده" ...

✠ ✠ ✠

الله المحب الجمال ، اهتم أيضاً بأن يكون الجمال أيضاً فى بيته .

بهذا الجمال وضع مثالاً لخيمة الإجتماع أمام موسى النبى. وصنع موسى كل شئ "كما

أمر الرب موسى" . وتكررت هذه العبارة كثيراً فى سفر الخروج (خر ٤٠). بل إن الرب دعا فناناً عظيماً هو "بصلئيل ، وملأه من روح الله بالحكمة والفهم والمعرفة وكل صنعة، لاختراع مخترعات ، ليعمل فى الذهب والفضة والنحاس ، ونقش حجارة للترصيع ونجارة الخشب ، ليعمل فى كل صنعة" (خر ٣١: ٢- ٥) .

ولم يكتف الرب بذلك ، بل اختار المواد أيضاً ، لكى يقوم بصلئيل وأهوليآب وكل حكيم قلب من صانعى العمل، بصنع خيمة الإجتماع من "بوص مبروم واسمانجونى وأرجوان وقرمز بكاروبيم صنعة حائك حاذق" (خر ٣٦: ٨) .

كذلك اختار من الخشب خشب السنط الذى لا يسوس، ومن الأحجار الكريمة الذهب والفضة . فكانت أوانى المذبح من الذهب النقى . وصنع المنارة من ذهب نقى. وكذلك غطاء تابوت العهد من ذهب نقى، عليه كاروبان باسطين أجنحتهما إلى فوق مظللين على الغطاء (خر ٣٧) .



وكما فى جمال خيمة الإجتماع ، جعل الله الجمال فى ثياب هرون رئيس الكهنة .

"من الأسمانجونى والأرجوان والقرمز صنعوا الثياب المقدسة لهرون كما أمر الرب موسى ... وصنع الصدرة كصنعة الرداء من ذهب وأسمانجونى وأرجوان وقرمز وبوص مبروم (خر ٣٩). وعجيبة هى أوصاف ملابس هرون فى جمالها، هو وكل بنيه، كما أمر الرب ، ملابس للمجد والبهاء (خر ٢٨: ٤٠). وعلى أذيال ملابس هرون جلاجل من ذهب، ورمانة جلجل ذهب على أذيال الجبة (خر ٢٨: ٣٣، ٣٤) . وعلى عمامته صفيحة من ذهب، ينقش عليها نقش خاتم: قدس للرب .

وهكذا قال الرب لموسى "أصنع ثياباً مقدسة لهرون أخيك، للمجد والبهاء. وتكلّم جميع حكماء القلوب الذين ملأتهم روح حكمة، أن يصنعوا ثياب هرون لتقديسه ليكهن لى" (خر ٢٨: ٢، ٣). إن الله المحب للجمال، هكذا ألبس هرون ملابس جميلة وصفها بنفسه..



نفس الوضع فى جمال خيمة الاجتماع قيل عن الهيكل أيضاً، بل وأكثر جداً .

"عمل سليمان جميع آنية بيت الرب من ذهب: المذبح، والمائدة، والمنائر من ذهب... والسرج والملاقط من ذهب.. والمجامر من ذهب خالص" (١مل ٧: ٤٨- ٥٠) . وما أكثر النقوش الجميلة التى كانت فى الهيكل، وفى الأعمدة وتيجانها وقواعدها .. اختير لكل ذلك

حيرام الذى كان ممتلئاً حكمة وفهماً ومعرفة (١مل٧: ١٣، ١٤) .

ربما يظن البعض أن يكون كل شئ (ببساطة) سواء فى البناء أو الملابس .. ولكن الله المحب للجمال أراد أن يكون بيته فى منتهى الجمال والروعة ...

هذا الجمال الذى اتصف به سليمان فى عمله وتشييده، جعل ملكة سبأ تنذهل "ولـم يبقَ فيها روح بعد" (١مل١٠: ٥) .

كان بيت الرب تحفة فى الجمال ، فى بنائه ونقوشه وفى صلواته أيضاً .

ليس فقط الهيكل ، إنما أيضاً الخيمة التـى وصفت بالقبـة . ونقـول عنهـا فـى التسبحة "زينت نفوسنا يا موسى النبى. بكرامـة القبـة ، التـى زينتهـا" ... كـل هـذا جعـل المؤمنيـن يسبحون الرب قائلين "مساكنك محبوبة أيها الرب إله القـوات" (مـز٨٤: ١) . محبوبـة فـى جمال البناء وجمال العبادة .



وهكذا جعل الله الكنيسة جميلة فى كل شئ .

جميلة بما فيها مـن أيقونـات جميلـة، وجميلـة بأنوارهـا وشـموعها وبخورهـا. وجميلـة بأعمدتها الإثنى عشر التى تمثل الرسل الإثنى عشر، وما للأعمدة من تيجان تمثـل أكـاليل الرسل. وجميلة بطقوسها وكل ما تحمله هذه الطقوس من معانٍ ورموز. وجميلـة بألحانهـا وموسيقاها وتسابيحها وترانيمها .



من محبة الله للجمال ، وهبنا الموسيقى والغناء فى عبادتنا .

كما قال بولس الرسول عن هذه العبادة ".. بمزامير وتسابيح وأغانى روحية، مـترنمين ومرتلين فى قلوبكم للرب" (أف٤: ١٩) (كو٣: ١٦) .

ما أجمل أن نصلى للرب ونغنـى لـه . حتـى أن عبـارة "سبحوا لـلرب تسـبيحاً جديـداً" يترجمها البعض "غنوا للرب أغنية جديدة" .

كان داود النبى يصلى مزاميره تصحبه جوقة كبيرة من الموسيقيين ... ويصلـى علـى العود والمزمار والقيثار والعشرة الأوتار ، بموسيقى جميلة وألحان حلوة الإيقاع . ومازلنا حتى الآن نصلى القداس الإلهى بصلوات ملحنـة، ونقرأ الإنجيـل بنفس القـراءة المنغمـة. وهكذا كل التسابيح .

ويشرح داود هذه الأنواع من الموسيقى فيقول "سبحوه بأوتار ومزمار. سبحوه بصنوج

التوصيت سبحوه بصنوج الهتاف كل نسمة فلتسبح الرب إلهنا. هللويا (مز ١٥٠: ٣- ٥).

✠ ✠ ✠

فى موسيقى العبادة جو من الجمال والتأثير .

ولذلك فإننى أحث الآباء الكهنة فى المهجر، أن تكون ترجمتهم لصلوات القداس مصحوبة باللحن. فإن الصلوات التى تُصلى دمجاً، بغير لحن، كثيراً ما تفقد روحانيتها وتأثيرها .

بل إن كثيراً من أسفار الكتاب - وبخاصة الأسفار الشعرية، كانت لها موسيقاها التى لمنظومات الشعر، مثل أسفار أيوب والمزامير، ونشيد الأناشيد الذى يمكن أن يُترجم بأغنية الأغنيات ، وبعض كتب سليمان، وبعض التسابيح الموجودة داخل كثير من الأسفار، كانت تُغنى .

✠ ✠ ✠

إلى جوار جمال الموسيقى فى الكنيسة ، وهبنا الله جمال الفن .

فن العمارة فى الكنيسة ، بكل ما يحمل من نقوش ومن رموز ، وفن الأيقونة وما توحى به من روحيات ، بالإضافة طبعاً إلى فن الموسيقى ...

لقد شاء الله فى خيمة الإجتماع أن يكون هناك فن النسيج أيضاً، والفن فى صناعة الذهب والفضة والنحاس والخشب . لأنه فى كل ذلك يبدى الفن جمالاً يحبه الله . وهذا الجمال له تأثير روحى .

والله الذى يحب الجمال هو الذى منح البعض موهبة ألوان من الفن، كما قال عن بصلئيل "ملأته من روح الله بالحكمة والفهم وكل صنعة الاختراع" (خر ٣١: ٣) .

✠ ✠ ✠

ومن الجمال الذى يحبه الله أيضاً فى الكنيسة جمال النظام .

كل شئ فى الكنيسة مرتب بطريقة إلهية ، كما قال الرب "ليكن كل شئ بلياقة وحسب ترتيب" (١كو ١٤: ٤٠) . وفى معجزة الخمس خبزات والسمكتين قال أولاً "أتكئوهم فرقاً، خمسين خمسين" (مر ٦: ٤٠).

إن الكنيسة تشبه بالسماء ، فى جمالها وفى رتبها . ونقول عنها أيضاً : "كما فى السماء، كذلك الأرض" ... كل شئ بترتيب ، لأن الترتيب جميل، والله يحبه. ويقول الوحى الإلهى "تجنبوا كل أخ يسلك بلا ترتيب" (٢تس ٣: ٦) .

✠ ✠ ✠

انظروا أيضاً جمال الأسلوب، كما فى إنجيل يوحنا ورسائله .

جمل متتابعة مرتبة فى Rythm عجيب. كأن يقول: فيه كانت الحياة، والحياة كانت نور الناس. والنور أضاء فى الظلمة، والظلمة لم تدركه" (يو ١) .. أو كما فى رسالته الأولى "منا خرجوا، ولكنهم لم يكونوا منا. لأنهم لو كانوا منا، لبقوا معنا" (١يو٢: ١٩) .

بل حتى فى التعامل والتخاطب بين الناس، جمال الأسلوب فى الحديث ، يزرع المحبة ويزرع التأثير. والكلمة الجميلة المنتقاة لها تأثيرها فى النفس . والمعاملة الجميلة، من نتائجها الصداقة والمودة . بل الإبتسامة الحلوة لها جمالها وتأثيرها .



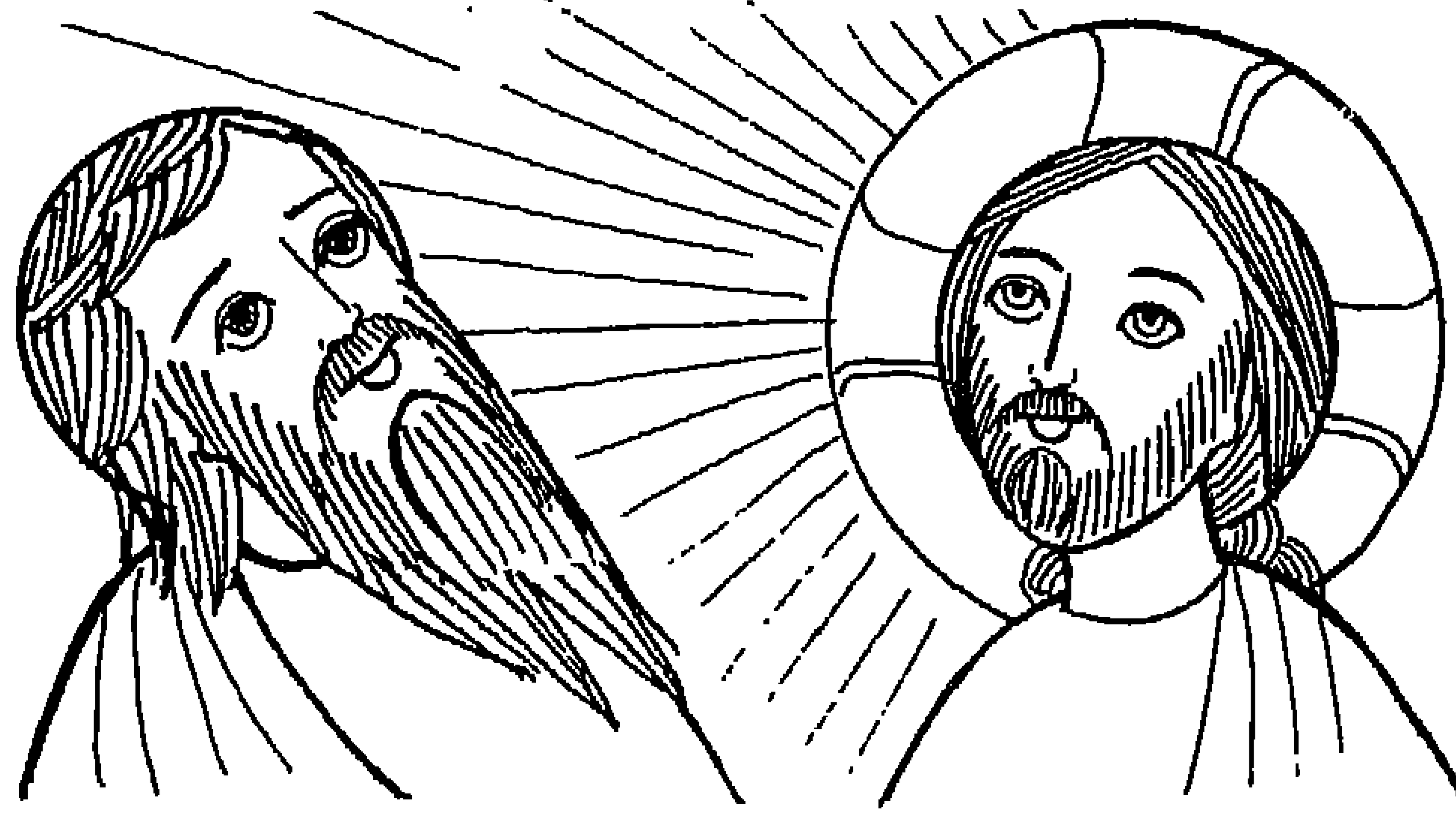
أهم جمال يطلبه الله من الإنسان ، هو جمال الروح .

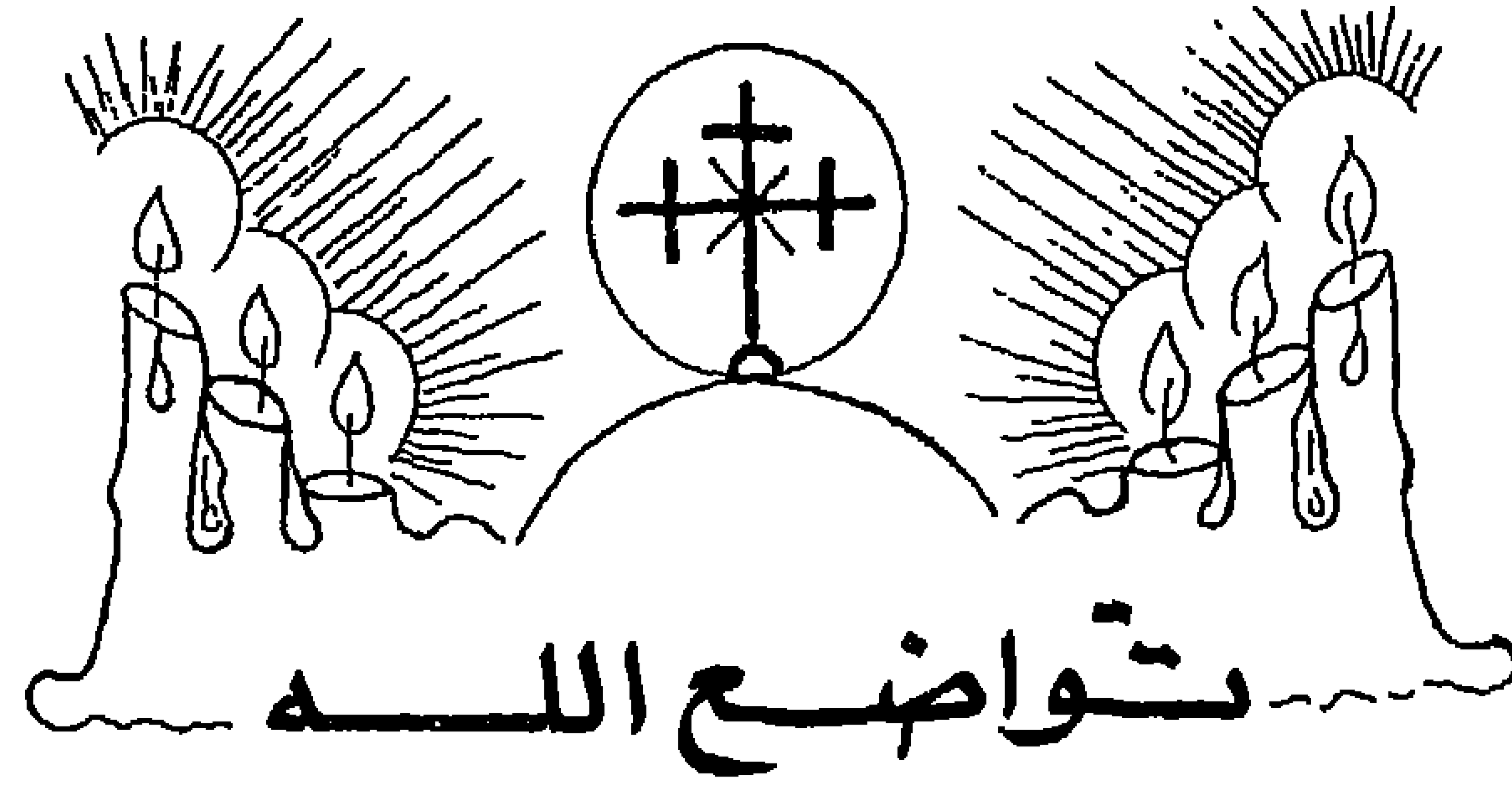
الروح التى قال عنها سفر النشيد إنها "معطرة بالمر واللبان وكل أذرة التاجر" (نش٣: ٦). الروح المعطرة بالطهر والقداسة . وكما قال القديس بطرس الرسول "زينة الروح الوديع الهادئ، الذى هو عند الله كثير الثمن" (١بط٣: ٤) .



إن الله الجميل محب الجمال، قد كنز كنوزاً من الجمال فى الأبدية .

عبر عنها الرسول بقوله "ما لم تره عين، ولم تسمع به أذن، ولم يخطر على قلب بشر، ما أعده الله للذين يحبونه" (١كو٢: ٩) ... جمال العشرة مع الله، جمال أورشليم السمائية التى هى كعروس مزينة لعريسها (رؤ٢١: ٢) ... جمال الملائكة ، جمال التسابيح، جمال الحياة بالروح، وعشرة القديسين ، جمال الحياة التى بلا خطية، جمال معرفة الله (يو١٧: ٣) وأن ننظره وجهاً لوجه" (١كو١٣: ١٢). جمال مثل وجه موسى الذى أنار حتى ألبسوه برقعاً (٣٤: ٢٩، ٣٠) .





الله هو الوحيد المتواضع .

لأنه الوحيد العالى جداً، الذى لا حدود لعظمته ومجده. ومع ذلك فهو يتنازل لخليقته تواضعاً منه .. أما البشر الذين هم تراب ورماد، وقبل ذلك كانوا عدماً ، فأى تواضع يتواضعونه، وعن أى مجدٍ ينزلون؟!

لذلك حسناً أن أحد الآباء حينما تحدث عن تواضع البشر، قال :

تواضع الإنسان هو أن يعرف نفسه .

مثلما حدث مع أبينا ابراهيم ، حينما تشفع فى سادوم، قال فى كلامه مع الرب "شرعت أن أكلم المولى، وأنا تراب ورماد" (تك١٨: ٢٧) ... هنا أبو الآباء عرف نفسه أنه تراب ورماد. لم ينزل من مستوى عالٍ، وإنما عرف مستواه الحقيقى، أنه تراب، مهما أحاط به من غنى ومن مركز ...



من تواضع الله أنه - وهو ملك الملوك ورب الأرباب (رؤ١٩: ١٦) - يتنازل ويتحدث مع هذا التراب والرماد ...

يتحدث كثيراً مع موسى ، حتى دُعى "كليم الله" . ويعطيه الفرصة أن يقضى معه أربعين يوماً على الجبل، يشرح له ويريه المثال الخاص بخيمة الإجتماع (عب٨: ٥)، حيث قال له "بحسب جميع ما أنا أريك من مثال المسكن ومثال جميع آنيته، هكذا تصنعونه" (خر٢٥: ٩) .. وما أكثر الأنبياء والرسل الذين تحدث معهم الرب، وكان هو البادئ بالكلام .



بل أن الرب - من تواضعه - كان يعرض بعض تدابيره على أحبائه من البشر، قبل أن يتخذ قراراً .

فقبل أن يحرق سادوم، نراه يقول "هل أخفى عن ابراهيم ما أنا فاعله؟! وابراهيم يكون أمة كبيرة وقوية، ويتبارك به جميع أمم الأرض" (تك١٨: ١٧، ١٨). ويسمح الرب لابراهيم أن يحاوره، بل أن يقول له فى جرأة "حاشا لك أن تفعل مثل هذا الأمر، أن تميت البار مع الأثيم. فيكون البار كالأثيم. حاشا لك . أديان الأرض كلها لا يصنع عدلاً؟!" (تك١٨: ٢٥). ويظل يتفاوض معه ، حتى يقول له الرب : لا أهلك المدينة من أجل العشرة ...

ومن تواضع الله ، لما أراد أن يفنى بنى إسرائيل بعد أن عبدوا العجل الذهبى، عرض الأمر أولاً على عبده موسى، وقال له "رأيت هذا الشعب، وإذا هو شعب صلب الرقبة، فالآن أتركنى ليحمى غضبى عليهم وأفنيهم، فأصيرك شعباً عظيماً" (خر٣٢: ٩، ١٠). عجيب هو تواضع الرب فى قوله لموسى "أتركنى"! والعجيب أيضاً أن موسى لم يترك الرب يفعل ذلك. بل قال له "إرجع عن حمو غضبك، واندم على الشر بشعبك. اذكر ابراهيم واسحق واسرائيل عبيدك..". على أن الأعجب من هذا كله، أن الرب سمع لموسى ونفّذ له ما طلبه. وهكذا يقول الكتاب "فندم الرب على الشر الذى قال إنه يفعله بشعبه" (خر٣٢: ١١- ١٤).

✠ ✠ ✠

من تواضع الرب ، ليس فقط أنه تحدث مع عبيده الأنبياء، بل ما هو أكثر من هذا، تحدث مع الأطفال .

لقد تحدث مع صموئيل الطفل، وكلفه برسالة ينقلها إلى عالى الكاهن الشيخ، بينما كان صموئيل فى سن لم يستطع فيه أولاً أن يميز صوت الله..!

وتحدث الرب مع أرميا الطفل. وقال له "قبلما صورتك فى البطن عرفتك. وقبلما خرجت من الرحم قدستك. جعلتك نبياً للشعوب" (أر١: ٥) . ولما قال أرميا "آه يا سيد الرب. إنى لا أعرف أن أتكلم لأنى ولد"، حينئذ شجعه الرب وقواه. وقال له "انظر قد وكلتك اليوم على الشعوب وعلى الممالك. لتقلع وتهدم وتهلك وتنقض، وتبنى وتغرس" "هأنذا قد جعلتك اليوم مدينة حصينة وعمود حديد، وأسوار نحاس على كل الأرض.. فيحاربونك ولا يقدرون عليك، لأنى أنا معك - يقول الرب - لأنقذك" (أر١: ٦- ١٩) .

حقاً، ما أعجب هذا التواضع ، الذى به يتحدث الرب هكذا مع طفل ..

✠ ✠ ✠

أيضاً ما أعجب عمق تواضع الرب فى تجسده .

إذ يقول الكتاب عنه فى هذا إنه "أخلى ذاته، آخذاً صورة عبد، صائراً فى شبه الناس. وإذ وجد فى الهيئة كإنسان، وضع نفسه وأطاع حتى الموت موت الصليب" (فى٢: ٧، ٨)

ومن تواضعه فى هذا التجسد ، أنه لم يأتِ إلى العالم محاطاً بالقوات السمائية وصفوف الملائكة، بل وُلد من أم فقيرة، فى مزود بقر، حيث لم يكن لهم موضع فى المنزل (لو٢: ٧).. وفى تواضعه عاش مرحلة الطفولة . وقيل عنه "وأما يسوع فكان ينمو فى الحكمة والقامة والنعمة عند الله والناس" (لو٢: ٥٢). بل قيل إنه كان خاضعاً لمريم ويوسف (لو٢: ٥١).

✠ ✠ ✠

ومن تواضعه أنه هرب مع أمه ويوسف إلى مصر (مت٢: ١٣) .

كان يمكنه أن يضرب هيرودس هذا فيموت، ولكنه لم يفعل، بل ذهب فى هدوء إلى مصر، دون أن يقاوم الشر (مت٥: ٣٩). وقضى سنوات فى مصر، إلى أن مات هيرودس فرجع منها وسكن فى الناصرة .

ومن تواضعه أنه عاش ما يقرب من الثلاثين سنة ، لا يعرفون عنه شيئاً .

عاش فى شبه اختفاء إلى أن بلغ الثلاثين، بادئاً خدمته فى هذه السن خاضعاً للناموس. وكان بإمكانه فى كل سنة منها أن يعمل أعمالاً عظيمة، ولكنه لم يفعل. لأن ساعته لم تكن قد أتت بعد!! (يو٢: ٤) .

✠ ✠ ✠

ومن تواضعه إنه تقدم إلى معمودية التوبة .

فعل ذلك كباقى الناس، لكى يتمم كل بر (مت٣: ١٥). مع أن يوحنا استحى منه، قائلاً "أنا محتاج أن اعتمد منك، وأنت تأتى إلىّ!!" (مت٣: ١٤) . ولكنه تمم المعمودية، وهو غير محتاج إلى توبة، لأنه قدوس (لو١: ٣٥) . لقد فعل ذلك فى اتضاع ، لكى ينوب عن البشرية فى هذه المعمودية .

✠ ✠ ✠

ومن تواضعه أنه سمح للشيطان أن يجربه !!

ما كان أسهل عليه أن ينتهره فيذهب ، كما فعل أخيراً (مت٤: ١٠) . ولكنه أعطى الشيطان الفرصة فى اختيار نوع التجربة ومكان التجربة. وكان فى كل ذلك فى عمق الإتضاع، حتى أن الشيطان تجاسر أن يقول له "أعطيك هذه جميعها، إن خررت وسجدت لى" (مت٤: ٩)!!

ولم تكن هذه التجارب الثلاث التى ذكرت فى إنجيل متى، وفى إنجيل لوقا(لو٤: ١- ١٣) بل طوال الأربعين يوماً كلها التى قضاها فى البرية كان يجرب من الشيطان (مر١: ١٣). بل قيل عنه فى الرسالة إلى العبرانيين إنه "مجرب فى كل شئ مثلنا بلا خطية" (عب٤: ١٥). "لأنه فيما هو قد تألم مجرباً، يقدر أن يعين المجربين" (عب٢: ١٨) .

إذن تجاربه صدرت عن إتضاع، وعن حب "ليرثى لضعفاتنا" (عب٤: ١٥) .

✠ ✠ ✠

ومن تواضعه إنه لم يكن له أين يسند رأسه (مت٨: ١٠) .

بلا بيت، بلا موضع إقامة . يطوف المدن والقرى يكرز ببشارة الملكوت (مت٤: ٢٣) (لو١٣: ٢٣) .يستضيفه الناس فى بيوتهم . أما هو فليس له بيت. أحياناً يبيت فى جبل الزيتون (يو٨: ١) . يعيش حياة الفقر والعوز . حتى أنه حينما طالبوه بأن يدفع الدرهمين، لم يكن له" (مت١٧: ٢٤- ٢٧) .

✠ ✠ ✠

من تواضع الرب أنه كان يقبل حوار معارضيه .

وما أكثر ما حدث ذلك مع الكتبة والفريسيين والصدوقيين والكهنة وشيوخ الشعب. كل أولئك الذين كانوا يريدون أن يصطادوه بكلمة" (لو١١: ٥٤). وهكذا وقفوا ضده كلما كان يصنع آية فى يوم سبت. وبكل إتضاع كان يشرح لهم أنه يحق فعل الخير فى السبوت (مت١٢: ١٢). كذلك حينما سألوه فى خبث "أيجوز أن تعطى جزية لقيصر أم لا" (مر٢٢: ١٧). وبنفس الوضع حينما سأله الصدوقيون "فى القيامة لمن من السبعة تكون هذه المرأة زوجة، لأنها كانت للجميع؟!" (مت٢٢: ٢٨) .

كانت كلها أسئلة تحمل خبثاً وإحراجاً. ولكنه كان يجيب عليها، بغض النظر عن الدافع السئ للسؤال، ومحاولة السائلين أن يوقعوه فى خطأ !!

✠ ✠ ✠

ومن تواضعه أنه كان يقبل دخول ولائم الخطاة .

فلكى يرفع نفسية الخطاة التائبين ، كان يقبل أن يدخل بيوتهم ويأكل معهم. حتى أنهم اتهموه بأنه "أكول وشريب خمر، محب للعشارين والخطاة" (مت١١: ١٩) . وكان يقول لهم "لا يحتاج الأصحاء إلى طبيب، بل المرضى.. لأنى لم آتِ لأدعو أبراراً بل خطاة إلى التوبة" (مت٩: ١١- ١٣).

حقاً ، ما أعظم تواضع الرب حينما يجلس مع هؤلاء الخطاة والمرضى، وحينما دخل بيت زكا رئيس العشارين، واحتمل انتقاد اليهود له فى كيف يدخل بيت رجل خُاطئ. ولكنه بكل اتضاع أجابهم: اليوم حصل خلاص لهذا البيت، إذ هو أيضاً ابن ابراهيم. لأن ابن الإنسان قد جاء لكى يطلب ويخلص ما قد هلك" (لو١٩: ٥- ١٠) .

✠ ✠ ✠

ومن تواضع الرب أنه أبقى على الشيطان ولم يفنه .

على الرغم من أنه يحارب ملكوته وباصرار. بل قبل منه طلبه مرتين أن يجرب أيوب الصديق مشتكياً على ذلك البار (أى١، ٢) .

ومن تواضع الرب أنه سمح أن يحل الشيطان من سجنه. وهو يعلم أنه سيعمل ضد ملكوته، وأنه سيخرج ليضل الأمم (رؤ٢٠: ٧، ٨) .

✠ ✠ ✠

ومن تواضع الرب قبوله أن يحاكم أمام مجلس السنهدريم .

وأن يشق رئيس الكهنة ثيابه ويقول عنه "قد جدّف. ما حاجتنا بعد إلى شهود" (مت٢٦: ٦٥). كذلك قبوله أن يقف فى المحاكمة أمام بيلاطس الذى أرسله أيضاً إلى هيرودس فاستهزأ به !!

✠ ✠ ✠

من تواضعه أيضاً قبوله كل آلام الصليب وإهاناته .

إنه تواضع ممزوج بالحب لأجل خلاصنا . تواضع قبل فيه صنوف التحدى والإستهزاء، مستهيناً بالخزى من أجل السرور الموضوع أمامه (عب١٢: ٢). وهذا السرور هو أن يفدينا ويكون كفارة عن خطايا كل العالم (١يو٢: ٢) .

إنه تواضع قبل فيه أن يُلطم ويُجلد ويبصق على وجهه، ولهذا يقول له فى القداس الغريغورى "بذلت ظهرك للسياط، وخديك اهملتهما للطم" وكان هذا تحقيقاً للنبوة التى قيلت عنه فى سفر أشعياء النبى "بذلت ظهرى للضاربين، وخدىّ للناتفين. وجهى لم أستر عن العار والبصق" (اش٥٠: ٦) .

✠ ✠ ✠

عجيب أن الرب جعل صلبه علناً ، وقيامته وصعوده سراً .

فى تواضعه قبل أن يكون صلبه أمام جميع الناس معلقاً أمامهم على جبل الجلجثة. أما مجد القيامة فكان سراً لم يره أحد، بل أعلن عنه الملائكة والقبر الفارغ. وكذلك مجد

الصعود لم يره سوى تلاميذه (أع١: ٩).

✠ ✠ ✠

فلنشكر هذا الرب المتواضع الذى لم يستحِ أن يدعونا أخوة له ...

بل صار بكراً وسط أخوة كثيرين (عب٢: ١١- ١٧) . وقبل أن يشركنا أيضاً فى ملكوته ، حيث نسكن معه فى أورشليم السمائية، التى هى مسكن الله مع الناس (رؤ٢١: ٣). وحينئذ يتحقق وعده القائل "حيث أكون أنا تكونون أنتم أيضاً" (يو١٤: ٣) .

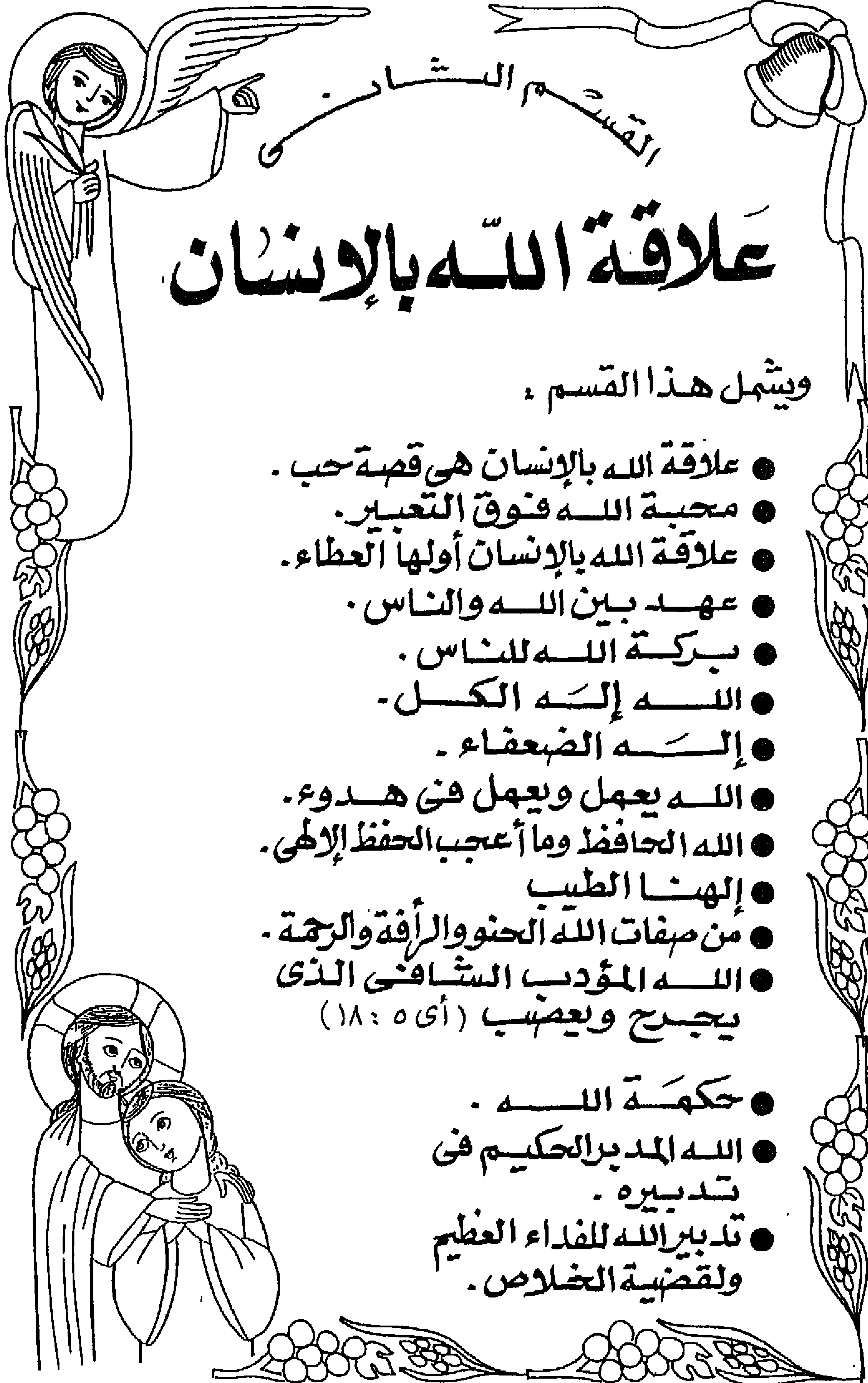
من نحن يارب حتى نكون معك؟! نحن التراب والرماد، المزدرى وغير الموجود (١كو١: ٢٨)؟!

إنه ليس استحقاقنا ، بل هو تواضعك .

أنت المقيم المسكين من التراب ، والرافع البائس من المزبلة ، ليجلس مع رؤساء شعبه (١صم٢: ٨) ...

إلهنا المتواضع الذى رفض الملك ، وقبل الصليب، لأنه حقاً قد ملك على خشبة .. ليكن إسم الرب مباركاً من الآن وإلى الأبد . قد أعطانا صورة الله "الوديع والمتواضع القلب" (مت١١: ٢٩) .



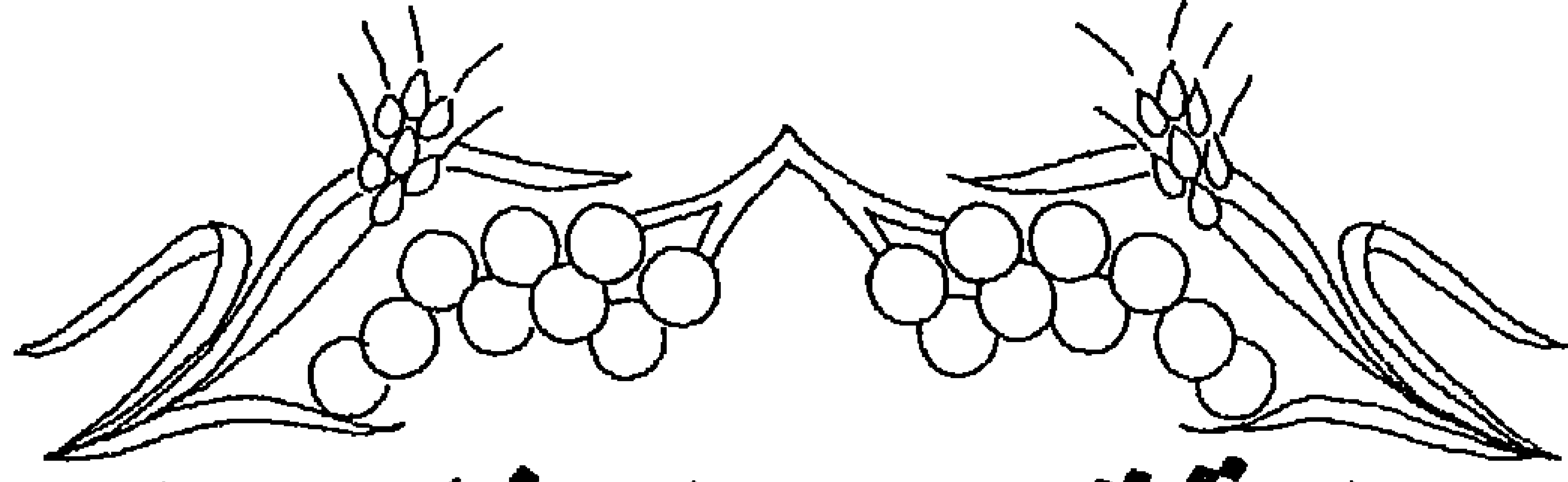


القسم الثانى

علاقة اللّه بالإنسان

ويشمل هذا القسم :

- علاقة الله بالإنسان هى قصة حب .
- محبة الله فوق التعبير .
- علاقة الله بالإنسان أولها العطاء .
- عهد بين الله والناس .
- بركة الله للناس .
- الله إله الكل .
- إله الضعفاء .
- الله يعمل ويعمل فى هدوء .
- الله الحافظ وما أعجب الحفظ الإلهى .
- إلهنا الطيب
- من صفات الله الحنو والرأفة والرحمة .
- الله المؤدب الشافى الذى يجرح ويعصب (أى ٥ : ١٨)
- حكمة الله .
- الله المدبر الحكيم فى تدبيره .
- تدبير الله للفداء العظيم ولقضية الخلاص .



علاقة الله بالإنسان هى قصة حب

هى قصة حب بدأها الله ...

فقد أحب الله الإنسان من قبل أن يوجد . ومن أجل هذا أوجده ..

أحبه حين كان فى عقله فكرة ، وفى قلبه مسرة ...

كان الله وحده فى الأزل ، ومرت دهور طويلة وآباد، ولم يكن هناك إنسان ، ولا كائنات أخرى .. وكان من الممكن أن يستمر الأمر هكذا .. ولكن الله شاء أن يخلق موجودات أخرى . خلق الملائكة أرواحاً (مز ١٠٤: ٤). وخلق المادة . ثم أراد أن يخلق كائناً فيه الروح والمادة ، وهكذا خلق **الإنسان** .. خلق التراب أولاً ، ثم نفخ فيه نسمة حياة (تك٢: ٧)، فصرنا نحن .. **وأحبنا الله** .



ومن حبه لنا ، خلقنا على صورته ، كشبهه ومثاله (تك١: ٢٦، ٢٧) .

لم نكن قد فعلنا شيئاً نستحق عليه هذا الحب، ولكنه أحبنا مجاناً، قبل أن نكون . لذلك بعد أن خلقنا ، منحنا البركة والسلطة ، وأراد أن ننمو ونكثر ، ونملأ الأرض ونتسلط عليها، فقال : **"أثمروا واكثروا ، واملأوا الأرض ، وتسلطوا .. " (تك١: ٢٨)** .

"تسلطوا على سمك البحر ، وعلى طير السماء ، وعلى كل حيوان يدب على الأرض".. إذن كانت قصة حب وعطاء منذ البدء .

فأعطى الإنسان كل شئ. أعطاه العقل والروح، وأعطاه السلطان، وأصبح الإنسان سيد الأرض وكاهنها، نائب الله فى إدارتها. وكما قال المرتل فى المزمور "أخضعت كل شئ تحت قدميه. سلّطته على أعمال يديك" (مز٨: ٦). أراده أن يكون سيداً لكل الخليقة

الأرضية ...

✠ ✠ ✠

غير أن الإنسان وُضع فى الجنة ، قبل أن تُختبر إرادته، وقبل أن يثبت محبته لله. فكان لابد لهذه الإرادة أن تُختبر ...

وهكذا لما وضعه فى الجنة ، وضع له وصية أن لا يأكل من شجرة معرفة الخير والشر. أراد الله أن يختبر مدى طاعته ومدى محبته له . وهل إذا أغرته الحية، هل يرفض إغراءها متمسكاً بالله وصيته ؟! أم أنه يفشل فى الإمتحان وينفصل عن الله ..!

✠ ✠ ✠

أحب الله الإنسان . ولكنه لم يرد أن تكون محبة من طرف واحد .

لابد أن تكون من الطرفين ، من الله ومن الإنسان . فهل يثبت الإنسان أنه جدير بمحبة الله ، وأنه يبادل الله حباً بحب ؟

ولكن الإنسان سقط فى الإختبار. وما كان ممكناً أن يأكل من شجرة الحياة وهو فى حالة الخطية. لذلك أمر الله بحراسة شجرة الحياة بواسطة لهيب سيف الكاروبيم (تك٣: ٢٤). إلى أن يطهّر هذا الإنسان الخاطئ، ويخلصه، ويجعله أهلاً لأن يأكل من شجرة الحياة ...

✠ ✠ ✠

على أن محبة الله لم تكن بعيدة عن عدله ، فعاقب الإنسان ...

طرده من الجنة، لأنه فى خطيئته لم يعد مستحقاً للسكنى فيها، بعد أن تفتحت عيناه، وفقد بساطته وطهارته وعرف أنه عريان.. وعاقبه بالتعب والوجع، طالما هو فى هذه الحياة الأرضية ، لكى يتذكر فى تعبه أنه أخطأ إلى الله . الرجل بعرق جبينه يأكل خبزه. والمرأة بالوجع تحبل وتلد أولاداً (تك٣: ١٦، ١٩). وعاقبه أيضاً بالموت.. هكذا كان عدل الله ...

ولكن عدل الله لم يكن بعيداً عن محبته. ففيما هو يعاقب الإنسان، وعده بالخلاص..

فقال إن نسل المرأة سوف يسحق رأس الحية (تك٣: ١٥) .

ربما لم يفهم آدم وحواء معنى هذا الوعد الإلهى . ولكنهما فهما - على الأقل - أن الحية التى قدمت لهما الخطية يجب أن تُسحق رأسها، فلا يجوز لهما أن يسمعا منها مرة أخرى . وفهما أنه سيقوم من نسل المرأة من يسحق رأس الحية . من هو ؟ أو متى؟ ربما لم يعرفا ... ولكن البشرية عاشت أعمارها وماتت على هذا الرجاء ...

✠ ✠ ✠

ومن محبة الله للإنسان أنه تولاه بالرعاية ، وهو خارج الجنة ... ومنحه الوصايا التى تحفظ له نقاوة قلبه .

ذلك لأنه إن عمل بالوصايا، يصير طاهراً ويستحق أن يصطلح مع الله . وهكذا أرسل له الأنبياء لإرشاده . وقبل كل هذا وضع فيه الضمير ، الشريعة الداخلية التى يميز فيها بين الخير والشر . هذه الشريعة التى بها رفض يوسف الصديق خطية الزنا قبل الوصية السابعة من الوصايا العشر التى تقول "لا تزنِ" . وقال فى ذلك "كيف أفعل هذا الشر العظيم وأخطئ إلى الله؟!" (تك٣٩: ٩) . قال ذلك قبل موسى النبى بمئات السنين .

ومن محبة الله: لما فشلت ضمائر الناس فى إرشادهم ، أرسل إليهم الشريعة المكتوبة .

كان ذلك على يد موسى النبى ، مكتوبة على لوحى الشريعة . "واللوحان هما صنعة الله، والكتابة كتابة الله منقوشة على اللوحين" (خر٣٢: ١٩) ... ووصايا أخرى كثيرة، أمر الرب موسى بكتابتها . "وكتب موسى هذه التوراه . وسلمها للكهنة بنى لاوى حاملى تابوت عهد الرب .." (تث٣١: ٩) .



غير أن الناس صاروا حرفيين فى فهم الشريعة ، ناموسيين، يهتمون بالحرف لا بالروح (٢كو٣: ٦)! فلخّص لهم الله كل الشريعة فى وصية واحدة هى الحب. وقال لهم:

"تحب الرب إلهك من كل قلبك، ومن كل نفسك، ومن كل قوتك" (تث٦: ٥) .

قال الرب هذا فى العهد القديم . وكرره سيدنا يسوع المسيح فى العهد الجديد ، لما سئل عن الوصية العظمى فى الناموس . فذكّرهم بهذه الآية عينها "تحب الرب إلهك من كل قلبك، ومن كل نفسك، ومن كل فكرك" . ثم قال لهم : هذه الوصية هى الأولى والعظمى . والثانية مثلها : تحب قريبك كنفسك. بهاتين الوصيتين يتعلق الناموس كله والأنبياء" (مت٢٢: ٣٦- ٤٠) .



ولكن لماذا أضاف محبة القريب إلى محبة الله ؟ يشرح معلمنا القديس يوحنا الحبيب هذا الأمر فيقول :

"من لا يحب أخاه الذى أبصره ، كيف يقدر أن يحب الله الذى لم يبصره؟!" (١يو٤: ٢٠) .

وهكذا أرادنا الله أن نعيش بوصية الحب . نحبه لأنه هو أحبنا أولاً (١يو٤: ١٠) . "ونحب بعضنا بعضاً. لأن المحبة هى من الله . وكل من يحب، فقد وُلد من الله، ويعرف الله. ومن لا يحب ، لم يعرف الله. لأن الله محبة" (١يو٤: ٧، ٨) .

"الله محبة . ومن يثبت فى المحبة ، يثبت فى الله ، والله فيه" (١يو٤: ١٦) .

وهذه المحبة التى أراد الله أن تربطنا به ، هى محبة ليست بالكلام ولا باللسان، بل بالعمل والحق" (١يو٣: ١٨) .

ولذلك ارتبطت محبة الله بحفظ وصاياه ، كما قال الرب "إن حفظتم وصاياى، تثبتون فى محبتى" (يو١٥: ١٠) . وبهذا قال الرب الإله فى العهد القديم :

"يا ابنى اعطنى قلبك. ولتلاحظ عيناك طرقى" (أم٢٣: ٢٦) .

فإن أعطينا قلوبنا للرب ، فبالضرورة سوف نلاحظ طرقه . أما ملاحظة طرقه، بدون القلب ، فهى مرفوضة تماماً . لأن الرب يريد تنفيذ وصاياه عن حب، ولا يريد منا مظهرية سلوكية ... أما هو فإنه يحبنا حباً كاملاً ، إذ قيل عنه إنه "أحب خاصته الذين فى العالم، أحبهم حتى المنتهى" (يو١٣: ١) .

✠ ✠ ✠

ومن حبه لنا ، إنه دعانا أولاده .

وفى ذلك يقول القديس يوحنا الرسول "انظروا أية محبة أعطانا الآب حتى ندعى أولاد الله" (١يو٣: ١) .

وهو يعاملنا منذ البدء معاملة الأب للبنين ، فى كل ألوان الرعاية التى نحتاج إليها ... هكذا حفظ يوسف فى أرض مصر، وجعله أباً لفرعون، وسيداً لكل بيته ، ومتسلطاً على كل أرض مصر (تك٤٥: ٨). وهكذا حفظ دانيال فى جب الأسود، وأرسل ملاكه فسدّ أفواه الأسود (دا٦: ٢٢) . وحفظ الثلاثة فتية فى أتون النار، وأخرجهم منه سالمين، وقدّمهم فى ولاية بابل (دا٣: ٢٥- ٣٠) .

ومن محبته لنا ، أراد أن نكون معه حيث يكون هو .

هو الذى قال لتلاميذه القديسين "إن مضيت وأعددت لكم مكاناً، آتى أيضاً وآخذكم إلىّ. حتى حيث أكون أنا، تكونون أنتم أيضاً" (يو١٤: ٣) . وهو الذى وعدنا فى الأبدية أن نكون معه فى أورشليم السمائية ، التى قيل عنها "هوذا مسكن الله مع الناس . وهو سيسكن معهم ، وهم يكونون له شعباً . والله نفسه يكون معهم إلهاً لهم" (رؤ٢١: ٣) .

وأيضاً قال الرب "أيها الآب ، أريد أن هؤلاء الذين أعطيتنى يكونون معى حيث أكـون أنا .." (يو١٧: ٢٤) .

وكما نكون معه، هو أيضاً يكون معنا .

وإسمه عمانوئيل ، تفسيره الله معنا (مت١: ٢٣) . هو الذى قال ليعقوب وهـو هـارب من يد أخيه عيسو "ها أنا معك ، وأحفظك حيثما تذهب، وأردك إلى هذه الأرض" (تك٢٨: ١٥). وهو الذى قال ليشوع بن نون "لا يقف إنسان فى وجهك كل أيام حياتك. كما كنت مع موسى أكون معك . لا أهملك ولا أتركك" (يش١: ٥) .

إنها قصة حب : فى اختيار الله أحباء له على الأرض .

سار معهم ، وأئتمنهم على أسرار، وكان يسمع لهم ويقبل شفاعتهم ، ويهتم بهم، ويمنحهم القيادة للشعب ، والقوة فى العمل .

ما أجمل ما قيل عن أخنوخ "وسار أخنوخ مع الله . ولم يوجد لأن الله أخذه" (تك٥: ٢٤) . وما أجمل دعوة الله لإبرام ومباركته لـه بقوله "أباركك وأعظم إسمك. وتكون بركة" (تك١٢: ٢) . وأيضاً ما أجمل قوله عن موسى النبى "أما عبدى موسى فليس هكذا. بل هو أمين فى كل بيتى . فماً إلى فم وعياناً أتكلم معه . لا بالألغاز ، وشبه الرب يعاين" (عد١٢: ٧، ٨) .

✠ ✠ ✠

وهى أيضاً قصة حب فى الرعاية .

لقب نفسه بالراعى ، ودعانا غنمه وخرافه . وقال فى ذلك "أنا أرعى غنمى وأربضها – يقول السيد الرب – وأطلب الضال، وأسترد المطرود ، وأجبر الكسير ، وأعصب الجريح" (حز٣٤: ١٥، ١٦) .

وقال أيضاً فى العهد الجديد "خرافى تسمع صوتى ، وأنا أعرفها فتتبعنى. وأنا أعطيها حياة أبدية، ولن تهلك إلى الأبد. ولا يخطفها أحد من يدى" (يو١٠: ٢٧، ٢٨) .

وقد تغنى داود النبى بهذه الرعاية ، فقال "الرب يرعانى فلا يعوزنى شئ. فى مراع خضر يربضنى. إلى ماء الراحة يوردنى. يرد نفسى ، يهدينى إلى سبل البر" (مز٢٣) .

✠ ✠ ✠

رعاية الله للشعب فى البرية ، ترينا محبة الله واهتمامه وعنايته :

الرعاية من حيث الإرشاد فى الطريق ، بالسحابة فى النهار ، وعمود النار بالليل .

وكان الرب يسير أمامهم (خر١٣: ٢١، ٢٢) .

الله الذى شق البحر الأحمر ، ومهد فيه طريقاً يعبرون منه . الذى فجّر من الصخرة ماء. الذى أرسل لهم المن والسلوى طعاماً .

الله الذى اعتنى بإيليا وأرملة صرفة صيدا أثناء المجاعة (١مل١٧) . والذى اعتنى بمصر خلال المجاعة فى السبع سنوات العجاف ...

إن قصة رعاية الله ، تحتاج إلى كتاب خاص يشرح محبته .

✠ ✠ ✠

لكن أعظم ما فى قصة حب الله للبشرية ، هى عملية الفداء .

هذه التى قال فيها "أنا هو الراعى الصالح . والراعى الصالح يبذل نفسه عن الخراف" (يو١٠: ١١) . وقال فى شرح ذلك "ليس لأحد حب أعظم من هذا، أن يضع أحد نفسه لأجل أحبائه" (يو١٥: ١٣) . وقال أيضاً "هكذا أحب الله العالم حتى بذل ابنه الوحيد ، لكى لا يهلك كل من يؤمن به، بل تكون له الحياة الأبدية" (يو٣: ١٦) .

وقد تغنى القديس يوحنا الرسول بهذا الحب فقال "فى هذا هى المحبة . ليس أننا أحببنا الله، بل إنه هو أحبنا، وأرسل ابنه كفارة عن خطايانا" (١يو٤: ١٠) .

وقال القديس بولس الرسول فى ذلك "ولكن الله بين محبته لنا ، لأننا ونحن بعد خطاة مات المسيح لأجلنا" (رو٥: ٨) .

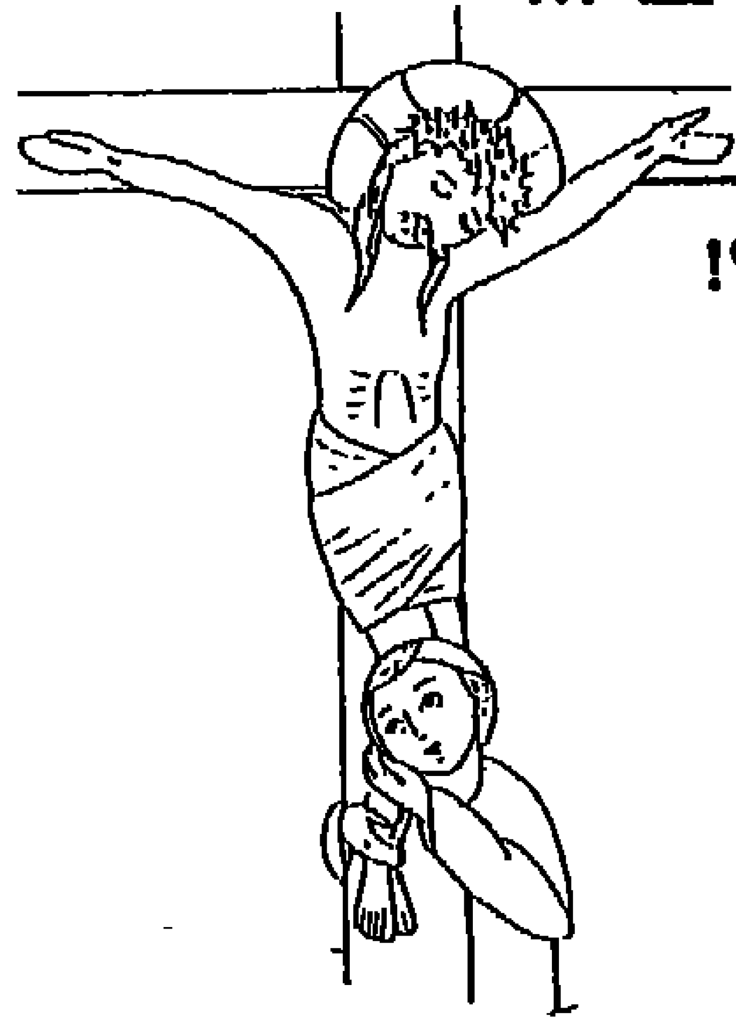
✠ ✠ ✠

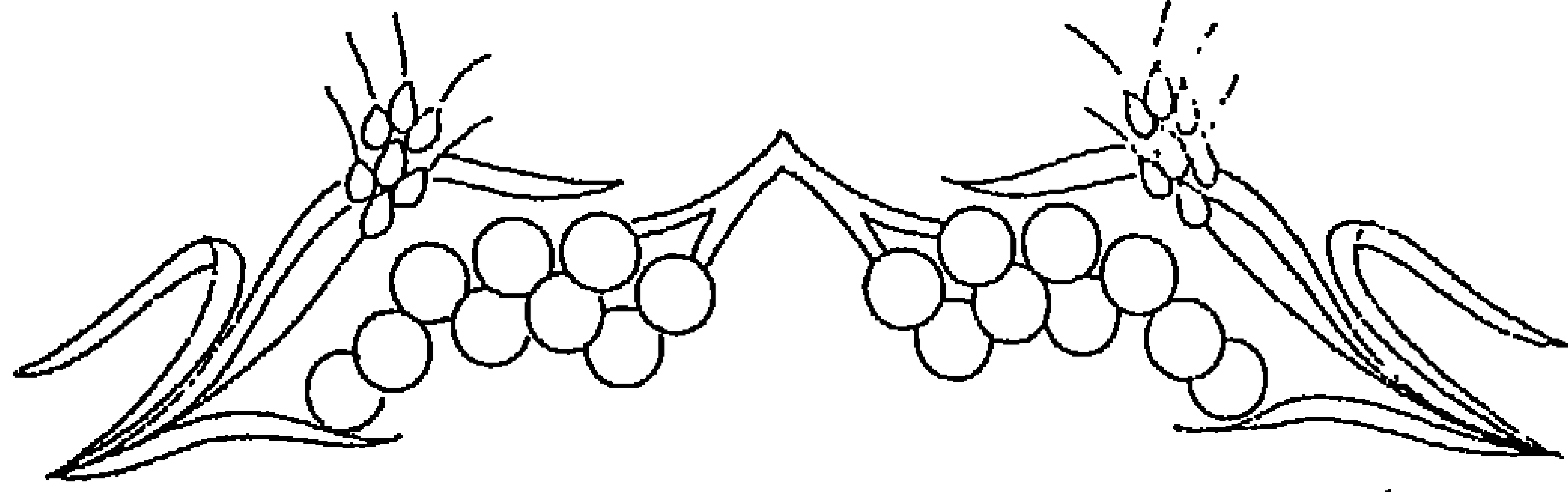
بل إن الله بين عمق محبته لنا، إذ مات عنا ...

ويشرح بولس الرسول عمق هذه المحبة فيقول (رو٥: ٦- ١٠) . "ونحن بعد خطاة ، مات المسيح لأجلنا" "لأجل الفجار" .. "فإنه بالجهد يموت أحد لأجل بار" أما أن يموت الكامل القدوس، البار لأجل الأثمة.. فهذا حب عميق عجيب حقاً ...

لذلك نحن "نحبه لأنه أحبنا قبلاً" .. ومات عنا ...

إننا نخجل من هذا الحب .. كيف نخطئ إلى من أحبنا ؟!





محبة الله فوق التعبير

الله خالق السماء والأرض ، ملك الملوك ورب الأرباب ، غير المحدود وحده، الذى لا نهاية لعظمته ولا لهيبته ، نراه يعامل الإنسان الترابى بمنتهى الصداقة والحب .

عندما خلق الإنسان ، عامله بصداقة ، فى حب كان يزوره فى الجنة، وكان يكلمه ، وأعطاه سلطاناً على جميع المخلوقات . وكما قال داود النبى عن هذه المعاملة "بالمجد والكرامة توجته ، أخضعت كل شئ تحت قدميه.." وكما يقول الإنسان فى القداس الغريغورى: "لم تدعنى معوزاً شيئاً من أعمال كرامتك" .

ومن محبة الله للإنسان، وهبه الحرية والإرادة والإختيار .. وحتى عندما أخطأ ، أتى الله إليه، وسأله وأعطاه فرصة للإجابة عن نفسه ...

عجيب فى محبة الله التى لا يعبر عنها، أنه يتكلم مع خليقة ، ليس مع الإنسان البار فقط، بل حتى مع الخطاة ، بل أن الله تحدث أيضاً مع الشيطان وأعطاه فرصة للحوار .

لقد كلم الله قايين القاتل، ولما قال له قايين: "إنك قد طردتنى اليوم عن وجه الأرض.. فيكون كل من يجدنى يقتلنى" أجابه الرب فى رقة عجيبة مدافعاً عن هذا القاتل "كل من قتل قايين سبعة أضعاف ينتقم منه، وجعل له علامة لكى لا يقتله كل من وجده" (تك٤) .

هل توجد رقة أكثر من هذه ، يعامل بها أول قاتل على الأرض، إنسان قاسى القلب لم يتروع عن قتل شقيقه البار؟

وكما كلم الله قايين، كذلك كلم يهوذا الخائن .

حذره أكثر من مرة ، واستأمنه على الصندوق، وقبل كل ذلك ، دعاه ليكون رسولاً .. وعندما جاء هذا الخائن ليقبله، قال له: "يا صاحب، لماذا أتيت؟" .. ما أعجب كلمة "يا صاحب" فى هذا المجال !!

وكلم الله بلعام ، الذى أضل فيما بعد الشعب كله ، وأوحى إليه بنبوءات صادقة .

فقال "أراه وليس الآن. أبصره ولكن ليس قريباً. يبرز كوكب من يعقوب، ويقوم قضيب من إسرائيل" (عد٢٤: ١٧) .. بلعام هذا ، والرب كان يعرف مستقبله الخائن، قيل عنه "وكان عليه روح الله" (عد٢٤: ٢) وقيل "فوافى الرب بلعام، ووضع كلاماً فى فمه" (عد٢٣: ١٦) ..!

أيضاً منح شاول الملك أن يتنبأ كذلك ..

حتى تعجب الناس قائلين : أشاول أيضاً بين الأنبياء (١صم١٠: ١١) .

✠ ✠ ✠

بل إن الله الحنون اللطيف سمح للشيطان ذاته أن يكلمه فى قصة أيوب، وأعطاه فرصة للعمل، وسمح للشيطان – أكثر من هذا – أن يجربه على الجبل !!

إن كان الله قد عامل الشيطان هكذا بلطف ، فكم بالأولى معاملته للخطاة.. لقد كان حنوناً جداً حينما قال للمرأة الخاطئة "وأنا أيضاً لا أدينك، إذهبى ولا تخطئى أيضاً" (يو٨: ١١) ..

✠ ✠ ✠

وفى محبة الله ولطفه، صادق كثيراً من البشر ...

دعا ابرام أن يخرج من وطنه ومن عشيرته ، ليعيش معه فى الجبل الذى يريه إياه، ودعى ابراهيم "خليل الله" .

وفى صداقة الله لابراهيم، كان يعرض عليه بعضاً من تدابيره :

وهكذا عندما أراد الرب أن يحرق سادوم، قال عبارته العجيبة: هل أخفى عن ابراهيم ما أنا فاعله؟! (تك١٨: ١٧). وهكذا عرض عليه الأمر، واستمع إلى رأيه، ونفذ له رغباته .

وبنفس الوضع كان الرب مع موسى ، يكلمه ويصادقه ويدافع عنه .

قال عنه لهرون ومريم عبارة محبة عجيبة "إن كان منكم نبى للرب، فبالرؤيا استعلن له، فى الحلم أكلمه. أما موسى فليس هكذا، بل هو أمين فى كل بيتى. فماً إلى فم وعياناً، أتكلم معه، لا بالألغاز. وشبه الرب يعاين" (عد١٢: ٦– ٨) .

✠ ✠ ✠

كم كانت محبة الله عميقة ، ومعاملته لطيفة مع يونان النبى.

هذا الذى خالف أمره وهرب منه، ولكن الله ظل وراءه حتى ترك عناده. أنظروا كيف يقول الرب ليونان "هل أغتظت بالصواب؟!" فيجيب يونان "أغتظت بالصواب حتى الموت"!! ومع ذلك لم يتركه لطف الرب ... بل أنقذه من غيظه !

بل ما أعجب معاملة الله ليعقوب الذى خدع أباه، والذى استغل جوع أخيه، فأخذ منه بكوريته بأكلة عدس ...

لم يوبخه الله بأية كلمة ، بل ظهر له ، وباركه ، وشجعه، ومنحه المواعيد، وقال له "ها أنا معك، واحفظك حيثما تذهب، وأردك إلى هذه الأرض" (تك٢٨: ١٥) . وساعده فى الإلتقاء براحيل وبخاله لابان، وفاض عليه بخيراته، ومنحه البنين وشيخوخة صالحة ...!

✠ ✠ ✠

إن الله لطيف فى معاملته بطريقة لا يعبر عنها. وعلينا ألا نستغل محبته ولطفه، ونستهين بوصاياه، بل نهابه كما نحبه ...

ما أجمل قلب الله فى مصادقته لأخنوخ ورفعه إليه (تك٥: ٢٤)، ومصادقته لابرام، ولموسى، وليوحنا الذى سمح له بالإتكاء على صدره ...

بل ما أعجب محبة الله لأطفال وفتيان صغار، كلمهم، وإئتمنهم على رسائل ورسالات ، وزودهم بالمواهب ، كصموئيل وارمياء وداود ...

✠ ✠ ✠

إن محبة الله تظهر أيضاً فى وعوده السخية الكريمة التى وعد بها الإنسان ، فى عطاياه، فى كرمه، فى مغفرته، فى مواهبه" ...

تظهر محبته أيضاً إذ جعل مسرته فى بنى البشر، وأحب باستمرار أن يسكن بينهم، هنا وفى السماء ..

عن هذا يقول "ها أنا معكم كل الأيام وإلى إنقضاء الدهر" وعن السماء يقول "أنا ماض لأعد لكم مكاناً. وإن مضيت وأعددت لكم مكاناً، آتى أيضاً وآخذكم إلىّ، حتى حيث أكون أنا، تكونون أنتم أيضاً". ولهذا قيل عن أورشليم السمائية إنها "مسكن الله مع الناس" "الله وسط شعبه" (رؤ٢١: ٣) .

ما أجمل عشرة الله الطيبة هذه التى فى محبته ، يعدها لنا ، لكى نحيا فى عشرته هنا وهناك ، الآن وإلى الأبد ...

فى اليوم الأخير "سينظرون إلى الذى طعنوه ، وتنوح عليه جميع قبائل الأرض" ..

أكثر ما فى الصليب إيلاماً ، أن المسيح "جرح فى بيت أحبائه" .

محبة الله عجيبة، أحب بها الكل ، الخطاة فخلصهم، والأبرار فكللهم.

أحب الصغار والكبار. أحب داود الصغير، واختاره له مسيحاً ونبياً علمه القيثارة والمزمار، علم يديه القتال وأصابعه الحرب. وبنفس الوضع أحب الطفل صموئيل، وكلمه، وحمله رساله إلى الكاهن العظيم .

✠ ✠ ✠

أحبنا فجعلنا هياكل لروحه القدوس ، ووكلاء لسرائره الإلهية .

إنه الإله اللطيف الطيب ، الذى أحبه كل من عاشره ، الذى قال عنه داود حينما عاشره "ذوقوا وأنظروا ما أطيب الرب" .. وصار "حبه أطيب من الخمر" (نش١: ٢) . سكر به محبوه .

✠ ✠ ✠

ومن محبة الله العجيبة جداً أنه ينسب أعماله لأولاده .

كثير من المعجزات تنسب إلى مارجرجس أو الملاك ميخائيل أو السيدة العذراء .. الله هو الذى أجرى المعجزة، لكنه من محبته ومن تواضعه، نسبها إلى قديسيه، وهو يقول "من يكرمكم يكرمنى". وبيوته أيضاً ينسبها كذلك لقديسيه، فنقول كنيسة القديس فلان، بينما هى كنيسة الله. بل شريعته أيضاً، قال عنها أحياناً إنها شريعة موسى، أو ناموس موسى .

إنها محبة عجيبة ، محبة الآب الذى يقدم أولاده ويظهرهم ...

بل يقول للرسل فى محبة متضعة "الأعمال التى أعملها، تعملونها، وتعملون أعظم منها" !! هنا ويستد كل فم ...

✠ ✠ ✠

ما أعجب محبة الله فى معاملته الطيبة . ابراهيم يطلب إبناً فى عقمه، فيعطيه نسلاً كنجوم السماء ورمل البحر .

يقول لنا فى محبته "لا أعود أسميكم عبيداً، بل أصدقاء" .

ولم يدعنا أصدقاء فقط، بل أبناء . ليس فقط فى العهد الجديد، وإنما أيضاً فى العهد القديم . وفى سفر النشيد يدعو الكنيسة عروساً، عذراء خطبها الرسول للمسيح .

حتى خطايانا ، يقول عنها فى محبته لنا "اصفح عن إثمهم، ولا أذكر خطيتهم بعد"

(أر ٣١: ٣٤) ويغسلنا بمحبته "فنبيض أكثرمن الثلج " (مز ٥١).

يقصد الرب، لا أذكرها ، لكم، لا أذكركم بها، لا أعيركم بها . لا أضعها أمامى فى علاقتى معكم . إنما اضع محبة بينى وبين خطاياكم فتخفيها، أو أغطيها بدمى فلا تظهر ؟

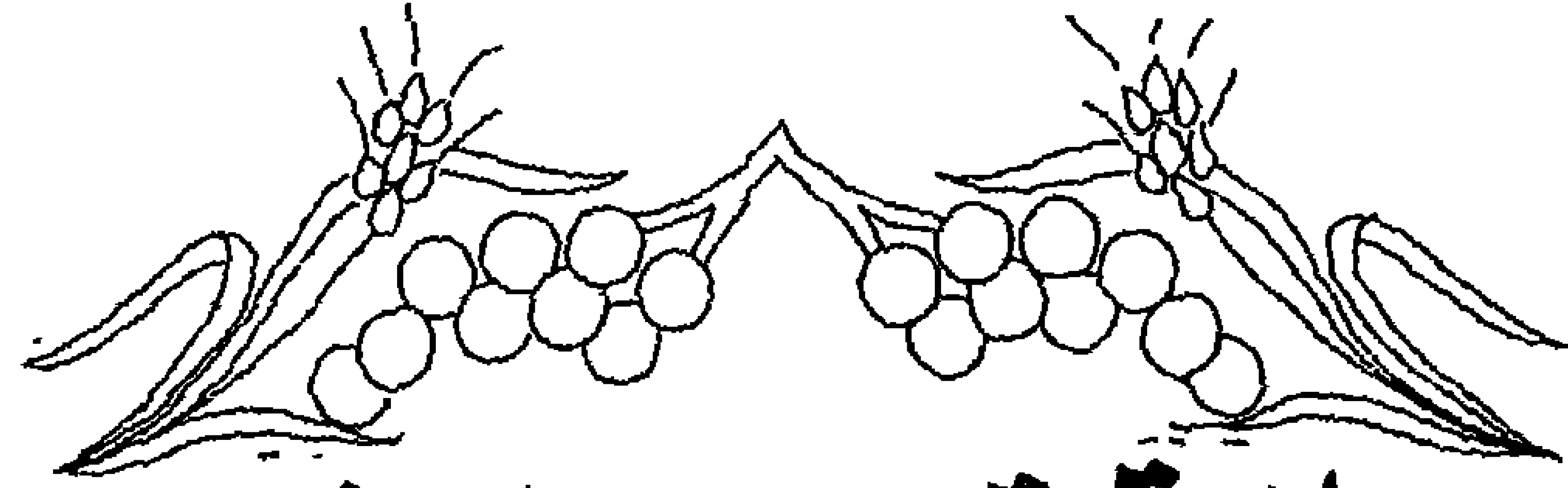
✠ ✠ ✠

إن الابن الضال ، لما وقف أمام محبة أبيه، لم يستطع أن يقول "إجعلنى كأحد أجرائك" ...

غمرته محبة الآب، فلم يذكر خطاياه، إنما ذكر الحب الإلهى ، الذى جعله خليقة جديدة، أبيض من الثلج . وإذا بالأشياء القديمة التى هى الخطايا ، قد مضت من أمامه ، وبقى الحب وحده .

الحب الذى أخجل أوغسطينوس فقال "تأخرت كثيراً فى حبك " .





علاقة الله بالإنسان

أولها العطاء

الله أعطى ، وهو باستمرار يعطى .

هو يعطى لنا . وبعطائه يعطينا أيضاً درساً فى العطاء .

هو يعطى بدون أن نطلب ، ويعطى فوق ما نطلب، ويعطى بسخاء .

يعطى كأب يهتم بأولاده ، ويعطى عطايا حسنة .

فما هى قصة العطاء فى العلاقة بين الله والإنسان .

١ - أول عطية لنا كانت نعمة الوجود .

نتذكر هذا الأمر فى القداس الغريغورى. فنقول له " كونتنى إذ لم أكن" . ولو لم ينعم الله علينا بنعمة الوجود، لكنا فى العدم. فأول عطية لنا، هى أن الله خلقنا ...

والله لم يخلقنا لكى نمجده على الأرض .

فهو ليس فى حاجة إلى تمجيدنا . وقبل أن يخلقنا كان ممجداً من الطبيعة ومن الملائكة... وقبل خلق الطبيعة والملائكة، كان ولايزال ممجداً من صفاته الإلهية. تمجده عظمته اللانهائية. يمجده حضوره فى كل مكان. يمجده أنه قادر على كل شئ. تمجده قداسته. ليس هو محتاجاً إلى خليقة تمجده. ولذلك نقول له فى القداس أيضاً "لم تكن أنت محتاجاً إلى عبوديتى، بل أنا المحتاج إلى ربوبيتك.

إنما خلقنا الله من جوده وصلاحه. هو كان موجوداً وحده منذ الأزل. ولكن من فرط تواضعه ، خلق كائنات توجد معه. من كرمه أنعم بالوجود على غير الموجود ...

✠ ✠ ✠

٢ - من عطاء الله العجيب ، أنه أعطانا صورته ومثاله .

وهكذا خلق الإنسان على شبهه ... على صورته فى البر والقداسة، وعلى صورته فى العقل والنطق والفهم، وفى الخلود... وعلى صورته أيضاً فى حرية الإرادة. وايضاً فى السلطان، إذ سلّط الإنسان على حيوانات البرية، وطير السماء وسمك البحر ... (تك١)

✠ ✠ ✠

٣ - ومن عطاء الله أن مهد للإنسان كل سبل الراحة قبل خلقه .

خلق له الطبيعة أولاً : النور ، والماء، والنبات... ثم خلقه بعد ذلك . ولهذا نقول له فى القداس الغريغورى أيضاً " رفعت السماء لى سقفاً، ومهدت لى الأرض لكى أمشى عليها... من أجلى ألجمت البحر، واخضعت طبيعة الحيوان... لم تدعنى معوزاً شيئاً من أعمال كرامتك " .

هذا الإنسان ، خلق له الله الشمس تمنحه النور بالنهار، والقمر والنجوم لإضاءة الليل.. وخلق له الطعام الذى يأكله، والطيور التى تغنى فى أذنيه، والطبيعة التى تمتعه بمناظرها. ومنحه أيضاً كل الطاقات التى تساعده على الحياة .

✠ ✠ ✠

٤ - وأعطى الله للإنسان الصحة والقوة والجمال .

عندما خلق الله الإنسان كان فى منتهى الجمال، والنقاوة أو الطهارة كانت تضفى عليه جمالاً آخر. وكان جسمه قوياً فى صحته. كان خالياً من الأمراض الجسدية والأمراض النفسية .. كان كاملاً جسداً ونفساً وروحاً .

✠ ✠ ✠

٥ - وأعطاه الرب أيضاً سلطاناً على كل شئ .

نفس السلطان الذى أعطاه الله لآدم (تك١: ٢٨) أعطاه أيضاً لنوح. قال له نفس العبارة اثمروا واكثروا واملأوا الأرض. ولتكن خشيتكم ورهبتكم على كل حيوانات الأرض، وكل طيور السماء، مع كل ما يدب على الأرض، وكل أسماك البحر (تك٩: ١، ٢). ورأينا نوح فى الفلك ومعه كل وحوش الأرض وله سلطان عليها .

فإن كان الإنسان قد فقد سلطانه على الطبيعة، فذلك نتيجة الخطية .

ما كان الإنسان يأكل لحوم الحيوانات، وما كان يصيدها، وما كان يحبسها فى أقفاص ليتفرج عليها الناس. لذلك لم تكن هناك عداوة بينها وبينه. فهى أيضاً ما كانت تفترسه، وما كانت تؤذيه. وكانت الخليقة كلها أسرة واحدة برئاسة آدم، ويرعاها الله ...

✠ ✠ ✠

٦ – **أيضاً من عطايا الله للإنسان : البركة :**

بارك الله آدم وحواء (تك١: ٢٨). وبارك نوحاً وبنيه (تك٩: ١). وبارك إبرام وقال له "أباركك وأعظم إسمك، وتكون بركة.. وتتبارك فيك جميع قبائل الأرض (تك١٢: ٢، ٣).

وكانت بركة الله تعطى للشعب كله على جبل جرزيم (تث٢٧: ١٢). وتفاصيل كثيرة للبركة ذكرت فى (تث٢٨)، ولكنها كانت مشروطة بطاعة الرب. فقيل "تأتى عليك جميع هذه البركات وتدركك، إذا سمعت لصوت الرب إلهك... " (تث٢٨: ٢- ٦) .

ثم أرسل الله البركة للناس من أفواه الأنبياء ورجال الكهنوت، ومن افواه الآباء الكبار، ومن أفواه الوالدين.

كان أبونا نوح بركة للعالم كله، لولاه لفنى العالم وقت الطوفان... ولكن الله أبقاه لنا بركة وإمتداداً للبشرية ...



٧ – **الله أيضاً أعطى الإنسان نعمة مصادقته :**

كما كان أبونا إبراهيم . يدعوه البعض " خليل الله" أى صديقه .

حينما أراد الله أن يحرق سادوم ، قال " هل أخفى عن إبراهيم ما أنا فاعله؟!" (تك١٨: ١٧). وهكذا كشف له الأمر، وسمح له أن يناقشه فيه، وأن يقبل شفاعته فى تلك المدينة المحكوم عليها ... إنه صديقه .

وحينما أراد أن يفنى الشعب كله بعد عبادتهم للعجل الذهبى، لم يخف الأمر أيضاً عن موسى النبى، بل كشفه له، وسمح لموسى أن يرده عن الأمر (خر٣٢: ٧- ١٤). إنه صديقه الذى قال عنه لهارون ومريم (لما تقوّلا عليه): " إن كان منكم نبى للرب، فبالرؤيا استعلن له، فى الحلم أكلمه. أما عبدى موسى فليس هكذا. بل هو أمين فى كل بيتى. فماً إلى فم وعياناً أتكلم معه، لا بالألغاز. وشبه الرب يعاين . فلماذا لا تخشيان أن تتكلما على عبدى موسى؟!" (تك١٢: ٦- ٨). وضرب مريم بعقوبة جزاء لها ...



✪ ومن أعجب الأمثلة فى الصداقة الإلهية: اخنوخ، الذى لخصت حياته فى عبارة عجيبة هى "وسار أخنوخ مع الله، ولم يوجد لأن الله أخذه" (تك ٥: ٢٤). إنه صديقه، أخذه إليه إلى السماء، ولم يمت ذلك الأب العظيم، حتى الآن .

ليت موسى النبى العظيم كتب لنا شيئاً أكثر عن أبينا أخنوخ. غير أن يهوذا الرسول

(غير الأسخريوطى) سجل لنا نبوءة قالها أبونا أخنوخ. فكتب "وتنبأ عن هؤلاء أيضاً اخنوخ السابع من آدم قائلاً: هوذا قد جاء الرب فى ربوات قديسيه، ليصنع دينونة على الجيمع.." (يه١٤، ١٥)...

إنها نبوءة لم تكتب فى أسفار موسى، ولكن حفظها لنا التقليد حتى وصلت إلى ذلك الرسول، فسجلها لنا... وطبعاً أخنوخ عرف هذا الأمر من الله نفسه، الذى حدثه – كصديق – عن مجيئه الثانى فى آخر الأيام .

✠ ✠ ✠

✪ وفى العهد الجديد ، يتحدث الكتاب عن هذه الصداقة ، فيقول "إذ كان قد أحب خاصته الذين فى العالم، أحبهم حتى المنتهى" (يو١٣: ١). وخاصته تعنى أصدقاءه الذين يخصهم بأشياء أكثر من الباقين. ويقول لهم فى موضع آخر لكننى قد سميتكم أحباء" [وفى الترجمة القبطية أصدقاء] (يو١٥: ١٥) ... إنها عشرة وصداقة ...

بل هناك ما هو أجمل من العشرة والصداقة ، وهى المذاقة :

✠ ✠ ✠

٨ – أعطى الرب محبيه هذه المذاقة .

وهكذا قال داود النبى " ذوقوا وأنظروا ما أطيب الرب " (مز٣٤: ٨).

هذه العبارة "ذوقوا" لا تفهم بالعقل، وإنما تحسّ بالروح... إنها تُفهم فهماً جوانياً. أما العقل فيقف عندها مبهوراً ...

✠ ✠ ✠

٩ – أعطى الرب أيضاً للبشرية نعمة البنوة :

أى أن يصيروا أبناء له . وعبارة "أبناء الله" ذكرت لأول مرة فى (تك٦: ٢). أيضاً كان يخاطب الإنسان بقوله "يا ابنى، أعطنى قلبك" (أم ٢٣: ٢٦). واشعياء النبى خاطب الرب قائلاً "والآن يارب، أنت أبونا.." (أش ٦٥: ٨). وحتى فى خطيئة البشر، قال الرب معاتباً " ربيت بنين ونشأتهم. أما هم فعصوا علىّ (أش١: ٢) .

وفى العهد الجديد تتضح أبوة الله للبشر وضوحاً أعمق. وما أكثر ما وردت عبارة (أبوكم السماوى) فى العظة على الجبل (مت٥– ٨). وقد علمنا الرب أن نصلى قائلين " أبانا الذى فى السموات" (لو١١: ٢) (مت٦: ٩) .

✠ ✠ ✠

١٠ - الرب أيضاً أعطى مختاريه الكرامة والمجد :

فقال لهم "من يكرمكم يكرمنى" "من يقبلكم يقبلنى" (مت١٠: ٤٠) "إن كان أحد يخدمنى، يكرمه الآب" (يو١٢: ٢٦).

أما عن المجد، فقيل "الذين سبق فعرفهم ، سبق فعينهم ليكونوا مشابهين لصورة إبنه... وهؤلاء مجدهم أيضاً " (رو٨: ٢٩، ٣٠) وقال أيضاً "إن كنا نتألم معه، فلكى نتمجد أيضاً معه" (رو٨: ١٧).

بل ما أعجب قول الإبن للآب "وأنا قد أعطيتهم المجد الذى أعطيتنى" (يو١٧: ٢٢) .

✠ ✠ ✠

١١ - وأعطانا أيضاً مجد القيامة ، إذ نقوم فى جسد ممجد :

كما قال عنه الرسول "الذى سيغير شكل جسد تواضعنا، ليكون على صورة جسد مجده" (فى٣: ٢١)، وشرح مجد هذا الجسد، الذى سوف يصير جسماً روحانياً، وجسماً سماوياً، يقام فى مجد (١كو١٥: ٤٢- ٤٩).

✠ ✠ ✠

١٢ - كذلك أعطى الله البشرية نعمة البقاء .

أعطاهم ذلك عن طريق الزواج، وعن طريق أنه خلقهم ذكراً وأنثى، وقال لهم "اثمروا واكثروا واملأوا الأرض" (تك١: ٢٧، ٢٨) (تك٩: ١) .

ولما أفنى العالم بالطوفان ، أبقى لنا بقية فى أسرة نوح، لكى بها يعطى البشرية نعمة الإستمرارية والبقاء على الأرض ...

✠ ✠ ✠

١٣ - وأعطى الله البشرية نعمة الخلود .

منحهم روحاً خالدة ، وأنعم عليهم بالحياة الأبدية . وما أكثر ورود عبارة الحياة الأبدية فى الكتاب المقدس. وقد قيل عن الدينونة للأشرار والأبرار " فيمضى هؤلاء إلى عذاب أبدى، والأبرار إلى حياة أبدية" (مت٢٥: ٤٦). وقال الرب لمرثا "من آمن بى ولو مات فسيحيا. وكل من كان حياً وآمن بى، فلن يموت إلى الأبد" (يو١١: ٢٥، ٢٦). وهكذا حدثنا عن "إكليل الحياة" (رؤ٢: ١٠) .

✠ ✠ ✠

١٤ - ومن محبة الله للإنسان ، أعطاه مواهب وعطايا صالحة:

وقال الكتاب "كل عطية صالحة، وكل موهبة تامة، هى من فوق، نازلة من عند أبى

الأنوار" (يع١: ١٧). وقد شرح القديس بولس الرسول هذه المواهب في إصحاح كامل (١كو١٢)، قال فيه "أنواع مواهب موجودة، ولكن الروح واحد" " ولكنه لكل واحد يُعطى إظهار الروح للمنفعة" . وذكر أنواعاً من المواهب ، ثم قال "هذه كلها يعملها الروح الواحد بعينه، قاسماً لكل واحد بمفرده كما يشاء" (١كو١٢: ٤- ١١) .

✠ ✠ ✠

✪ **وهناك مواهب خاصة أعطاها الرب للبعض :**

اعطى الرب لسليمان الحكمة، وأعطاه هيبة وجلالاً (١مل٣: ١٢، ١٣).

وأعطى القوة لشمشون (قض١٤: ٥، ٦) .

وأعطى بلعام موهبة الكشف، فكان رجلاً مفتوح العينين (عد٢٤: ١٥) .

واعطى البعض موهبة صنع المعجزات والعجائب كما للرسل .

✠ ✠ ✠

١٥ - وأعطى الرب للإنسان شرف العمل معه :

كما قال القديس بولس الرسول عن نفسه وعن زميله أبولس "نحن عاملان مع الله" (١كو٣: ٩).

أعطى الله هذه النعمة للأنبياء وللرسل، ولكل رتب الكهنوت وللخدام... أعطاهم "خدمة المصالحة، ليصالحوا الناس مع الله" (٢كو٥: ١٨، ٢٠). وأعطى الكهنوت أيضاً خدمة السرائر الإلهية "كخدام المسيح، ووكلاء سرائر الله" (١كو٤: ١) .

وأعطاهم أن يقولوا كلمته ويشهدوا له (أع ١: ٨) وقال لهم "لستم أنتم المتكلمين، بل روح أبيكم الذى يتكلم فيكم" (مت١٠: ٢٠)

وأعطى البعض أن يكونوا عمالاً فى كرمه، أو كرامين (مت٢١: ٢٣).

والله الذى نعمل معه ، أو نعمل عمله، هو أيضاً يعمل فينا، ويعمل معنا، ويعمل بنا.

✠ ✠ ✠

١٦ - كل هؤلاء أعطاهم نعمة أخرى هى الدعوة الإلهية.

كما قال القديس بولس الرسول عن نفسه ".. الله الذى أفرزنى من بطن أمى، ودعانى بنعمته" (غل١: ١٥). وقال الروح القدس "افرزوا لى برنابا وشاول للعمل الذى دعوتهما إليه" (أع ١٣: ٢). وقد دعا الرب رسله وتلاميذه (مت١٠، لو١٠). ومنذ القديم دعا الرب أبانا إبراهيم (تك١٢) ...

والدعوة وصلت إلى كثيرين . بل إن الرب قد قال لأرميا "قبلما صورتك فى البطن عرفتك، وقبلما خرجت من الرحم قدستك جعلتك نبياً للشعوب" (أر ١: ٥). وقال الرسول "الذين سبق فعرفهم، سبق فعينهم.. وهؤلاء دعاهم أيضاً" (رو٨: ٢٩، ٣٠) .

✠ ✠ ✠

١٧ – ومن عطايا الله للبشر، أعطاهم الملائكة لتكون فى معونتهم .

✪ أعطاهم الملائكة لإرشادهم روحياً، كما قيل عن الملائكة "أليسوا جميعهم أرواحاً للخدمة ، مرسلة للخدمة لأجل العتيدين أن يرثوا الخلاص" (عب١: ١٤). ومن أمثلة عمل الملائكة فى التعليم، أن الله أمر جبرائيل الملاك أن يفسر الرؤيا لدانيال النبى (دا٨: ١٦).

✪ نوع أخر من الملائكة أعطاهم الرب للإنسان لأجل الحفظ والأنقاذ. كما أرسل ملاكاً أنقذ بطرس من السجن (أع١٢)، وملاكاً فتح السجن لبولس فى فيلبى (أع١٦).وكما أرسل ملاكاً لإنقاذ دانيال، فسدّ أفواه الأسود (جل٦: ٢٢) . وكما قيل أيضاً "ملاك الرب حال حول خائفيه وينجيهم" (مز٣٤: ٧) .

✪ وملائكة أخر أرسلهم الله للبشر لتبشيرهم ببشارة حسنة. كما أرسل ملاكاً ليبشر زكريا الكاهن بأنه سيكون له ولد عظيم أمام الرب، ومن بطن أمه يمتلئ من الروح القدس (لو ١: ١٢– ١٥) . وكما أرسل ملائكة ليبشروا بقيامة الرب (مت٢٨) (لو٢٤) .

وخدمة الملائكة للبشر لها تفاصيل شتى، ليس الآن مجالها.

✠ ✠ ✠

١٨ – ومن عطايا الله للبشر : التقديس :

إذ أرسل روحه القدوس للناس ليسكن فيهم. وقال الرسول عن ذلك "أما تعلمون أن أجسادكم هى هياكل للروح القدس، وروح الله يسكن فيكم" (١كو٣، ١٦). وننال هذه السكنى بالمسحة المقدسة (١يو٢: ٢٠، ٢٧) بزيت الميرون المقدس. وقد كانت هذه العطية تنال قبلاً بوضع اليد، كما حدث مع أهل السامرة (أع٨)، ومع أهل أفسس (أع١٩) .

✠ ✠ ✠

١٩ – ومن عطايا الله لخلاصنا : التوبة .

فالله قد "أعطى الأمم التوبة للحياة " (أع١١: ١٨) .

لأنه يعرف ضعف طبيعتنا ، وأنه يمكن أن نسقط ونخطئ، أعطانا التوبة لكى تمحى بها خطايانا. وكل من رجع عن طرقه الخاطئة يحيا ولا يموت. لأنه لا يسر بموت

الخاطئ، مثل أن يرجع ويحيا (حز ١٨) .

✠ ✠ ✠

٢٠ – ومن عطايا الله لنا الرعاية والحماية .

كما يقول المرتل فى المزمور "لولا أن الرب كان معنا، حين قام الناس علينا، لابتلعونا ونحن أحياء ...نجت أنفسنا مثل العصفور من فخ الصيادين . الفخ انكسر ونحن نجونا. عوننا من عند الرب الذى صنع السماء والأرض " (مز١٢٣: ٧، ٨) .

وفى ذلك قال الرب للقديس بولس الرسول " ... لا يقع بك أحد ليؤذيك" (أع١٨: ١٠). وقال لأرميا النبى "يحاربونك ولا يقدرون عليك، لأنى أنا معك – يقول الرب – لأنقذك" (أر ١: ١٩) وقال ليشوع بن نون "كما كنت مع موسى، أكون معك. لا أهملك ولا أتركك... تشدد وتشجع . لا ترهب ولا ترتعب. لأن الرب إلهك معك حيثما تذهب" (يش١: ٥، ٩) .

وقال عن الكنيسة "وأبواب الجحيم لن تقوى عليها"(مت١٩: ١٨)

✠ ✠ ✠

٢١ – ولعل أعظم عطية أعطاها لنا الله هى الخلاص بالفداء.

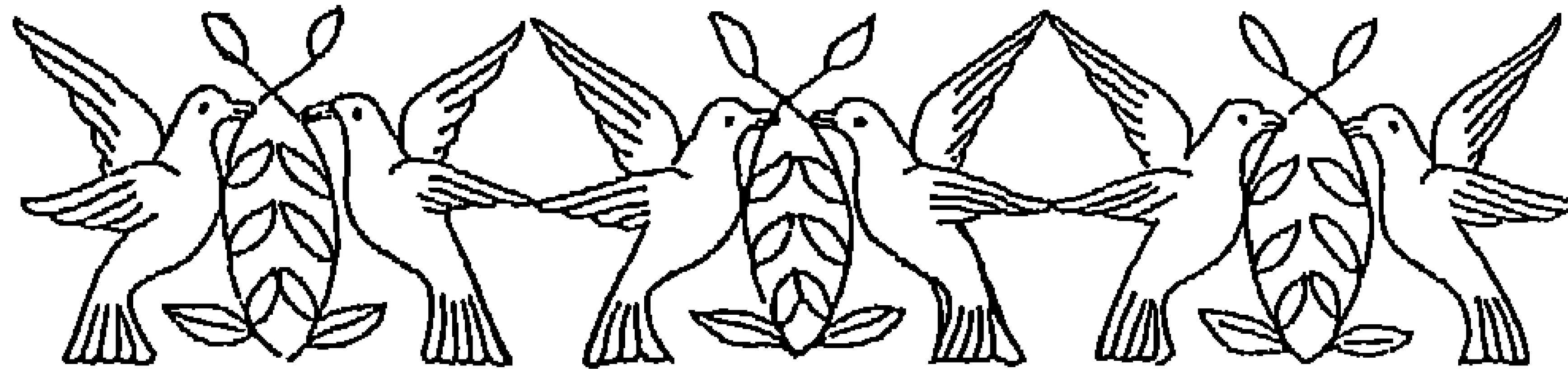
" وهكذا أحب الله العالم، حتى بذل إبنه الوحيد. لكى لا يهلك كل من يؤمن به، بل تكون له الحياة الأبدية" (يو٣: ١٦). وهكذا أيضاً أعطانا دمه الكريم على المذبح لمغفرة الخطايا. وأعطانا أيضاً المعمودية لننال بها استحقاقات دمه. وقال لنا "من آمن واعتمد، خلص" (مر١٦: ١٦) .

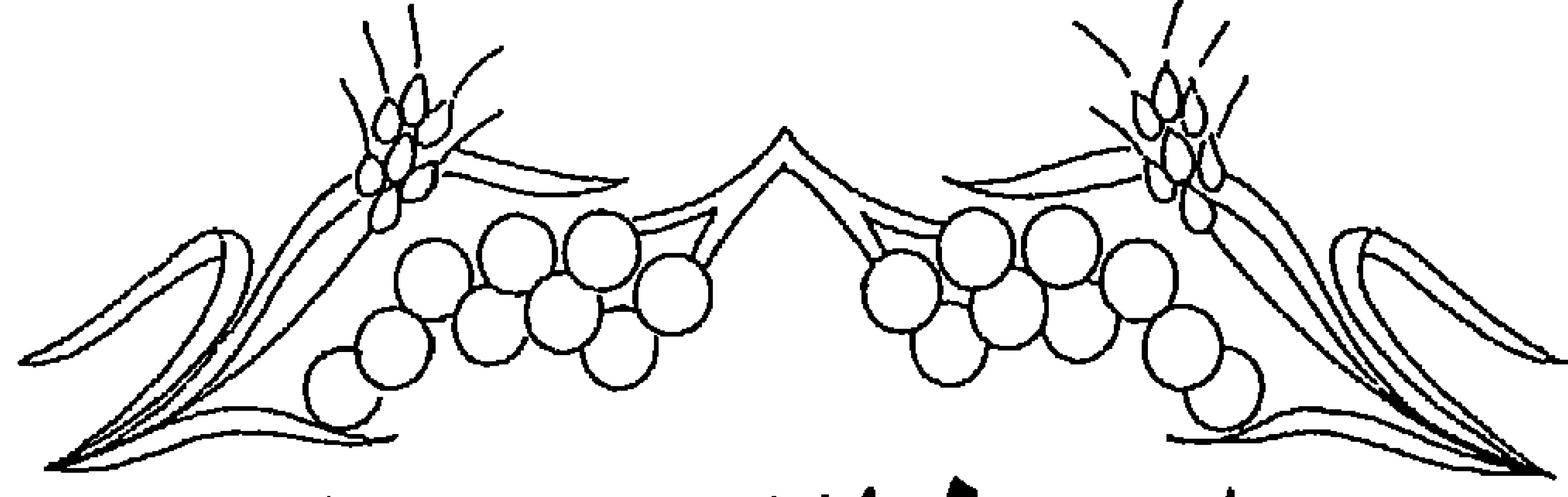
✠ ✠ ✠

٢٢ – عملياً ، لا نستطيع أن نحصى عطايا الله .

إنما ذكرنا كل ما ذكرناه، كمجرد أمثلة.. يكفى الوعود التى قالها الرب لملائكة الكنائس السبع فى سفر الرؤيا، للغالبين (رؤ٢، ٣).

فالذين ينكرون عطايا الرب، لهم عيون ولكنها لا تبصر .





عهد بين الله والناس

الله هو الذى بدأ عهداً مع الإنسان ، كوّن معه علاقة .

لأنه أراد أن توجد رابطة معه، لها شروط . ومن جانب الله ، قد نفذ عهوده وكان أميناً لكلمته معنا. حتى على الرغم من عدم أمانتنا . وكما قال الكتاب "وإن كنا غير أمناء، فهو يبقى أميناً لن يقدر أن ينكر نفسه" (٢تى٢: ١٣) .

ولقد كان عهد الله مع الإنسان عهداً أبدياً .

✠ ✠ ✠

وأول عهد أبرمه الله مع الإنسان، كان أيام نوح ، قبل وبعد الفلك .

كان شرط الله أن يخرج الإنسان من العالم الردئ المحكوم عليه بالموت والفناء، ويدخل فى الفلك ، فى عهد مع الله، يمنحه الله الحياة والأمن والسلام ، فى رعايته . ودخل فى هذا العهد نوح وبنوه ، فباركهم الرب .

وبعد أن رسا الفلك ، وبعد أن قدم نوح محرقة مقبولة ، اشتمّ الله منها رائحة الرضا، قال الرب "وضعت قوسى فى السحاب، فيكون متى أنشر سحاباً على الأرض، وتظهر القوس فى السحاب، أنى أذكر ميثاقى الذى بينى وبينكم وبين كل نفس حية .. فلا تكون المياه طوفاناً لكل ذى جسد .. ميثاقاً أبديا" (تك٩: ١٢- ١٦) .

✠ ✠ ✠

والعهد الثانى ابرمه الله مع ابرام أبى الآباء :

"أخرج من أهلك ومن عشيرتك ومن بيت أبيك.. إلى الأرض التى أريك . فأجعلك أمة عظيمة، واباركك وتكون بركة .. وتتبارك فيك جميع قبائل الأرض (تك١٢: ١- ٣) .

✠ ✠ ✠

ثم عهد آخر مع ابرآم هو عهد الختان (تك١٧) .

"هذا هو عهدى الذى تحفظونه بينى وبينكم، وبين نسلك من بعدك . يختتن منكم كل ذكر .. فيكون علامة عهد بينى وبينكم .. وأما الذكر الأغلف الذى لا يختتن فى لحم غرلته، فتقطع تلك النفس من شعبها " (تك١٧: ١٠- ١٤).

وكان الختان يرمز إلى موت الجسد ، لننال الحياة .

جزء من الجسد يقطع فيموت ، يرمز إلى الموت عن الجسد والمادة . وكان الختان يرمز إلى المعمودية ، التى فيها نموت مع المسيح ، لكى نحيا معه .. ويقضى العهد بأن الذى لا يختتن يقطع من شعبه ، تماماً كالذى لا يعمد .

✠ ✠ ✠

نلاحظ أن العهد كان يشمل بعضه بركة ، والبعض عقوبة .

البركة كما فى العهد الذى ألغى الطوفان والفناء لكل من يدخل الفلك ، رمزاً للحياة التى ينالها كل من يدخل الكنيسة التى يرمز إليها الفلك . فينال نفس البركة التى أعطيت لها، داخل الفلك فى رعاية الله وحفظه .

وبركة كالعهد الذى أعطى لابراهيم، لما اعتزل العالم لأجل الله ..

وهناك عقوبة لمن ينكث العهد، كعقوبة من لا يختتن .

والبركة والعقوبة كلاهما ، تراهما معاً فى العهد المكتوب عهد الناموس ، كما هو واضح فى (تث٢٨) من جهة البركات التى ينالها من يسمع لكلمات الرب ، واللعنات التى تحل على من لا يسمع لها .

✠ ✠ ✠

هذا العهد الذى أعطاه الرب لموسى كان مرشوشاً بالدم ، وكان لأول مرة عهداً مكتوباً ، ولكل الشعب ، ومعه بركة ولعنة .

"وأخذ (موسى) كتاب العهد، وقرأ فى مسامع الشعب . فقالوا كل ما تكلم به الرب نفعل ونسمع له. وأخذ موسى من الدم ورش على الشعب ، وقال هذا هو دم العهد الذى قطعه الرب معكم على جميع هذه الأقوال" (خر٢٤: ٦- ٨) .

كانت الوصايا العشر عهداً بين الله والناس ..

لذلك نرى أنها كتبت على لوحين سميا (لوحى العهد) . وكانا يوضعان فى تابوت يسمى (تابوت العهد) . وكان تابوت العهد يرمز إلى حضور الله مع الناس ، الله وسط شعبه. وكان حفظ الوصايا، يعنى أن الله يكون لهم إلهاً، وهم يكونون له شعباً، وعلى هذا

العهد أعطاهم الرب الوصايا . هم يحفظونها، وهو يحفظهم ويباركهم .

✠ ✠ ✠

بل أن كل وصايا الله وكل كتابه ، كانت عهداً .

ولهذا فإن كتاب الله فى القديم كان ولايزال يسمى (العهد القديم) . وكتابه بعد مجئ المسيح يسمى (العهد الجديد) . إن هذا الكتاب يمثل عهداً بيننا وبين الله. لقد صرنا مؤمنين على أساسه، أساس الإلتزام بكل الوصايا التى فيه .

كلما تبصر الكتاب المقدس ، تذكر عهداً بينك وبين الله .

طالما نحن أولاد اللهَ ، وطالما نحن فى الإيمان، فإننا ملتزمون بهذا العهد، أن نحفظ كل ما فى هذا الكتاب .. ونقول كما قال آباؤنا من قبل "كل ما تكلم به الرب نفعل ونسمع له".. وهو أيضاً عهد مرشوش بالدم ...

✠ ✠ ✠

وهكذا يقول بولس الرسول عن السيد المسيح أنه "وسيط لعهد أعظم قد تثبت على مواعيد أفضل" (عب٨: ٦) .

نعم ، إنها مواعيد أفضل ، فقط كانت الأرض فى العهد القديم ترمز إلى أرض الأحياء فى العهد الجديد، وكونها تفيض لبناً وعسلاً، فهذا يرمز إلى ما لم تره عين، وما لم تسمع به أذن، وما لم يخطر على قلب بشر. وكثرة البنين ترمز إلى إنتشار الإيمان، وكثرة المؤمنين، وطوَل العمر يرمز إلى الأبدية ...

✠ ✠ ✠

هناك عهد آخر نقيمه مع الله فى المعمودية .

فإننا فى المعمودية نجحد الشيطان وكل أفعاله الشريرة وكل حيله وكل أفكاره وكل جنوده، ونقول له صراحة "أجحدك ، أجحدك ، أجحدك" ...

فهل نحن مازلنا نجحد الشيطان ونوفى لعهودنا ؟

كذلك نحن فى المعمودية نتعهد بإيماننا بالرب والسير فى طرقه ، فى الحياة الجديدة التى فيها لبسنا المسيح .

✠ ✠ ✠

وعهد آخر نتعهد به للرب فى التناول وفى التوبة .

أما عن عهد التناول ، فيقول لنا الرب "لأنه فى كل مرة تأكلون من هذا الخبز، وتشربون من هذه الكأس، تبشرون بموتى، وتعترفون بقيامتى ، وتذكروننى إلىأن آجئ"..

فهل نحن كلما تناولنا نبشر بموت الله من أجلنا، وموتنا معه، ونبشر بقيامته التى أقامنا بها من موت الخطية وهل نحن نذكره ونظل نذكره إلى أن يأتى فى مجيئه الثانى؟!

أم نحن نتناول ونتعهد للرب بتعهدات كثيرة ، ثم ننساها بعد يوم أو يومين من التناول، وكأننا لم نتعهد بشئ! ، ولم نلتزم بشئ يوم تناولنا !

ومما يدل على أن التناول عهد بيننا وبين الله، أن يوم الخميس الذى أعطى الرب فيه هذا العهد لتلاميذه القديسين، يوم أعطاهم جسده ودمه، نسميه فى الكنيسة خميس العهد، ونحتفل به عيداً، متذكرين عهداً نقطعه مع الرب فى كل تناول ...

✠ ✠ ✠

ونحن نبرم تعهدات مع الله فى كل نذورنا .

وكثير ما تضغط علينا الأمور ، فى أمراض أو ضيقات ، أو طلبات ورغبات لنا ، فنظل ننذر نذوراً قد تكون فوق طاقتنا، وفوق احتمال تنفيذنا، ثم نحاول بعد ذلك أن نتخلص منها، أو نغيرها ونبدلها، أو نؤجلها وننسى فى كل ذلك قول الكتاب :

"خير لك ألا تنذر ، من أن تنذر ولا تفى " (جا٥: ٥) ...

إن العهد مع الله، تجب له الجدية والإلتزام .

ينبغى أن نعرف مع من نتفق، ومع من نتعهد: مع الله الخالق، غير المحدود غير المدرك ، رب الأرباب ..

✠ ✠ ✠

ولابد أن نعرف عقوبة من يحنث العهد ...

وقد أوضح بولس الرسول هذه العقوبة فى رسالته إلى العبرانيين فقال "كم عقوبة أشر تظنون أنه يحسب مستحقاً، من داس ابن الله، وحسب دم العهد الذى قدس به دنساً، وازدرى بروح النعمة ... مخيف هو الوقوع فى يد الرب" (عب١٠: ٢٩، ٣٠) .

✠ ✠ ✠

إن كل عهود الرب مع الآباء، هى معنا نحن شخصياً .

وفى هذا يقول موسى النبى "الرب إلهنا قطع معنا عهداً فى حوريب، ليس مع آبائنا قطع الرب هذا العهد، بل معنا نحن الذين هنا اليوم جميعاً أحياء" (تث٥: ٢، ٣) .

نعم ، معنا نحن قطع الرب تلك العهود ، ونحن ملتزمون بكل تلك العهود التى وردت فى الكتاب .

✠ ✠ ✠

إن عهودنا مع الرب مرشوشة بالدم ، معتمدة على دم المسيح .

كل النعم التى ننالها فى الأسرار المقدسة ، هى من استحقاقات دم المسيح .

ولذلك فإن الرسول يقول عن تقديس المؤمن "دم العهد الذى قدس به .. فنحن فى سر المعمودية تمحى خطايانا بدم المسيح، وكذلك فى سر التوبة . وفى سر التناول نأخذ من دم المسيح .. وهذا الدم يقدس كل شئ" ..



ما أجمل قول داود النبى " تعهدات فمى باركها يارب " (مز١١٩) . وهكذا نطلب من الرب قوة التنفيذ .

ولكنى أعجب من أمرين : أحدهما أن يتعهد الإنسان بأشياء فوق طاقته ، ويدرك ذلك وقت التنفيذ . وإذ لا يستطيع ، يتضح أمامه إنه تعهد بلا وعى. وربما يكون قد تعهد أيضاً بدون مشورة، دون أن يرجع إلى أب إعتراف ويأخذ موافقته .

والأمر الثانى الذى أعجب له ، هو العقوبات التى يفرضها الإنسان على نفسه أمام الله وفى تعهده .

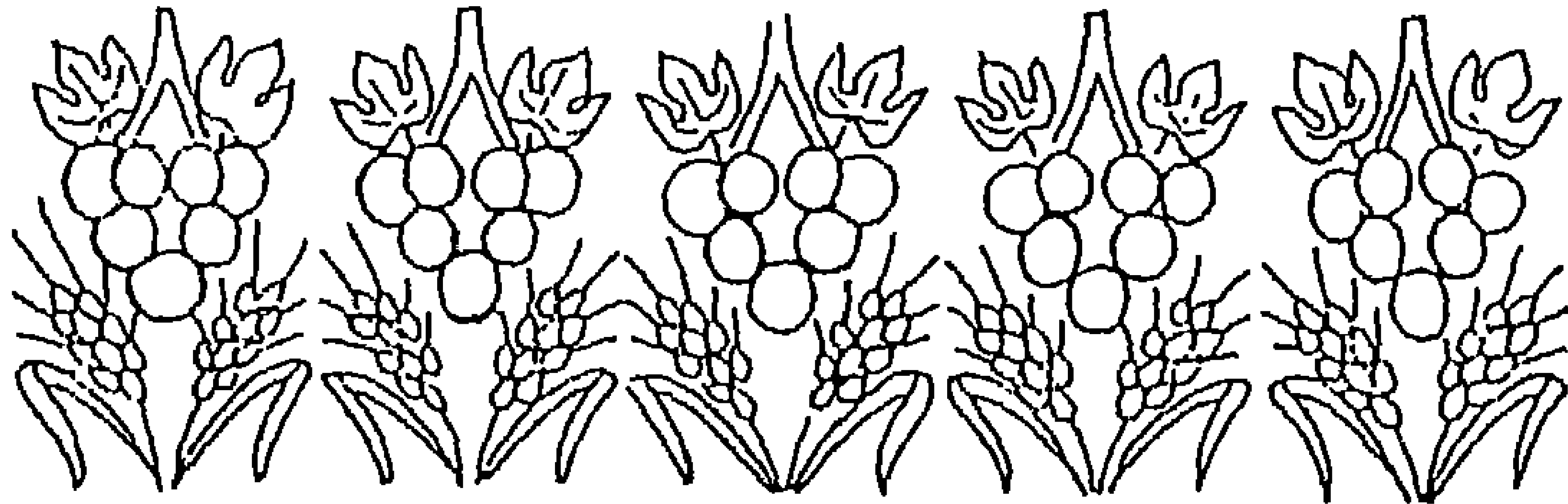
وما أبشع أن يقول شخص فى تعهده : إذا لم أفعل كذا، إضربنى يارب بالعمى، أو خذ إبنى، أو خذ حياتى ...

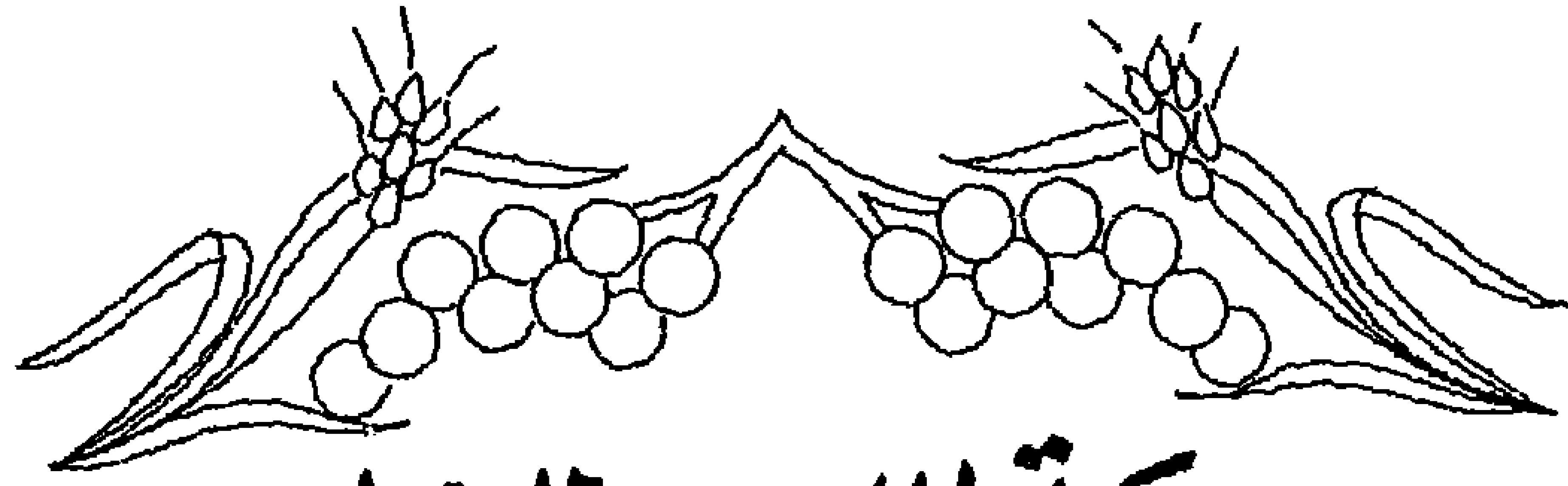
إذ يعجز عن التنفيذ ، أو يعجزه التنفيذ، ويتشكك من العقوبة ، ويخاف ...



ومع ذلك ، إن كنا لا نتعهد تعهدات جديدة ، فنحن ملزمون بتعهداتنا فى الإيمان، وفى المعمودية، وفى التوبة والتناول ... إننا فى حياتنا المقدسة مع الرب ، لا نبرم تعهداً جديداً، إنما نحن نجدد تعهداتنا القديمة .

ليت الرب يمنحنا قوته ، لكى نكون أمناء له ...





بركة الله للناس

البركة شئ نحسه ، أكثر مما نعبر عنه بألفاظ .

البركة قد تعني ما تقدمه يد الله فى حياتنا من عمل نعمته. وغالباً ما تصحبها الكثرة ، والنجاح ، والكفاية ، والإنتشار .

أشخاص مباركون

سمعنا عن البركة من أول قصة الخليقة .

بارك الله أبوينا الأولين وقال لهما "اثمروا واكثروا واملأوا الأرض، وأخضعوها وتسلطوا.." (تك١: ٢٨) . وكانت هذه البركة تعني الكثرة والسيادة ، وتقريباً نفس هذه البركة أعطيت لنوح وأولاده بعدالطوفان (تك٩: ١، ٢) .

ونسمع عن بركة تفصيلية قالها الرب لأبينا ابرآم إذ قال له "أجعلك أمة عظيمة، وأباركك وأعظم إسمك. وتكون بركة. وأبارك مباركيك، ولاعنك ألعنه. وتتبارك فيك جميع قبائل الأرض" (تك١٢: ١- ٣) .

إنها بركة خرجت من فم الرب نفسه بطريق مباشر .

ومن أمثلتها قول يعقوب للرب "لا أطلقك إن لم تباركني" (تك٢٤: ٥١) . وأيضاً قول الرسول "باركنا بكل بركة روحية" (أف١: ٣) . وقول السيد المسيح للذين عن اليمين "تعالوا إليّ يا مباركي أبي، رثوا الملك المعد لكم قبل إنشاء العالم" (مت٢٥: ٣٤) . مباركي أبي أي الذين باركهم الآب .

البركة وحفظ الوصايا

ولعلك تسأل : أنا لا يكلمني الله مباشرة كهؤلاء ...!

فكيف أحصل على بركة الرب وأثق بها ...؟

تحصل على بركة الله أولاً بحفظ وصاياه ، فتأخذ بركة الطاعة .

وهكذا يقول الرب فى سفر التثنية عن ارتباط البركة بحفظ الوصايا :

"وإن سمعت سمعاً لصوت الرب إلهك ، لتحرص أن تعمل بجميع وصاياه.. مباركاً تكون فى المدينة، ومباركاً تكون فى الحقل ومباركة تكون ثمرة بطنك، وثمرة أرضك، وثمرة بهائمك، نتاج بقرك، وإناث غنمك. مباركة تكون سلتك ومعجنك . مباركاً تكون فى دخولك ، ومباركاً تكون فى خروجك . يأمر لك الرب بالبركة فى خزائنك ، وفى كل ما تمتد إليه يدك .." (تث٢٨: ١– ٨) .

✠ ✠ ✠

خذوا مثالاً لذلك وصية العشور ، وحقوق الرب فى مالك :

قد يقول شخص : إن كان دخلى كله لا يكفينى ، فكيف إذن إن نقص منه عشره؟ أقول لك إن تسعة الأعشار مع البركة أكثر بكثير من الدخل كله بدون بركة .

كثيراً ما ترى أشخاصاً لهم دخل كبير لا بركة فى أموالهم، ولا تكفيهم على كثرتها ..

✠ ✠ ✠

أنظروا إلى موضوع الأرض . كان الرب يأمر بأن تسبت الأرض فى العام السابع، فلا زرع ولا حصاد . ولذلك قال إنه يبارك فى غلة العام السادس، فتكفى هذا العام وما يليه . ولذلك نحن نقول فى صلاة البركة "يا من بارك فى غلة العام السادس" ..

إن الله إذا بارك الأرض ، تعطى إنتاجاً وافراً .

الأرض الجيدة قد تعطى ثلاثين أو ستين أو مائة ، حسب مقدار مباركة الرب لها: وعلى العكس الأرض التى لا بركة فيها، ما أصعب ما قيل عنها لقايين بعد خطيئته **"إن عملت فى الأرض، لا تعود تعطيك قوتها"** (تك٤: ١٢) .

✠ ✠ ✠

نفس حديث البركة ، نقوله عن وصية السبت، والوقت .

لا تقل الوقت لا يكفى . الأيام السبعة التى للأسبوع لا تكفى، فكم بالأولى إن ضاع منها يوم ؟

أقول لك بنفس المنطق : ستة أيام ومعها بركة ، خير من سبعة أيام بلا بركة . بل الله قادر أن يبارك ساعة واحدة لتكون لك مصدر خير وإنتاج ، أكثر من أيام عديدة لا بركة فيها. إبحث إذن عن بركة الرب .

مثال ذلك الروحيات ، فى الخدمة .

إن الخدمة إذا باركها الرب ، يكون لها ثمر . مهما كانت بسيطة، أو وقتها قليل. الله يبارك فى الجهد الضئيل فيكون له مفعول عميق جداً. لذلك أطلب بركة الرب لخدمتك .

ليس المهم فى كمية الخدمة ، أو فى الإعداد لها ، إنما فى بركة الرب التى تنجح الخدمة ...

✠ ✠ ✠

مصادر البركة

البركة قد تحصل عليها من الله مباشرة ، بأن تضع عملك فى يد الله :

إن حصاة واحدة فى مقلاع داود، فعلت ما لم يفعله الجيش بأكمله. لأنها رميت باسم رب الجنود (١صم١٧: ٤٥، ٤٦) ...

لقد وضعت الحصاة فى يد الله ، قبل أن توضع فى المقلاع .

هكذا حديثنا أيضاً عن الخمس خبزات والسمكتين. لما وضعت هذه الكمية الضئيلة فى يد الرب ، أمكن أن تشبع خمسة آلاف وتفيض منها ١٢ قفة مملوءة ...

إذن لكى تحصل على البركة ، تحفظ الوصايا وأيضاً تضع كل عملك وكل مواهبك فى يد الله .

وأيضاً تحصل على بركة الله من رجال الله حاملى البركة .

إيليا النبى دخل إلى بيت أرملة صرفة صيدا ، فدخلت البركة إلى بيت الأرملة. وهكذا بارك الله كوار الدقيق وكوز الزيت، فلم يفرغا طول مدة المجاعة . حقاً إنها بركة من الله، ولكنها جاءت عن طريق رجل الله .

إن القديسين لم يكونوا فقط حاملى بركة ، بل كانوا هم أنفسهم بركة ، كما قال الرب لإبرآم وتكون بركة (تك١٢: ٢) .

إن إيليا كان بركة فى بيت الأرملة . وكان أليشع بركة فى بيت الشونمية . وكان يوسف بركة فى بيت فوطيفار ، إمتلأ البيت خيرات بسببه . وكان بركة أيضاً فى السجن، وكان بركة أيضاً فى أرض مصر ، وكل مكان حل فيه .

لذلك نحن نلتمس باستمرار بركة كل قديسى الله ، حتى عظامهم نحتفظ بها بركة فى كنائسنا وأديرتنا .

✠ ✠ ✠

ومثل بركة القديسين بركة رجال الكهنوت ، الآباء الروحيين .

البركة التى يمنحها الله من أفواه هؤلاء الآباء .

وقد أعطانا الرب مثالاً لهذا فى أبينا ابراهيم الذى باركه ملكى صادق كاهن الله العلى (تك١٤:١٩) . وفى حنة أم صموئيل التى باركها عالى الكاهن، والأمثلة فى ذلك لا تدخل فى حصر .

✠ ✠ ✠

وبركة الله ينالها الإنسان أيضاً عن طريق والديه .

"بالإيمان بارك اسحق إنه يعقوب" (عب١١: ٢٠) .

ويقعوب قال ليوسف عن ابنيه افرايم ومنسى "قدمهما إلىّ لأباركهما" (تك٤٨: ٩) . وأعطى الصغير بركة أكثر من الكبير ، ومثلما فعل هكذا كان .

ونفس الوضع نقوله عن أبينا نوح : من باركه من الأولاد صار مباركاً. ومن لعنه (كنعان) صار كذلك (تك٩: ٢٤- ٢٦) .

لذلك فإن الكتاب يدعونا إلى نوال بركة الوالدين ويقول "أكرم أباك وأمك لكى تطول أيامك على الأرض" (خر٢٠: ١٢) (تث٥: ١٦) (أف٦: ٢) .

✠ ✠ ✠

والبركة نُنالها أيضاً عن طريق خدمة المحتاجين .

إن الله يمنحك بركة، حينما تعطف على المحتاجين. أولئك الذين قال عنهم الرب "مهما فعلتموه بأحد أخوتى هؤلاء الأصاغر، فبى قد فعلتم" (مت٢٥: ٤١) . فأنت تأخذ بركة الجائع الذى تطعمه ، وبركة المريض الذى تزوره ، وبركة كل محتاج تعطف عليه ..

وما أعجب قول أيوب الصديق فى ذلك "بركة الهالك حلت علىّ" (أى٢٩: ١٣) أى أن الشخص الذى كان هالكاً، وأنا أنقذته من الهلاك، هذا قد حلت على بركته .

إذن فأنت فى كل عطاء تأخذ بركة .

أنت لا تعطى للكنيسة التى تبنى، وإنما أنت تأخذ من بركة مساهمتك فى بناء الكنيسة، إن قدمت بعض الأوانى لمذبح الكنيسة، فأنت لا تعطى ، إنما تأخذ بركة هذه الأوانى، وهكذا فى كل تبرع ...

✠ ✠ ✠

والبركة ننالها أيضاً من المواضع المقدسة التى باركها الرب .

حقاً إن الله موجود في كل موضع، لكن هناك مواضع معينة لها بركة خاصة.. أنظروا ماذا يقول داود النبي: "مساكنك محبوبة أيها الرب إله القوات ، تشتاق وتذوب نفسي للدخول إلى ديار الرب" (مز ٨٤: ١) "فرحت بالقائلين لي إلى بيت الرب نذهب" (مز١٢٢: ١) . لماذا؟ "لأن هناك أمر الرب بالبركة والحياة .

✠ ✠ ✠

والبركة قد تحل بكلمة بركة ، أو بأمور أخرى .

وقد تأتي أيضاً بوضع اليد للبركة ، كما قيل في مباركة السيد المسيح للأطفال "فاحتضنهم ووضع يديه عليهم وباركهم" (مر١٠: ١٦) .

والبركة تعطى أيضاً برشم الصليب، على أعتبار أن الصليب هو مصدر كل بركة ..

والبركة ننالها أيضاً عن طريق رش الماء المصلى عليه ، كما قال الرب "أرش عليكم ماء طاهراً فتطهرون" (حز٣٦: ٢٥) .

والبركة تنال أيضاً في الأسرار المقدسة ..

وتنال أيضاً بالإيمان، كما قيل ايضاً "إذن الذين هم من الإيمان، يتباركون مع ابراهيم المؤمن" (غل٣: ٩) .

✠ ✠ ✠

وسائل البركة كثيرة ، ولكن المهم أن نسعى بكل جهدنا لكي ننال هذه البركة ، ليست فقط البركة المادية في الرزق مثلاً ، وإنما بالأكثر البركات الروحية ، التي يمكن أن تكون منها موهب الروح وثمار الروح ، وكل معونة من الرب في حياتنا الروحية .

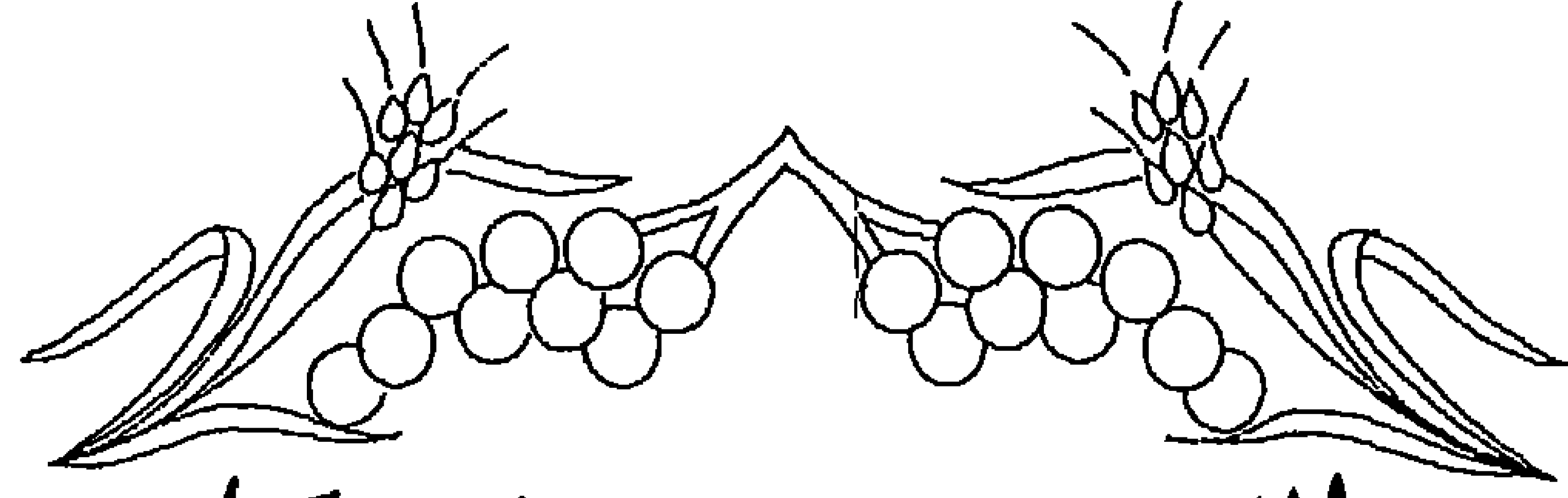
✠ ✠ ✠

وليت حياتكم نفسها تكون بركة لكم ، وبركة لغيركم .

يشعر كل من يقابلكم إنه نال في لقائكم بركة . تكون كلماتكم تفيض بالبركة ، ومعاملاتكم كذلك .

وأعمق الناس هم الذين تكون حياتهم بركة لأجيال كثيرة ، حتى بعد أن يفارقوا هذا العالم .





الله .. إلـه الكل

"للرب الأرض وملؤها، المسكونة وكل الساكنين فيها" (مز٢٤: ١).

الكل له، وهو للكل .

هو إله الكل، خالق الكل . وهو المعتنى بالكل. وكل أحد له نصيب فيه . وهـو ضـابط الكل ومدبرهم .

هو إله الملائكة والبشر والحيوان والطير ، والطبيعة الجامدة .

مادام الله قد خلق السموات والأرض (تك١: ١)، فهو إذن إلـه السماء وكل ما فيها، وإله الأرض وكل ما عليها، وكل ما تحت الأرض، وما بين السماء والأرض .

هو إلـه الحقول التى يغذيها بالماء، فتحيا وتنمو. وهو إلـه الزهور الموجودة فى الحقول. وإله النحل الذى يمتص رحيقاً من الزهور، ويحوله شهداً. وإلـه الإنسان الذى يأكل هذا الشهد المصنوع من هذا الرحيق .

إنه إله الطيور التى لا تـزرع ولا تحصد ولا تجمع إلى مخازن، وهو الذى يقوتها (مت٦: ٢٦) . وهو إله زنابق الحقل التى لا تتعب ولا تغزل، ومع ذلك ولا سليمان فى كل مجده كان يلبس كواحدة منها (مت٦: ٢٨، ٢٩). إنه إله العصفور، ينجيه من فخ الصيادين (مز١٢٤: ٧). وهو أيضاً إله الصيادين الذين نصبوا الفخ للعصفور ...

هو الذى يعطى البهائم طعاماً، ويعطى قوتاً للغربان التى تدعوه (مز١٤٧: ٩) . بل يرسل طعاماً للدودة التى تسعى تحت حجر ..!

هو إله الأرواح، وإله الأجساد . إلـه الأحياء الذين على الأرض، وإلـه الذين رقدوا وتركوا العالم الحاضر .

هو إله الكل ، إله كل الشعوب الذين فى العالم .

إله اليهود، وإله الأمم ، وإله السامريين ، وإله سائر الشعوب الذين على وجه الأرض. لقد ظن البعض خطأ أن السيد المسيح جاء يبشر اليهود فقط! كلا. بل هو قد جاء

للبشرية كلها. وهكذا قال لتلاميذه قبل صعوده "اذهبوا وتلمذوا جميع الأمم، وعمدوهم .. وعلموهم أن يحفظوا جميع ما أوصيتكم به" (مت٢٨: ١٩، ٢٠) . وقال لهم أيضاً :

"اكرزوا بالإنجيل للخليقة كلها" (مر١٦: ١٥) .

وقال كذلك "ولكنكم ستنالون قوة متى حلّ الروح القدس عليكم. وحينئذ تكونون لي شهوداً: في أورشليم وكل اليهودية، وفي السامرة، وإلى اقصى الأرض" (أع١: ٨) .

إن الله هو إله الكل ، هنا وفي الأبدية ...

وهذا ما قد وضحه يوحنا الرسول في سفر الرؤيا :

إذ قال "بعد هذا نظرت، وإذا جمع كثير لم يستطع أحد أن يعدّه، من كل الأمم والقبائل والشعوب والألسنة ، واقفون أمام العرش وأمام الحمل ، متسربلين بثياب بيض، وفي أيديهم سعف النخل . وهم يصرخون بصوت عظيم قائلين : الخلاص لإلهنا الجالس على العرش وللحمل.." (رؤ٧: ٩، ١٠) .

✠ ✠ ✠

هذا كله من ناحية الإيمان . لذلك نحن نقول عنه في صلواتنا اليومية "الداعي الكل إلى الخلاص من أجل الموعد بالخيرات المنتظرة". ويقول الرسول :

".. مخلصنا الله . الذي يريد أن جميع الناس يخلصون ، وإلى معرفة الحق يقبلون" (١تي٢: ٣، ٤) .

من أجلنا أرسل الأنبياء والرسل، وأقام الرعاة والمعلمين. وفي هذا يقول القديس بولس الرسول "وهو أعطى البعض أن يكونوا رسلاً، والبعض أنبياء والبعض مبشرين ، والبعض رعاة ومعلمين . لأجل تكميل القديسين، لعمل الخدمة ، لبنيان جسد المسيح. إلى أن ننتهي جميعنا إلى وحدانية الإيمان.." (أف٤: ١١- ١٣) .

✠ ✠ ✠

وفي هذا الجسد الواحد ، يرعى أنواعاً من الأعضاء ، ونرى الرب إلهاً للكل على مختلف نوعياتهم.. نراه إلهاً للأقوياء، وإلهاً للضعفاء:

إلهاً للأقوياء أمثال شمشون وجدعون (عب١١: ٣٢، ٣٣) "الذين بالإيمان قهروا ممالك.. سدوا أفواه أسود، أطفأوا قوة النار". وأقوياء مثل داود الذي هزم جليات، وقيل عنه إنه "جبار بأس، ورجل حرب" (١صم١٦: ١٨) . ومثل زربابل الذي قال الرب عنه في سفر زكريا النبي : **"من أنت أيها الجبل العظيم؟! أمام زربابل تصير سهلاً" (زك٣: ٧) .**

إنه إله الأقوياء أمثال نحميا الذى بنى أسوار أورشليم، وعزرا زميله الذى نقّى الشعب من أخطائه . وفى نفس الوقت هو إله الضعفاء مثل يعقوب الذى كان مرتعباً من أخيه عيسو، وصلى إلى الرب قائلاً "نجنى من يد أخى، من يد عيسو. لأنى خائف منه أن يأتى ويضربنى الأم مع البنين" (تك٣٢: ١١) .

إنه إله هابيل الذى قتله أخوه قايين .

إله كل الذين قُبض عليهم، وألقوا فى السجن، ولم يستطيعوا أن ينقذوا ، فجلدوا أو قتلوا بالسيف. واستشهدوا لأجل إسمه.. إنه إله يوحنا المعمدان الذى قُطعت رأسه، وسُلمت على طبق إلى إبنة هيروديا (مت١٤: ١١). وهو إله اسطفانوس أول الشمامسة الذى رجمه اليهود، بينما نظر السماوات مفتوحة. وهو ممتلئ بالروح رأى مجد الله (أع٧: ٥٥، ٥٦).

✠ ✠ ✠

إنه إله الحكماء، وإله البسطاء .

إله سليمان الحكيم ، الذى كان أحكم أهل الأرض . وإله بولس الرسول الرجل المثقف الذى تهذب عند قدمى غمالائيل (أع٢٢: ٣) . وموسى النبى الذى تهذب بكل حكمة المصريين (أع٧: ٢٢) . وإله أرسانيوس معلم أولاد الملوك . وإله أثناسيوس أبو علم اللاهوت ، الذى ظهر نبوغه فى مجمع نيقية المسكونى ..

وفى نفس الوقت هو إله جهّال العالم الذين أخزى بهم الحكماء (١كو١: ٢٧) . إله الرسل الصيادين ، وإله القديس بولس البسيط. إله كل البسطاء الذين لم يأخذوا حكمة من العالم، فمنحهم حكمة سماوية من فوق ...

✠ ✠ ✠

إنه إله المرضى والأصحاء .

إله مريض بيت حسدا ، الذى قضى ٣٨ سنة فى مرضه، وليس له إنسان يلقيه فى البركة . فوجد أخيراً من يقول له "قم احمل سريرك وامشِ" (يو٥: ٥- ٨) . إله المرضى بكل نوع الذين كان يضع يديه على كل واحد منهم فيشفيهم (لو٤: ٤٠) . وهو إله الأصحاء الذين منحهم القوة من عنده .

هو إله الأبرار الذين يحبهم، وإله الخطاة الذين قادهم إلى التوبة .

إله الآباء والأنبياء الذين سبق فعرفهم، فعينهم ودعاهم وبررهم ومجدهم أيضاً (رو٨: ٢٩، ٣٠). إله قديسى البرية فى عمق قداستهم. وإله أوغسطينوس وموسى الأسود، وبيلاجية ومريم

القبطية.. أولئك جميعاً الذين نقلهم من الخطية إلى التوبة، بل إلى درجات عالية من القداسة

إنه إله شاول الطرسوسي في حالتيه: حالته وهو مضطهد للكنيسة، وحالته وهو رسول للأمم ، يكرز في كل مكان، ويتألم لأجل إسمه. إنه يمثل الذين لم يذهبوا إلى الله، بل الله كان البادئ والمفتقد والداعي ..

إنه إله زكا العشار ، الذي سمع منه عبارة : اليوم حصل خلاص لأهل هذا البيت (لو١٩: ٩) . وإله لمتى العشار الذي صار له رسولاً .

✠ ✠ ✠

إنه إله الكل ، لذلك فنعمته تعمل في الكل . والمهم في الأمر أن الإنسان يستجيب لعمل نعمته .

أريانوس والى أنصنا الذي كان أقسى ولاة ديوقلديانوس اضطهاداً للمسيحية، وأكثرهم افتتاناً في تعذيب المسيحيين، استجاب لعمل الله فيه أخيراً، وآمن وصار شهيداً. وكبريانوس الساحر استجاب أيضاً لعمل النعمة فيه، فتاب ثم صار أسقفاً. أما الذين رفضوا عمل الله، فهلكوا.. مثل فرعون الذي شاهد العجائب الكثيرة، ولكن قلبه تقسى . ومثل أغريباس الملك في قوله لبولس الرسول "بقليل تقنعني أن أصير مسيحياً" (أع٢٦: ٢٨)، ولكنه لم يصر لأنه أضاع الفرصة . ومثله فيلكس الوالي، الذي أرتعب حينما كان بولس الرسول يتكلم عن البر والدينونة والتعفف (أع٢٤: ٢٥).. ولكنه لم يستفد من عمل النعمة فيه، بل قال لبولس "اذهب الآن. ومتى حصل لي وقت استدعيك". ولم يقل الكتاب إنه حصل له وقت!!.

✠ ✠ ✠

الله أيضاً إله الكل . إله البتوليين وإله المتزوجين :

إله كل الرهبان والنساك والمتوحدين والسوّاح وأمثالهم من البتوليين . وأيضاً إله ابراهيم واسحق ويعقوب وأمثالهم من المتزوجين .

على جبل التجلي كان الرب محاطاً بموسى وإيليا : إيليا البتول الذي صعد إلى السماء في مركبة نارية (٢مل٢: ١١) . وموسى الذي تزوج بأكثر من واحدة (عد١٢: ١) .

وحول الصليب كانت توجد القديسة العذراء ، ويوحنا البتول. وأيضاً كانت توجد مريم زوجة كلوبا التي كان لها أولاد كثيرون .

✠ ✠ ✠

الله أيضاً هو إله الذين يحيون حياة التأمل . وإله الذين يعيشون في حياة الخدمة .

إله أنطونيوس أب جميع الرهبان ، العابد فى البرية . وإلـه أثناسيوس البابـا العشـرين فى خدمته الرعوية وتنقلاته الكثيرة دفاعاً عن الإيمان ...

إله المتفرغين لحياة الصلاة . وإله يوسف الصديق الذى كـان يعمل كوزيـر تمويـن، يخزن القمح ويبيعه بحكمة لكى ينقذ الناس من المجاعة .

✠ ✠ ✠

الله هو إله الإكليروس ، وإله العلمانيين .

إله البابا ابرآم بن زرعة ، وإله سمعان الدباغ . وبصلاة هذا وإيمان ذلك تم نقل الجبل المقطم .. إله البابا كيرلس الرابع ، بطل الإصلاح. وإلـه ابراهيم الجوهرى رئيس كتبـة محمد على ، أى وزير ماليته، وكذلك إله أخيه جرجس الجوهرى شريكه فـى البر وفـى العمل الحكومى ..

إله الأنبا ابرآم أسقف الفيوم، والأنبا صرابامون أبو طرحه أسقف المنوفية، وإله سيدهم بشاى القديس الشهيد . إله البابا متاؤس البطريرك القديس، ومعاصره الأنبا رويس الذى لم تكن له أية رتبة كهنوتية أو رهبانية ، ومع ذلك صنع الله به عجائب ومعجزات .

✠ ✠ ✠

إنه إله الطاهرين ، والذين يطلبون الطهارة بكل قلوبهم .

إنه إله القديسين، والذين يسعون إلى الحياة فى القداسة. وإن قادهم الله إليها يستجيبون.

إنـه إلـه يوحنـا ، تلميذه المحبوب الواقف إلـى جـوار صليبـه .. وإلـه ديمـاس اللـص المصلوب معه، الذى قال "اذكرنـى يـارب متـى جئـت فـى ملكوتـك" (لـو٢٣: ٤٢) . وإلـه الذين صلبوه وقال عنهم "اغفر لهم يا أبتاه لأنهم لا يدرون ماذا يفعلون" (لو٢٣: ٣٤) .

✠ ✠ ✠

إن كان الله إله الكل ، فهل الكل بمساواة ؟ وماذا عن الرافضين له كإله ؟

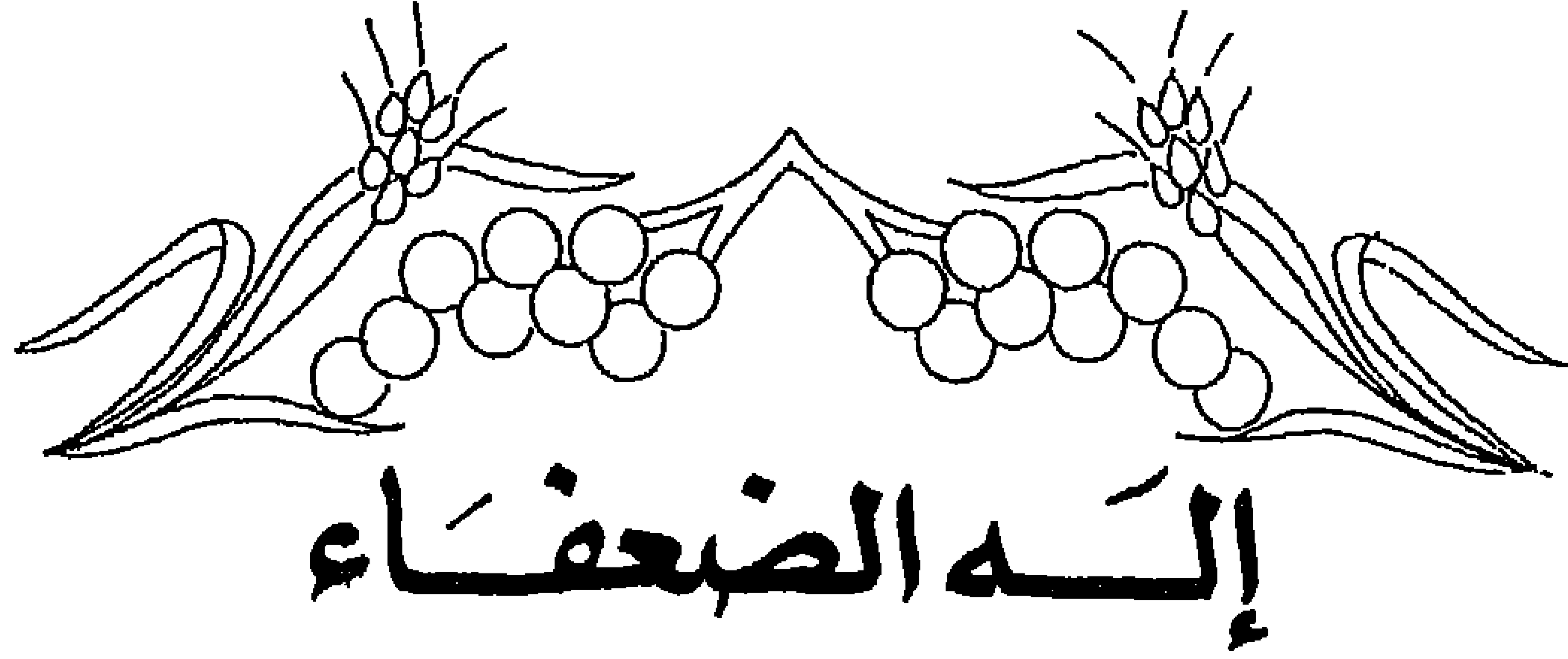
هؤلاء كان الله لهم . أما هم فرفضوا أن يكونوا له .

ولذلك يجمع الكتاب هذين الأمرين معاً، لتكون منها رابطـة تجمـع بيـن اللـه والنـاس . فيقول "هم يكونون له شعباً ، والله نفسه يكون معهم إلهاً لهم" (رؤ٢١: ٣) .

✠ ✠ ✠

مادام الله على الأرض إلها للكل . فهو بالأكثر إله للضعفاء .

هؤلاء الذين ليس لهم غيره . حتى أنفسهم عاجزة عن أنقاذهم . .



إلـــه الضعفـــاء

إلهنا الحنـون يقف إلى جوار كل ضعيف ليسنده .. ألسنا نقول عنه فى صلوات الكنيسة:

معين من ليس له معين ، ورجاء من ليس له رجاء . عزاء صغيرى القلوب، ميناء الذين فى العاصف ...

أى أن الذى قلبه صغير ، لا يحتمل متاعب الدنيا، ولا متاعب الخطية ، ولا متاعب الناس ، هذا يجد فى الله عزاءه . وإن أضطربت سفينته وسط الأمواج العاصفة ، يجد فى الله ميناء السلام ...

إن إلهنا هو إله الضعفاء والمساكين ، يقف دائماً إلى جوارهم . لما ثارت الأمواج على سفينة التلاميذ، رأوا المسيح ماشياً على البحر ، ينتهر الرياح، وينقذ السفينة من الأمواج... (مت١٤: ٢٣ - ٣٣) .



الله دائماً مع الضعفاء . وضد الأقوياء المعتزين بقوتهم ...

ضد القساة ، والمتغطرسين ، والمتكبرين . ولذلك قال الكتاب "قبل الكسر الكبرياء" (أم١٦: ١٨) . كان ضد فرعون المتعالى ، ومع موسى الوديع الهادئ .. وقف مع يعقوب المسكين الهارب من أخيه عيسو ، وعزاه بالرؤى وبالوعود وبالخيرات. ولم يقف مع عيسو القاسى ...

كان مع يوسف المسكين، الذى رموه فى البئر، وبيع كعبد، والقى فى السجن ظلماً ولم يدافع فى كل ذلك عن نفسه .

وقف أيضاً إلى جوار المرأة المسكينة التى ضبطت فى ذات الفعل، وقسا الناس عليها وفضحوها ، وطلبوا لها الموت ، فدافع عنها دون أن تطلب منه ذلك، ودون أن تستنجد به

(يو٨: ٣- ١١) .

✠ ✠ ✠

إنه يقول "إلىهذا أنظر إلى المسكين والمنسحق الروح والمرتعد من كلامى" (اش٦٦: ٢) . وقال "روح الرب علىّ، لأنه مسحنى لأبشر المساكين أرسلنى لأعصب المنكسرى القلب، لأنادى للمسبيين بالعتق، وللمأسورين بالإطلاق " (اش٦١: ١) .

لقد ذهب لينقذ المريض المسكين، الذى له ٣٨ سنة فى مرضه، وليس لـه إنسان يلقيه فى البركة (يو٢٥: ٩). ووقف إلى جوار المولود أعمى ، عندما أخرجه رؤساء اليهود خارج المجمع (يو٩: ٣٥) .

من هاتين الآيتين يقف الرب إلى جوار المساكين ، والمنسحقى الروح ، والمنكسرى القلب، والمسبيين، والمأسورين.. حقاً إنه إله الضعفاء ...

✠ ✠ ✠

كان مع داود الضعيف ، أمام شاول الملك، وجليات الجبار .

داود الذى كان يهرب من برية إلى برية، وضده شاول بكل سلطانه وجنده وقسوته، داود الطفل الذى وقف أمام جليات الجبار .

✠ ✠ ✠

دافع عن المرأة الخاطئة التى بللت قدميه بدموعها ومن أجلها وبخ سمعان الفريسى (لو٧). وبالمثل فضل العشار المنسحق على الفريسى المنتفخ (لو١٨) . ووقف مع كل الضعفاء ، دافع عن الأطفال ، وعن النساء ، وعن الخطاة، وقبل الابن الضال .

حقاً إن "الرب يحكم للمظلومين" (مز١٤٦: ٧) و"حافظ الأطفال هو الرب" (مز١١٦: ٦)

لذلك إن كنت ضعيفاً ، لا تخف من ضعفك . بل قل "فيما أنا ضعيف، حينئذ أنا قوى" (٢كو١٢: ١٠). لماذا؟ لأن الله يقول "قوتى فى الضعف تكمل" . أليس هو الذى "اختار ضعفاء العالم ليخزى بهم الأقوياء" ، وليس فقط الضعفاء ، بل أيضاً المزدرى وغير الموجود (١كو١: ٢٧، ٢٨) .

كن إذن ضعيفاً والرب معك ، ولا تكن قوياً والرب مفارقك .

كانت الكنيسة عزلاء ضعيفة أمام كل قوة الدولة الرومانية وبطشها وأسلحتها، ولكنها انتصرت عليها، لأن قوة الرب كانت معها .

إذا وجدت خادماً صار جباراً ، قل له "قربت نهايتك" .

منسى يقول للرب "فى أنا الضعيف، تظهر قوتك" .. إن كنت ترحم إبراهيم وإسحق ويعقوب فهؤلاء قديسون، ولكن فى خاطئ مثلى تظهر رحمتك" .

لقد قال الرب "ما جئت لأدعو أبراراً ، بل خطاة إلى التوبة " (مت٩: ١٢، ١٣) .

لا تقف أمام الله وتعد وعوداً ، كمن هو واثق بقدرته على التنفيذ ، وإنما قف كضعيف يطلب معونة ...

قل له : ساعدنى ، لأترك هذه الخطية . لأنى كلما أتركها، أعود إليها مرة أخرى .. أعترف بضعفك ، وقل له ...

"أنت يارب تعرف يقظة أعدائى ، وضعف طبيعتى أنت تعرفه يا خالقى" هكذا نقول للرب فى صلاة الستار .

فى حروبك الروحية تغلب بضعفك لا بقوتك . لأنك فى اعترافك بضعفك، إنما تغلب بقوة الله التى فيك ...



نقول فى صلوات الأجبية "الأعزاء قاموا على، والأقوياء طلبوا نفسى، ولم يسبقوا أن يجعلوك أمامهم" (مز٥٤) . هؤلاء الأقوياء المعتزون بقوتهم، "فى الطريق التى أسلك أخفوا لى فخاً" "ضاع المهرب منى، وليس من يسأل عن نفسى" (مز١٤٢: ٣، ٤) . ونقف أمام الله كضعفاء ونقول "إلى متى أردد هذه المشورات فى نفسى، وهذه الأوجاع فى قلبى النهار كله" "إلى متى يرتفع عدوى علىّ" (مز١٣) .



الإنسان الذى يقف أمام الله كضعيف ، هو الذى يأخذ قوة من الله ، يستطيع أن ينتصر بها على الكل .

القديس أنطونيوس الذى قال للشياطين "أنا أضعف من أن أقاتل أصغركم" هو الذى استطاع أن يقهر أعظم الشياطين ...

إن وقفت أمام الله كقوى ، تكون معتمداً على ذراعك البشرى، وحينئذ تتخلى عنك النعمة لكى تشعر بضعفك، فتتضع ...

تكلم مع الله بصراحة ، واشرح له ضعفك . قل له : إننى ضعيف أمام الخطية الفلانية. إن كان ملكوتك يارب لا يدخله إلا الأقوياء، فهل سأهلك أنا الضعيف ؟!

وإن كنت ضعيفاً ، فمن سيقوينى ، إلا أنت يارب ؟!

أنا يارب - كضعيف - أطلب قوتك، وكعاجز أطلب معونتك . وكفاشل أمام الشياطين، أطلب أن تحاربها عنى، بأسلحتك .

✠ ✠ ✠

إن الله دائماً يشفق على الضعفاء، المقيدين ، العاجزين، وما أجمل قول بولس الرسول فى الإشفاق على الضعفاء :

اذكروا المقيدين، كأنكم مقيدون أيضاً مثلهم .واذكروا المذلين ، كأنكم أيضاً فى الجسد (عب١٣: ٣) .

مشكلة الفريسيين أنهم كانوا يثقون بأنفسهم وبقوتهم ، ولذلك كانوا يحتقرون الخطاة والضعفاء . لذلك وبخ الرب مشاعرهم .

إذا احتقرت ضعيفاً ساقطاً ، فاعرف أنك معرض للسقوط مثله .

إن كان الله يطلب إلينا أن نحتمل ضعف الضعفاء، فلابد أنه - تبارك إسمه - يحتمل ضعف الضعفاء بما لا يحد من طول أناته .

صارع مع الله . قف أمامه ضعيفاً لتأخذ منه قوة ، وخالياً لتأخذ منه ملئاً، وجاهلاً ليعطيك من معرفته .

✠ ✠ ✠

إذا وثقت أنك ضعيف ستتعلم الصلاة، وستنال الإتضاع .

لأن الأقوياء نادراً ما يصلون، وصعب عليهم أن يتضعوا ...

وإذا وقفت أمام الله كضعيف ، سيسكب عليك المواهب ...

لما قال أشعياء "ويل لى قد هلكت لأنى إنسان نجس الشفتين" استحق أن يتقدم واحد من السارافيم بجمرة على المذبح، ويمسح شفتيه فيطهر .

✠ ✠ ✠

لا تثق بنفسك أنك أقوى من الخطية ، لأن شعورك بقوتك، يفقدك الإحتراس، ويفقدك التدقيق والحرص. ويوقعك فى الغرور، ويبعدك عن الصلاة.

وهكذا تسقط .. ألم يقل الكتاب عن الخطية : "إنها طرحت كثيرين جرحى، وكل قتلاها أقوياء" (أم٧: ٢٦) ؟!

كل آبائنا عاشوا فى حياة المسكنة ، ولم يعتمدوا على قوتهم، فكل الذين اعتمدوا على قوتهم هلكوا ...

قال الشيطان لله : أترك لى الأقوياء ، فإنى كفيل بهم . أما الضعفـاء فـإذ ليست لهـم قوة، يحاربوننى بقوتك، فلا أقدر عليهم .

✠ ✠ ✠

إن معونة الله للضعفاء ، لا تعنى أن يكون جميع المسيحيين متصفين بالضعف. فعلى العكس المسيحية قوة . والمؤمن إنسان يستطيع كل شئ فى المسـيح (فـى٤: ١٣). فأمامنـا قاعدة هامة وهى :

اشعر بأنك ضعيف بذاتك ، قوى جداً بالله العامل فيك .

ولذلك أحرص على عمل القوة الإلهية فيك، باتضاعك الدائم .

وشعورك بأنك متمتع بقوة إلهية تعمل فيك ، وليس بمجرد قوة بشرية، هذا يعطيك ثقـة أكبر . لأن القوة البشرية يمكن أن تنهار . أما قوة الله فهى قادرة فى كـل حيـن علـى كـل شئ .

من هنا يكون الإنسان المسيحى قوياً جداً . ولكـن ليس بقوتـه وشـخصيته ، وإنمـا بقوة الله العاملة فيه .

✠ ✠ ✠

لذلك إن كنت ضعيفاً ، لا تخف من ضعفك . وإن كنت مغلوباً من خطية ما، فلا تيأس من انغلابك .

كان أوغسطينوس ضعيفاً أمام الخطية ومغلوباً، وهكذا كان موسى الأسـود، وبيلاجيـة، ومريم القبطية، وآخرون. ولكن قوة الله التى تسند الضعفـاء، قـادتهم فـى موكـب النصـرة (٢كو٢: ١٤) .. وكما قال الكتاب "ليقل الضعيف بطل أنا" (يوئيل ٣: ١٠) .

✠ ✠ ✠

مشكلة المشكلات أن إنساناً ضعيفاً يعتقد فى نفسه القـوة . اطـرح ضعفك أمامـه. وقـل له: الإرادة حاضرة عندى، ولكن أن أفعل الحسنى لست أجد.. الشر الذى لست أريده إيـاه افعل" (رو٧: ١٨، ١٩) .

أنت يارب تستطيع أن "تعطى المعيى قوة" "وتنبت لـه أجنحـة كالنسـور" أنـت قـادر أن تعمل بى شيئاً ...

غالبية الخطاة الذين استمروا فى خطيتهم، لم يكونوا صرحاء مع الله، ولا مع أنفسـهم. ولم يطرحوا ضعفهم أمام الله، ولم يصروا على نوال قوة منه .. لـم يطلبـوا قلبـاً جديـداً ،

وأسلحة روحية جديدة. وحياة إلهية تعمل فيهم.

✠ ✠ ✠

لا تقل له : سأترك هذه الخطية ، وإنما قل: أعطنى قوة لأتركها .

إن لم تمسك يدى، فلن أتقدم خطوة واحدة. بدونك لا أستطيع شيئاً. كن كالمريض الذى يعرف مرضه، ويعرضه على الطبيب فيشفى . أما إن أنكر مرضه فسيبقى فيه .

أقوى الناس هم الذين يشعرون بضعفهم، ويأخذون من الله قوة . أما الذين يظنون أنهم أقوياء ، فهم ليسوا أقوى من الشيطان، الذى هو أكثر حيلة، وأكثر حكمة، وأكثر معرفة بالنفس البشرية، وأكثر خبرة بالحروب الروحية، ولن تغلبه سوى قوة الله .

حقاً "الله يغلبه لا الإنسان" (أى٣٢: ١٣) .

كذلك ضع قوة الله أمام حروب الشياطين . مهما كنت ضعيفاً ، فإن الروح القدس الذى فيك، هو قادر أن يغلب وأن ينتصر ...



ألقيت هذه العظة فى الكاتدرائية الكبرى يوم الجمعة ١٦ مايو ١٩٨٠ فى ظروف سياسية صعبة . بعد أن ألقى الرئيس السادات خطبة فى مجلس الشعب يوم ٥/١٤ هاجمنا فيها بلهجة شديدة جداً (العظة مسجلة صوتياً) .

الله يعمل .. ويعمل فى هدوء

أقول لكم اليوم : أود أن تهدأوا . وأنا أعرف أنكم هادئون ، إنما أود أن تستمروا فى هذا الهدوء . وثقوا أن الله يعمل . وطريقته أن يعمل فى هدوء .

إن الله دائم العمل . ونحن كمؤمنين بالله – لابد أن نضع أمامنا عمل الله باستمرار .

والله يعمل من أجلنا ، حتى دون أن نطلب .

لقد خلق الله الكون، دون أن يطلب الكون نعمة الوجود . فالعدم ما كان بإمكانه أن يطلب . وخلق الله الإنسان ، دون طلب للتراب أن يصير إنساناً !

والله من أجلنا عمل كل شئ . أعد للإنسان الشمس والقمر والأنهار والبحار، وأعد له الأشجار والثمار ، وكل وسائل الراحة ، دون أن يطلب الإنسان شيئاً منها ..

وخلق الله لآدم حواء ، دون أن يطلبها ، وإنما لمجرد معرفة الله أن آدم يحتاج إليها، كمعين إلى جواره .

لقد عمل الله كل شئ ، بدافع من محبته ورعايته .

وظل الله يرعى هذا الكون ، ويحيطه بعنايته :

يشرق بشمسه على الجميع ، ويعطى ثمر الأرض للكل ، حتى للملحدين الذين ينكرون وجوده ، حتى للمجدفين عليه .

ويعطى أيضاً حتى للخطاة ، الذين يعصونه ويكسرون وصاياه .

إنه الإله المحب ، العامل فى الكون ، الذى يجول يصنع خيراً ، يعطى البركة والنعمة، ويعطى لكل أحد .

هو الحب المطلق، وهو الخير المطلق ، وهو كل شئ بالنسبة إلينا . إنـه أب لجميعنـا. ولا ينتظر الأب من ابنه أن يطلب حتى يعطيه . بل هو يدرك أحتياجاته فيعطيه إياها؟!

✠ ✠ ✠

وما أجمل آيات الإنجيل المقدس فى ذلك :

"أبوكم السماوى يعلم أنكم تحتاجون إلى هذه كلها" (مت٦: ٣٢) ...

إنه يعرف احتياجات كل نفس ، ويحس خفقات كـل قلـب. ويقـرأ أفكـار كـل واحـد منـا ومشاعره ، ويدرك رغباته .

إن كـان اللـه يعطـى طعامـاً للعصـافير دون أن تطلـب ، وإن كـان يمنـح ألوانـاً جميلـة تكتسى بها زنابق الحقل دون أن تطلب ، فكم بالأولى البشر الذين أعتبرهم الله ابناءه ..؟

✠ ✠ ✠

إنه ضعف إيمان ، أن ننسى عمل الله لأجل الإنسان !

فلنضـع الله أمامنا إذن ، فى كل إحتياجاتنـا الشـخصية ، وفـي كـل احتياجـات بلادنـا . وأيضاً من جهة العالم كله ، المحتاج إلى السلام المحتاج إلى الحب ، العـالم الـذى تطحنـه الحروب والصراعات، حتى لقد أصبح الأخ فيه ضد أخيه ...

لكن الله فى عمله ، قادر أن يملأ قلوب الناس حباً، وقادر أن يغرس فى مشاعر الكل أسمى العواطف وأنبلها .

✠ ✠ ✠

والله لا يعطى الناس العطايا المادية فقط، وإنما يعطيهم أيضاً المشاعر الطيبة ويعطى التوبة أيضاً للناس .

روحه القدوس يعمل فى القلب البشرى ، ونعمته المملوءة حباً، تزور كل إنسان لتعمـل فيه . وأرواح قديسيه ترفرف من حولنا، تقدم هى أيضاً معونة للبشر بتكليف من الله .

الله أيضاً يعطى الوحى، ويعطى الإلهام ، ويعطى الصوت الداخلى فى أعماق النفس، ويعطى جميع المواهب.

ونحن نؤمن أن كل عطية صالحة، هى نازلة من فوق ، من عند الله نفسه .

✠ ✠ ✠

لذلك نضع الله أمامنا باستمرار ، ونثق بعمله .

لقد عمل الله فى القديم، ومازال يعمل الآن ، وسيعمل فى كل حين، وإلى الأبد .

وما أجمل قول السيد المسيح فى ذلك "أبى يعمل حتى الآن، وأنا أيضاً أعمل" (يو٥: ١٧) .

يكفى أن ننام فى حضن الله، ونستريح هناك .

يكفى أن نريح رؤوسنا على صدر الله، ونتركها هناك .

واثقين أن قلب الله مملوء حباً وعطفاً. وواثقين أن الله يعرف عمله، وأنه يعمل ، ويتقن عمله .

✠ ✠ ✠

يوسف الصديق كان فى السجن، ولكن الله كان يعمل من أجله . وفى الوقت المناسب أخرجه من السجن إلى أرفع مناصب الدولة، دون أن يطلب يوسف ذلك .

ويونان ، أنقذه الله من البحر ، دون أن يحلم بذلك !

"كان الرب قد أعد حوتاً عظيماً فابتلع يونان" (يون١: ١٧) ثم أوصله سالماً دون أن يفكر يونان فى إنقاذ كهذا، أو يطلبه . ولكن الله كان يعمل من ذاته لأجل يونان .

وهوذا المزمور يقول "من أجل شقاء المساكين وتنهد البائسين، الآن أقوم – يقول الرب – أصنع الخلاص علانية" (مز١٢: ٥) .

لم يقل من أجل صلواتهم وطلباتهم ، وإنما من أجل شقائهم ، حتى دون أن يطلبوا، يقوم الرب ويصنع خلاصاً ...

✠ ✠ ✠

ولست أتكلم فقط عن حفظ الله لنبى كيونان ، أو قديس كيوسف الصديق، بل صدقونى إنه حتى كل حشرة تدب على الأرض، أو تسعى تحت التراب ، إنما تجد رعاية من الله، الذى يقدم لها طعاماً وحفظاً ، دون أن تطلب .

إنه الله الذى يعمل من أجل الكل، بمحبته ، ورعايته، ومعرفته وعدله، فيحفظ التوازن فى هذا الكون العريض .

إنه الله القادر على كل شئ ، القابض بيده على زمام العالم كله ، حتى نسميه فى صلواتنا "الله الضابط الكل" ..

إنه أب لجميعنا بكل ما تحمل كلمة الأب من حنان وحب ورعاية ، وعمل على إراحة أولاده . نناديه فى صلواتنا "ابانا الذى فى السموات" ...

إنه وهو يعمل كلى القدرة ، قال عنه الكتاب :

غير المستطاع عند الناس ، مستطاع عند الله " (مر١٠: ٢٧).

وكل من يلتصق بالقوة التى تسند وتعين .

✠ ✠ ✠

لهذا عملنا الأول ، هو أن ندخل الله فى كل عمل .

وإذا دخل الله فى أعمالنا، يقدر أن ينجح مسيرتها .

ونتأمل نحن عمل الرب، وليكن الرب مباركاً فى كل حين .

ونحن واثقون أن إلهنا المحب القوى ، لابد سيعمل من أجل مصر، التى قال عنها قبلاً "مبارك شعبى مصر" (أش١٩: ٢٥) .

وسنرى بركات الله فى مصر، حسبما يتسع إيماننا لنرى .

وعمل الله لأجلنا ، يمنحنا الإيمان، والرجاء، والإطمئنان .

لذلك نحن نطلب دائماً أن يشترك الله معنا فى العمل، ونقول فى قداساتنا فى الأواشى "اشترك فى العمل مع عبيدك، فى كل عمل صالح".. ويجيب الله "ها أنا معكم كل الأيام، وإلى إنقضاء الدهر" (مت٢٨: ٢٠) ..

أما نحن فإننا نحس وجود الله فى حياتنا، ويقول كل منا مع المرتل "جعلت الرب أمامى فى كل حين، لأنه عن يمينى لكى لا أتزعزع" (مز١٦: ٨) . إننا نرى الله واقفاً بيننا وبين كل إشكال. وفى الحب الذى نعيشه مع الله نقول :

إن عشنا فللرب نعيش . إن متنا فللرب نموت .. إن عشنا أو متنا ، فللرب نحن .. (رو١٤: ٨) .

الله بالنسبة إلينا ، هو الكل فى الكل ..

نعيش فى قلب الله ، ويعيش الله فى قلوبنا .

الله هذا الذى نعبده ، له اليقظة الدائمة ، لا ينعس ولا ينام . معرفته تدرك ما لا يدركه البشر والآلات .

✠ ✠ ✠

الله يعمل دائماً . ولكن طريقته أن يعمل فى هدوء .

فى هدوء خلق الكون ، وفى هدوء يرعاه ويدبره ، أنظر إلى قوانين الفلك ، كيف تتحرك الأجرام السماوية كلها فى هدوء. وتتعاقب الفصول، ويتعاقب الليل والنهار فى هدوء أيضاً . وبنفس الهدوء تنمو الأشجار قليلاً قليلاً ، بطريقة تكاد لا تحس. وبنفس

الهدوء أيضاً تعمل كل الأجهزة فى جسم الإنسان تتلقى أوامرها من مراكزها ، وتعمل فى صمت .

حينما كلم الله إيليا النبى ، لم يكلمه فى العاصفة ولا فى الزلزلة ولا فى النار، وإنما في "صوت منخفض خفيف" (١مل١٩: ١١- ١٣) فى هدوء . وبنفس الهدوء أنقذ الله يوسف، وانقذ المجوس. وبنفس الهدوء قام الرب بعمل التجسد وعمل الفداء .

وحينما أعد الله خدامه، أعدهم أيضاً فى هدوء البرية "كما أعد موسى النبى بعيداً عن صخب قصر فرعون. وكذلك أعد داود النبى فى رعى الغنم، فى الهدوء ، فى ظل المزمار والعود والقيثار ..



العجيب يا أخوتى ، أن جميع الكواكب هادئة ، ما عدا هذا الكوكب الذى نعيش فيه .

هذه الكرة الأرضية هى التى تفقد هدوءها بين الحين والآخر ، وتهزها الصراعات والإنقسامات والحروب .. ككل ...

وحتى الأفراد ، ما أكثر ما نرى العقل صاخباً ، والحواس والأعصاب صاخبة ، والنفس تموج بتيارات من المشاعر والأحاسيس. ويتساءل الناس : متى يهدأ الإنسان عقلاً وقلباً وجسداً ؟

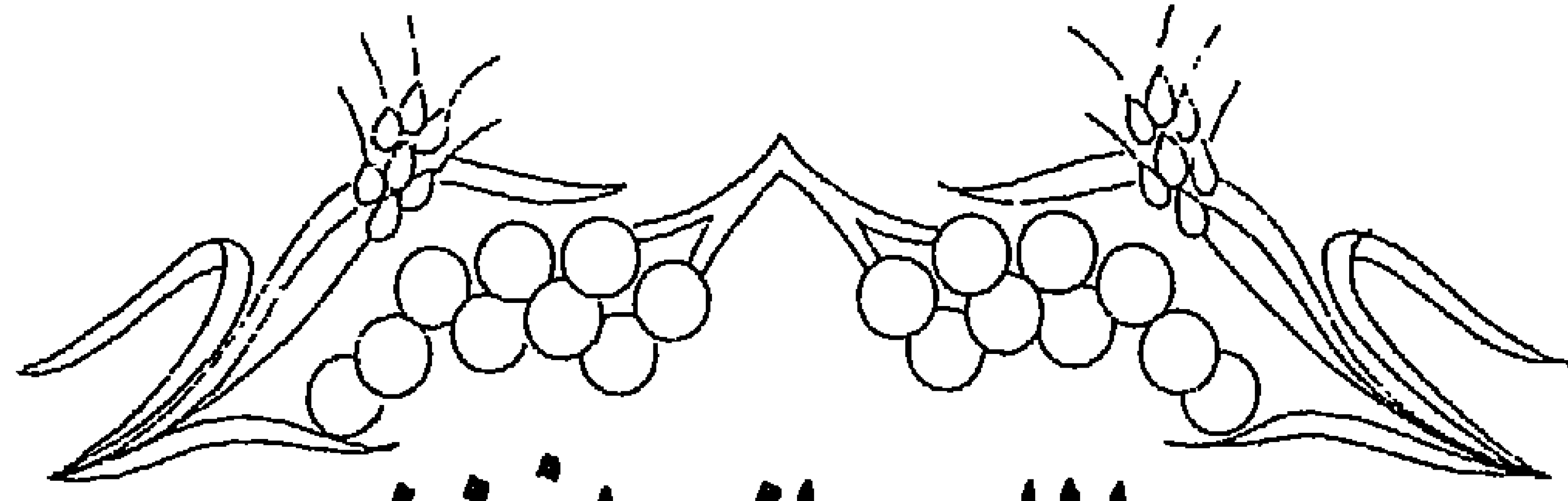
فى العالم الآخر ، سيتحقق حلم الناس فى الهدوء .

هناك ، حيث لا ضجيج ولا صخب ولا صراع ، سترجع البشرية إلى هدوئها ، وتعود لتحيا فى الهدوء الذى اراده الله للناس، حينما خلق الله الإنسان على صورته ومثاله .. وهناك سيكونون كملائكة الله فى السماء، كلهم فى هدوء ، لا يختلفون ولا يتصارعون ، بل يملك عليهم الحب والسلام ...

ونحن نصلى أن يمنحنا الله هذا الهدوء الذى يريده الله لنا. ونتمتع بمذاقة الهدوء ههنا، حتى نحس جمال الهدوء فى الأبدية السعيدة .

إن الهدوء يعطى مجالاً للتفكير السليم، للحلول السليمة .

نصلى أيضاً أن يمنح الله هدوءاً لبلادنا، ولكل العالم معاً، فيحيا العالم هذا الهدوء ، لا أن يعجب به فقط .



الله الحافظ
وما أعجب الحفظ الإلهى

من أجمل الآيات التى قيلت عن الحفظ الإلهى ، ما ورد فى (المزمور ١٢٠) :

الرب يحفظك .. الرب يحفظك من كل سوء .

الرب يحفظ نفسك .. الرب يحفظ دخولك وخروجك .

إنها عبارات جميلة ومعزية ، وتطمئن النفس بأنها فى حمى الله الحافظ . هذا الذى قيل عنه فى (المزمور ٩١) : "فى وسط منكبيه يظللك ، وتحت جناحيه تعتصم .. فلا تخشى من خوف الليل، ولا من سهم يطير فى النهار ... يسقط من يسارك ألوف ، وعن يمينك ربوات. وأما أنت فلا يقتربون إليك .." .

لذلك نذكر هذا الحفظ الإلهى فى صلاة الشكر كل يوم . فنشكره "لأنه سترنا وأعاننا وحفظنا.." . وإن وضعنا فى أذهاننا باستمرار هذا الحفظ، سنعيش مستريحين مطمئنين، فى سلام قلبى عميق، لا نخاف ...



نذكر هذا الحفظ الإلهى فى قصة الميلاد :

لقد خاف هيرودس الملك، من ميلاد المسيح ، الذى سيصير ملكاً ويجلس "على كرسى داود أبيه.. ولا يكون لملكه نهاية" (لو١: ٣٢، ٣٣) . ولكى يتخلص من هذا المولود الملك "أرسل وقتل جميع الصبيان الذين فى بيت لحم وفى كل تخومها ، من ابن سنتين فما دون" (مت٢: ١٦) ... وعلى الرغم من ذلك، فإن الطفل الوحيد الذى أراد هيرودس أن يقتله،

هو الوحيد الذى نجا من تلك المذبحة، ومعه يوحنا الذى يهيئ الطريق قدامــه!! إنــه الحفظ الإلهى .

✠ ✠ ✠

إذا كنت فى حفظ الله، فلن تستطيع قوة فى العالم كله أن تؤذيك .

ما أجمل ما قاله الرب للقديس بولس الرسول "لا تخف. بل تكلم ولا تسكت . لأنى أنا معك ، ولا يقع بك أحد ليؤذيك" (أع١٨: ٩، ١٠) .

ونفس الوعد طمأن به يعقوب أبا الآباء ، وهو هارب وخائف من وجه أخيه عيسو. فقال له من فوق السلم الواصل من السماء إلى الأرض "ها أنا معك، واحفظك حيثما تذهب، وأردك إلى هذه الأرض" (تك٢٨: ١٥) .

✠ ✠ ✠

إن حياة الإنسان هى فى يد الله الحافظ ، وليست فى أيدى المعتدين .

ولهذا فإن داود النبى يتغنى فى (المزمور ١١٨) فيقول "الرب عونــى فلا أخشى ماذا يصنع بى الإنسان؟!" ويقول "أحاطوا بى احتياطاً واكتنفونى" "أحاطوا بى مثل النحل حول الشهد، والتهبوا كنار فى شوك" .. ونسأله : وماذا حدث لك، وأنت فى الحفظ الإلهى؟ يجيب "دُفعت لأسقط ، والرب عضدنى. قوتى وتسبحتى هو الرب، وقد صار لى خلاصاً" "يمين الرب صنعت قوة ، يمين الرب رفعتنى. يمين الرب صنعت قوة، فلن أموت بعد بل أحيا، وأحدث بأعمال الرب" ...

✠ ✠ ✠

نفس هذا الحفظ تمتع به القديس الأنبا أنطونيوس فى البرية .

أحاط به الشياطين بطريقة مفزعة ليرهبوه ، وبأصوات وحوش مفترسة . فقال لهم فى إيمان بالحفظ الإلهى "إن كان الله قد أعطاكم سلطاناً علىّ، فمن أنا حتى أقف ضد الله؟! وإن كان الله لم يعطكم سلطاناً علىّ، فلن يستطيع أحد منكم أن يؤذينى" .. نعم إن الحياة هى فى يد الله الذى يحفظ . وليست فى يد قوة من يريد أن يؤذى .

هل استطاع شاول الملك بكل سلطانه وكل جيشه أن يؤذى داود الشاب الهارب منه؟ كلا، لقد حفظ الله داود من كل مؤامرات شاول .

✠ ✠ ✠

ولقد حفظ الله يونان النبى من البحر ومن الحوت .

حفظه من أمواج البحر لما ألقوه فيه . بل حفظه أيضاً لما ابتلعه حوت عظيم. كان فى جوف الحوت . ولكن الله لم يعطِ الحوت سلطاناً على إيذائه . فلا أكله ولا هضمه، بل حفظه فى داخله حتى ألقاه سليماً على الشاطئ ، حيث أراد له الله أن ينزل . وكأن يونان كان فى غواصة أوصلته !

وحفظ الله أيضاً دانيال والثلاثة فتية .

حفظهم جميعاً بمعجزتين عجيبتين : بالنسبة إلى دانيال، ألقوه فى جب الأسود، فحفظه الله منها . وقال دانيال فى ذلك "إلهى أرسل ملاكه، فسدّ أفواه الأسود" (دا٦: ٢٢) ... هكذا اختبر الحفظ الإلهى .

والحفظ الإلهى اختبره أيضاً الثلاثة فتية فى أتون النار "فلم تكن للنار قوة على أجسادهم. وشعرة من رؤوسهم لم تحترق" (دا٣: ٢٧) .

✠ ✠ ✠

إن كل خطر لابد أن يفقد خطورته ، مادامت مشيئة الله أن يحفظ .

أراد فرعون أن يقتل جميع الأطفال الذكور الذين يولدون للعبرانيين (خر١: ١٦) .

ولكن الله أراد أن يحفظ الطفل موسى ، فحفظه وعاش .. ألقوه فى سفط من البردى وألقوه على حافة النهر (خر٢: ٣) . وعلى رأى المثل العامى "اعطنى عمراً، وألقنى فى البحر" ... وقد كان . وأخذت ابنة فرعون الطفل موسى، وربته فى القصر الملكى ، واعتبر ابن ابنة فرعون (عب١١: ٢٤) .

حقاً ، كما قيل فى المزمور "حافظ الأطفال هو الرب" (مز١١٦: ٦) .

كما حفظ الرب الطفل موسى ، حفظ أيضاً صموئيل الطفل ، فلم يؤثر عليه الفساد الذى عاش فيه ابنا عالى الكاهن (١صم٢: ١٣، ٢٢) . وحفظ الرب أرمياء الطفل، وقال له "يحاربونك ولا يقدرون عليك. لأنى أنا معك – يقول الرب – لأنقذك" (أر١: ١٩) . والله هو الذى حفظ داود الفتى الصغير فى وقوفه أمام جليات الجبار . فحبسه فى يده، ومكّنه من الإنتصار عليه ، لأن الحرب للرب (١صم١٧: ٤٦، ٤٧) .

✠ ✠ ✠

بنفس الحفظ الإلهى انقذ الرب الفتى اسحق بن ابراهيم .

كان مربوطاً فوق الحطب ، والسكين مرفوعة فوقه . ولكن الرب حفظه . والحفظ الإلهى جاء فى الساعة الرابعة والعشرين، أو فى الدقيقة الـ١٤٤٠ فى الوقت الذى كان

يبدو متأخراً جداً ، ولكن الله كان يراه مناسباً جداً ، قبل أن تنزل السكين عليه لتذبحه . لقد أراد الحفظ الإلهى له الحياة .. حتى لو كانت قد دخلت فى جسمه السكينة ، كانت ستخرج منه بكل سكينة .. ويحيا ...

✠ ✠ ✠

إن الله ليس فقط حافظ الأطفال بمعنى الصغار فى السن فقط، بل أيضاً هو حافظ لكل ضعيف محتاج إلى حماية . كل من لا يقوى على حماية نفسه ، فيتدخل الله ويحميه ويحفظ له كيانه . هوذا داود النبى يقول :

"نجت أنفسنا مثل العصفور من فخ الصيادين " (مز ١٢٤) .

ما أضعف هذا العصفور أمام فخ الصياد ! ولكن لأن الله أراد أن يحفظه ، يقول المرتل "الفخ انكسر ، ونحن نجونا. عوننا باسم الرب الذى صنع السماء والأرض" . ويغنى فى هذا المزمور أيضاً ويقول "لولا أن الرب كان معنا حين قام الناس علينا، لابتلعونا ونحن أحياء ... مبارك هو الرب الذى لم يسلمنا فريسة لأسنانهم " .

هكذا كان مع الشعب الضعيف ، والبحر أمامه ، وفرعون بمركباته خلفه .

الله الحافظ ، حفظ هؤلاء الضعفاء من فرعون بكل جبروته . وحفظهم أيضاً من مياه البحر. فكان الماء مثل سور لهم عن يمين وعن يسار . وصدق قول موسى النبى لهم "قفوا وأنظروا خلاص الرب .. الرب يقاتل عنكم وأنتم تصمتون" (خر١٤: ١٣، ١٤) .

✠ ✠ ✠

الله الحافظ يرسل أيضاً ملائكته لحفظ الناس .

كما قيل "فى كل ضيقهم تضايق ، وملاك حضرته خلصهم" (أش٦٣: ٩) . وقيل كذلك "ملاك الرب حال حول خائفيه وينجيهم" (مز٣٤: ٧) . وقال أبونا يعقوب أن ملاكاً كان يخلصه من كل ضيق" (تك٤٨: ١٦) . ولا ننسى أن ملاك الحفظ هو الذى نجى القديس بطرس من السجن حينما كان هيرودس الملك مزمعاً أن يقتله بعد الفصح (أع١٢: ٧، ٤).

✠ ✠ ✠

الله أيضاً حفظ الشهداء والمعترفين .

حفظهم من جهة احتمال الآلام والعذابات التى تعرضوا لها ، وكانت فوق احتمال البشر. وحفظهم أيضاً فى الإيمان، إذ كان غرض تعذيبهم هو أن ينكروا الإيمان . حفظهم أيضاً فيما تعرضوا له من إغراءات ومن تشكيك .. وحفظهم فى المحاكمات حينما قدّموا

أمام ولاة وملوك وقضاة . وقال لهم "فمتى أسلموكم، فلا تهتموا كيف أو بما تتكلمون، لأنكم تعطون فى تلك الساعة ما تتكلمون به . لأن لستم أنتم المتكلمين ، بل روح أبيكم هو المتكلم فيكم" (مت١٠: ١٩، ٢٠) .

الله هو أيضاً الذى يحفظ أولاده من حروب الشياطين .

إنه لا يترك الشيطان يحاربنا بكل قوته ، بل يضع له حدوداً ، كما فعل فى تجربة أيوب . حيث قال له فى التجربة الأولى "هوذا كل ماله فى يديك . وإنما إليه لا تمد يدك" (أى١: ١٢) . وقال له فى التجربة الثانية "ها هو فى يدك، ولكن احفظ نفسه" (أى٢: ٦) .

كذلك من حفظ الله لإيمان الناس أنه "قيّد الشيطان" (رؤ٢٠: ٢) . كما أنه فى الأيام الأخيرة، حينما يفك الشيطان من سجنه، سوف يقصّر الله تلك الأيام. لأنه لو لم تقصر تلك الأيام، لا يخلص جسد (مت٢٤: ٢٢) .

إن الله يحفظنا فى حروب الخطية .

وكما يقول الرسول ".. ولكن حيث كثرت الخطية ، إزدادت النعمة جداً" (رو٥: ٢٠). هذه هى النعمة الحافظة التى تقف إلى جوار الإنسان، كلما ضغطت عليه الخطايا. فتساعده لكى لا يسقط . إن النعمة تحفظ فى الحروب الروحية، كما فى الأخطار المادية .



الله كثيراً ما يحفظ من الأخطار .

حفظنا كثيراً من أخطار الطبيعة ، مثل الزلازل والسيول والعواصف . ومن أخطار الأسفار . وتغنى بولس الرسول ، وهو يشرح هذه الأخطار فيقول : "بأخطار سيول، بأخطار لصوص، بأخطار من جنسى، بأخطار من الأمم، بأخطار فى المدينة، بأخطار فى البرية، بأخطار فى البحر، بأخطار من أخوة كذبة" (٢كو١١: ٢٦) . لقد تعرض الرسول لكل هذه الأخطار، ولكن الله الحافظ نجاه منها ...

وبالمثل حفظ الله السواح والمتوحدين سكان البرارى والقفار .

حفظهم من البرد والحر ، ومن الحيات والعقارب ودبيب الأرض. وحفظهم من الأمراض ، حيث لا يوجد لهم فى وحدتهم طبيب ولا دواء . وحفظهم من الملل والضجر، ومن حروب الخوف والشك، ومن هجمات الشياطين .



وفى الحفظ الإلهى ، ما أعمق قول الرب عن حفظه لنا من الأخطار :

"ها أنا أرسلكم كغنم فى وسط ذئاب " (مت١٠: ١٦) .

إن كان هناك ذئب واحد ، يمكنه أن يزعج كل الغنم. فكم بالأولى لو تكون هناك ذئاب كثيرة، والغنم فى وسطها ! أى أن الذئاب محيطة بالغنم .. لقد حدث هذا للمسيحية من أول عهدها . كانت ضدها الدولة الرومانية بكل سطوتها وقسوتها. وكان ضدها اليهود بكل دسائسهم ومؤامراتهم . وكانت ضدها الفلسفة الوثنية بكل أفكارها وشكوكها . بالإضافة إلى الأخوة الكذبة بكل خيانتهم ، ومنهم جماعات الهراطقة الذين قاموا ضد الكنيسة من داخلها . ولكن الله حفظ الكنيسة من كل أولئك ..

حقاً كما قال المرتل "عجيبة هى أهوال البحر. الساكن فى الأعالى هو أقدر (مز٩٣). وقال أيضاً فى صلاته يشكر الرب "أنت متسلط على كبرياء البحر . عند ارتفاع لججه ، أنت تسكتها" (مز٨٩: ٩) .

وفى حفظ الله للكنيسة لما أحاط بها الذئاب ، حوّل الله كثيراً من الذئاب إل حملان ، فآمنوا وبعضهم استشهد، وبعضهم دافع عن الإيمان ونشره ...

✠ ✠ ✠

أحياناً يحفظنا الله حينما نطلب . وأحياناً دون أن نطلب .

حينما قال أبونا ابراهيم عن سارة إنها أخته ، وأخذها أبيمالك ملك جرار إلى بيته .. فبدون أن يطلب ابراهيم أنقذ الله سارة، وكلّم أبيمالك فى حلم وهدده بالموت إن لم يطلقها. ولما كان أبيمالك اخذها بسلامة قلب لأنه لم يكن يعرف أنها زوجة لرجل، لذلك قال له الرب "وأنا أيضاً أمسكتك عن أن تخطئ إلىّ. لذلك لم أدعك تمسها" (تك٢٠: ٢- ٧) .

✠ ✠ ✠

إن حفظ الله ، يلزمه من جانبنا الإيمان والشكر .

يلزم أن تؤمن بحفظ الله لك ، وبهذا تطمئن . لأن "الساكن فى ستر العلى . فى ظل القدير يبيت" (مز٩١: ١) . وبإيمانك بالحفظ الإلهى ، تقول مع داود النبى "إن سرت فى وادى ظل الموت، لا أخاف شراً، لأنك أنت معى" (مز٢٣: ١) . أما الذى يكون إيمانه ضعيفاً ، فعليه أن يصلى لكى يمنحه الله هذا الإيمان. وأيضاً فليتعرف على ما سبق من حفظ الله له ولغيره، فيغرس هذا الأمر إيماناً فى قلبه .

الإيمان والصلاة ، يسبقان الحفظ . والشكر يكون نتيجة للحفظ .

لأنه لا يليق أن يحفظنا الله ولا نشكر ! انظر إلى داود يتغنى قائلاً" باركى يا نفسى

الرب، ولا تنسى كل إحساناته" (مز١٠٣: ٢) . وكما يكون الشكر نتيجة للحفظ ، قد يكون من نتيجة الحفظ أيضاً : الإيمان . فكلما نتأمل فى حفظ الله لنا، نزداد إيماناً بحفظه .

على أننا لا نشكر فقط على ما نعرفه من حفظ الله لنا ، وإنما هناك أمور حفظنا الله منها ونحن لا نعلم . منع مشاكل من الوصول إلينا، دون أن نعرف ...

✠ ✠ ✠

علينا أن نتأمل (المزمور ١٢١) الذى يقول "الرب يحفظك من كل سوء . الرب يحفظ نفسك. الرب يحفظ دخولك وخروجك " . ليت هذا المزمور يكون صلاة من كل أب لإبنه، ومن كل كاهن لشعبه، ومن كل مرشد لتلاميذه . بل لعله صلاة من الملائكة والقديسين لكل منا . وليكن صلاة كل منا لأجل نفسه، طالباً من الله أن يحفظه من كل سوء، ويحفظ نفسه ويحفظ خروجه ودخوله .

قل هذا المزمور فى كل مرة تخرج فيها من بيتك، أو ترجع إليه. وفى كل مرة تدخل إلى مكان عملك أو تخرج منه .

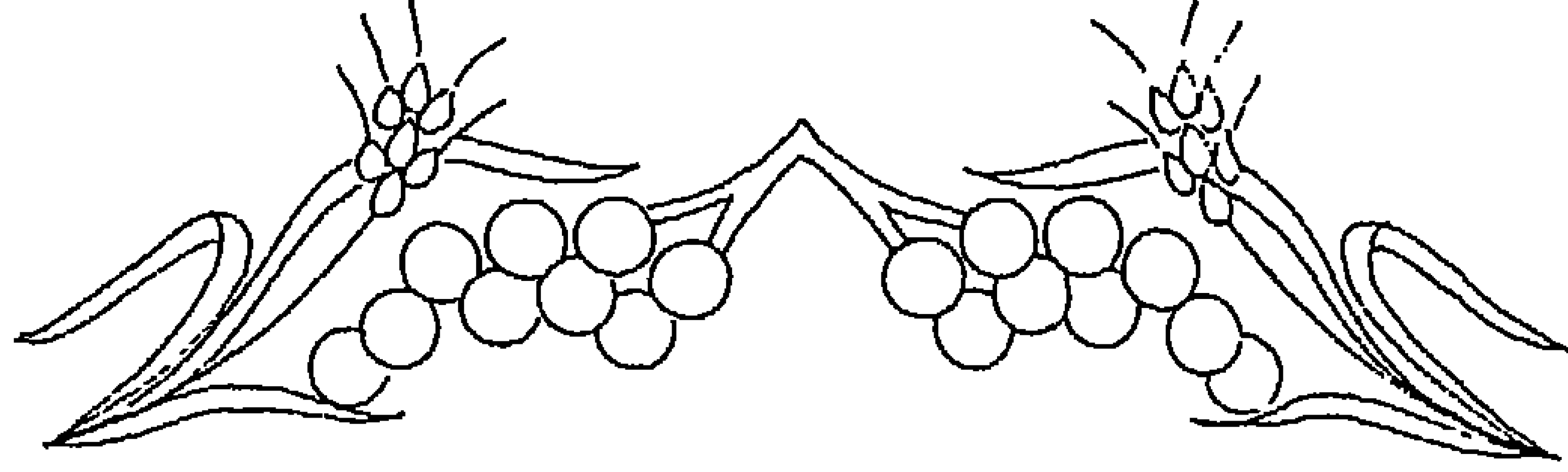
وكما حفظ الله دخولك إلى هذا العالم ، فليحفظ خروجك منه، وليحفظ دخولك إلى الفردوس وإلى الملكوت الأبدى .

أنت يارب الذى تحافظ علينا . من الذى يستطيع أن يحفظ نفسه؟! أنت الذى تحافظ على نفسى . تحافظ عليها من كل شر، من كل سقطة ، من كل تجربة . ألست أنت الذى علمتنا أن نصلى قائلين "..نجنا من الشرير" . فليكن حفظك هذا مستمراً. معنا كل حين. حتى إن لم نحفظ أنفسنا، احفظنا أنت .

إنك إن فتحت أعيننا لنرى كل ما حفظتنا منه، ما كانت حياتنا كلها تكفى لشكرك ..

لك المجد ، ولك الشكر ، الآن وإلى الأبد آمين .





إلهنا الطيّب

حسنٌ قال ارميا النبى فى مراثيه "طيب هو الرب للذين يترجونـه. للنفس التـى تطلبـه" (مرا ٣: ٢٥) . فما معنى الطيبة إذن ؟

الطيبة هى مزيج من المحبة والوداعة والدماثة واللطف .

والشخص الطيب يكون دائماً محباً ووديعاً ولطيفاً ودمث الطبع . وهـذه الصفـات كلهـا توجد فى الله تبارك إسمه . وهى سمة من طبيعته .

✠ ✠ ✠

الله الطيب لم يشأ أن يرهبنا بلاهوته ، بل تنازل إلينا بطيبته .

وهكذا أمكننا أن نتكلم معه ، ونتفاهم معه ، ونتنـاقش معـه كـأب . وفـى وداعتـه ظهـر للإنسان وتكلم معه . بينما هناك أنـاس إذا مـا كـبروا ، دخلـت العظمـة إلـى قلوبهـم ، فـلا يستطيع أحد أن يتحدث إليهم!! أما الله خالقهم ، فمن وداعته ومن طيبته ، كـان يتكلـم مـع الإنسان الذى هو تراب ورماد (تك١٨: ٢٧) ، والذى هو من خلقه وصنع يديه !!

من طيبة الله أزال حاجز الخوف بينه وبين خليقته .

وهكذا استطاع القديس الأنبا أنطونيوس أن يقول فى إحدى المرات "أنا لا أخاف الله!". فلما قال له تلاميذه "هذا الكلام صعب يا أبانا" ، أجابهم "ذلك لأنـى أحبـه. والمحبـة تطـرح الخوف إلى خارج" (١يو٤: ١٨) .

وهكذا سمح لنا الله أن نكلمه بلا عائق ، دون أن يرعبنا لاهوته .

✠ ✠ ✠

هناك نقطة أخرى فى طيبة الله ، وهى :

إن الله طيب جداً فى عطائه .

من طيبته لم يشأ أن يكون وحده . فأوجد مخلوقات منحها الوجود معه، ومنها نحن . وهكذا خلق الإنسان . ومن طيبته : أنه قبل أن يخلق الإنسان، مهّد له كل شئ. خلق له الشمس لضياء النهار ، والقمر والنجوم لضياء الليل . وخلق له الأرض ليعيش فيها . وخلق له النبات والحيوان . أوجد له الطعام والسكن . وأوجد له جمال الطبيعة لمتعته.. ثم بعد هذا كله خلقه .. بحيث لا ينقصه شئ . ووضعه فى جنة .. ما أعجب هذه الطيبة!

✠ ✠ ✠

من طيبة الله أنه قال "وأجعل روحى فى داخلكم" (حز٣٦: ٢٧).

وهكذا جعلنا هيكلاً لروحه القدوس، وأصبح روحه يسكن فينا (١كو٣: ١٦) .

وفى تجسده دعانا أخوة له . ولم يستحِ أن يكون بكراً وسط اخوة كثيرين . قائلاً : أخبر باسمك اخوتى (عب٢: ١١، ١٢) . بل قال عن الفقراء "مهما فعلتموه بأحد اخوتى هؤلاء الأصاغر ، فبى قد فعلتم" (مت٢٥: ٤٠) . وقال للمريمتين بعد القيامة – عن تلاميذه – "اذهبا وقولا لأخوتى أن يمضوا إلى الجليل. هناك يروننى" (مت٢٨: ١٠) .

✠ ✠ ✠

ومن طيبة الله إنه اتخذ له وكلاء وسفراء من بنى البشر .

فقيل "يجب أن يكون الأسقف بلا لوم كوكيل لله" (تى١: ٧) . وقال عن هؤلاء الوكلاء "يا ترى من هو الوكيل الأمين الحكيم الذى يقيمه سيده على عبيده، ليعطيهم طعامهم فى حينه.." (لو١٢: ٤٢) . وقال الرب أيضاً عن موسى النبى : "إنه وكيل على كل بيتى" (عد١٢: ٧) .

وجعلنا أيضاً سفراء عنه ، ننادى أن اصطلحوا مع الله (٢كو٥: ٢٠) .

✠ ✠ ✠

ومن طيبته أن شريعته ينسبها إلى موسى النبى ، فيقول : شريعة موسى .

فقال لليهود "إن موسى – من أجل قساوة قلوبكم – أذن لكم أن تطلقوا نساءكم" (مت١٩: ٨) بينما الذى أذن هو الله، على فم موسى .. حتى الأسفار المقدسة نسبها إلى أولاده من البشر ، رجالاً ونساء. فيقال سفر صموئيل ، وسفر أشعياء ، وسفر أرميا. وأيضاً سفر راعوث وسفر استير .. كلها وحى الله ، ولكنه بطيبته ينسبها إلى البشر .

من طيبة الله الملابس التى أعدها لهارون للمجد والبهاء .

فقال لموسى النبى "واصنع ثياباً مقدسة لهرون أخيك ، للمجد والبهاء ، وتكلم جميع

حكمـاء القلـوب الذيـن ملأتهـم روح حكمـة أن يصنعـوا ثيـاب هـرون لتقديسـه ليكهـن لـى" (خر٢٨: ٢، ٣) . أى مجد تعطيه يارب لواحد من خليقتك ؟! إن المجد هـو لـك وحـدك!! ونعجب أن السيد المسيح يقول عن تلاميذه للآب "وأنـا أعطيتهـم المجـد الـذى أعطيتنـى.." (يو١٧: ٢٢) .

إنه حقاً الإله الطيب الذى يمجد أولاده ، إذ قيل فى الكتاب "الذين سبق فعرفهـم ، سبق فعينهم .. وهؤلاء مجدهم أيضاً" (رو٨: ٢٩، ٣٠) .

✠ ✠ ✠

من طيبة الله ، أنه أوجد خيراً فى الأرض كلها .

أرسل خيراته مطراً من السماء على الأرض ، وجعل خيراته نباتاً وثمـراً وزهـراً فـى الأرض، وأرسل لنا خيراً من تحت الأرض ، ينابيع وغازاً وبـترولاً، ومعـادن لا تحصـى فى الجبال وفى باطن الأرض ذهباً وفضة ونحاسـاً وغـير ذلـك .. عجيـب هـو كـرم يديـه الذى أغدقته طيبته علينا ...

✠ ✠ ✠

ومن طيبته أنه جعل فى المخلوقات غير الناطقة صفات يُقتدى بها .

فجعل النشاط الذى لا يهدأ فـى النملـة ، والتنظيم العجيـب فـى حيـاة النحـل . والوفـاء المذهل فى طبيعة الكلب ، والذكاء فى صفات الثعلب . والبساطة فى طبع الحمامـة . كمـا جعل فى الدجاجة صفة الحنو على فراخها (مت٢٣: ٣٧) ..

ومن طيبته أعطى للحيوانات الضعيفة وسيلة تهرب بها من القوية .

فالأسد أقوى بكثير من الغزال ، يمكنه أن يفترسه . ولكن الله منح الغزال سـرعة فـى الجرى ينجو بها من الأسد . كذلك فإن الكلب يستطيع أن يفـترس القـط . ولكـن اللـه منـح القط قدرة أن يتسلق الشجر وبعض المرتفعات التى لا يستطيع أن يتسلقها الكلـب . وهكـذا يهرب القط منه . كذلك الفأر وهو حيوان صغير يمكن أن يبطـش بـه الإنسـان والحيـوان، منحه الله قوة على الحفر والاختباء ، يمكن أن يهرب بها ، وهكذا دواليك .

✠ ✠ ✠

ومن طيبة الله صبره على كثير من الخطاة .

كان من الممكن أن يجازى كل مخطئ فور خطيئته . ولكنه لا يفعل ، بل يطيل أناته ، معطياً فرصـة للخـاطئ أن يتـوب ، كمـا فعـل مـع أوغسـطينوس ومريـم القبطيـة وموسـى

الأسود، الذين لم يأخذهم فى سقطاتهم ، بل صبر عليهم هم وعديد من أمثالهم ، حتى رجعوا عن طرقهم الرديئة ، بل صاروا قديسين ..

ولكن الخاطئ الذى يطيل الله أناته عليه ، فيستهتر بالأكثر ، هذا يقول له الرسول "أفتظن أيها الإنسان .. أنك تنجو من دينونة الله . أم تستهين بغنى لطفه وإمهاله وطول أناته ، غير عالم أن لطف الله إنما يقتادك إلى التوبة " (رو٢: ٣، ٤) .

✠ ✠ ✠

وأيضاً من عمق طيبة الله العجيبة : معاملته للشيطان .

أولاً لم يخلقه الله هكذا ، بل خلقه ملاكاً من طائفة الكاروبيم، وصفه سفر حزقيال النبى بأنه "الكاروب المنبسط المظلل" (حز٢٨: ١٤) . وأنه "ملآن حكمة، كامل الجمال" (حز٢٨: ١٢) . هكذا كان ، ولكنه سقط وتمرد ، وأسقط معه الكثير من الملائكة ، كما أضل وخدع الملايين من البشر ، ولا يزال فى تحديه لملكوت الله . ومع ذلك فإن الله لم يفنه ولم يبده. وبيد الله أن يفعل ذلك ويفنيه فى لحظة . أية طيبة هذه أن يبقى عقوبته له إلى آخر الزمان؟!

لقد فقد الشيطان قداسته الأولى . ولكن من طيبة الله أنه لم يسحب منه طبيعته الملائكية وقدرة تلك الطبيعة .

فلا يزال بتلك الطبيعة التى تستطيع أن تتحرك فى لمح البصر من مكان لآخر .. الطبيعة التى بها يوسوس فى العقول والقلوب، والتى يستطيع بها أن يظهر فى شكل ملاك نور (٢كو١١: ١٤) ، والتى لها قدر كبير من الحيلة والذكاء ، كما قيل عن الحية التى أغوت حواء إنها كانت أحيل حيوانات البرية (تك١: ١) . وبقى الشيطان بعد سقطته ، يعمل ، وله سلطان . كما قال السيد المسيح لمعارضيه عنهم وعن الشيطان "هذه ساعتكم وسلطان الظلام" (لو٢٢: ٥٣) .

ومن طيبة الله أن سمح له بالجولان فى الأرض والتمشى فيها (أى١: ٧) (أى٢: ٢) . وسمح له أن يجرب أيوب الصديق ، وأن يعطل أحد الملائكة كما ورد فى سفر دانيال النبى (دا١٠: ١٣) ، حتى خلصه منه ميخائيل رئيس الملائكة !!.. بل أكثر من هذا كله سمح له بالتجربة على الجبل ، حتى تجرأ فى جسارته ، فانتهره الرب بقوله "اذهب يا شيطان" فذهب (مت٤: ١٠) .

✠ ✠ ✠

من طيبة الرب أيضاً موقفه من يهوذا الخائن .

اختاره ضمن الإثنى عشر ، وهو عالم بما سيفعله . وضمن التلاميذ أعطاه السلطان أن يصنع الآيات والعجائب (مت١٠: ١، ٤) . بل ميزه بأن كان الصندوق معه ، وكان من مهمته أن يعطى منه للفقراء (يو١٢: ٤- ٦) على الرغم من أن الرب كان يعرف بأن يهوذا يسرق مما يُلقى فى الصندوق (يو١٢: ٦) ! ومن طيبته أن جعله يجلس إلى جانبه على العشاء ويغمس اللقمة ويعطيه (يو١٣: ٢٦) .

✠ ✠ ✠

ومن طيبة الرب : وعوده العجيبة .

"ما لم تره عين ، ولم تسمع به أذن، ولم يخطر على قلب بشر ، ما أعده الله للذين يحبونه" (١كو٢: ٩) . وقوله "حيث أكون أنا، تكونون أنتم أيضاً" (يو١٤: ٣) . وأصبحت الميزة التى تميز أورشليم السمائية فى الأبدية أنها "مسكن الله مع الناس. وهو سيسكن معهم وهم يكونون له شعباً" (رؤ٢١: ٣) .

لذلك جميل فى طيبة الله ، أنه لما تجلى على جبل طابور ، لم يتجلَ وحده، بل تجلى أيضاً معه موسى وإيليا، وكانا يتكلمان معه (مر٩: ٢- ٥) .

✠ ✠ ✠

ومن أبرز الصور لطيبة الله : مغفرته .

إنه مستعد أن يترك للإنسان الماضى الأثيم كله ، فى مقابل التوبة .. من الصعب على البشر أن يغفروا لغيرهم ، وبخاصة إن كثرت سيئاتهم . أما الله العجيب فى مغفرته ، فهو يغفر الكل للكل .. جميع الخطايا لجميع الناس . ويقول "اصفح عن أثمهم ، ولا أذكر خطيتهم بعد" (أر٣١: ٣٤) "مصالحاً العالم لنفسه ، غير حاسب لهم خطاياهم" (٢كو٥: ١٩) . بل يمحو خطاياهم ، ويغسلها فتبيض كالثلج (أش١: ١٨) . وهذا الخاطئ - إذا تاب - "كل معاصيه التى فعلها، لا تذكر عليه" (حز١٨: ٢٢) .

✠ ✠ ✠

ومن طيبة الله أنه يذكر العمل الطيب ، مهما كان صغيراً .

قال عن الزرع الجيد إنه يثمر ثلاثين وستين ومائة (مت١٣: ٢٣) . فجعل من طيبته أن الذى يثمر ثلاثين هو أيضاً زرع جيد .. ومن طيبته أنه قبل الذى أتى إليه فى الساعة الحادية عشرة من النهار (مت٢٠: ٩) . وكذلك من طيبته قبوله توبة اللص اليمين على

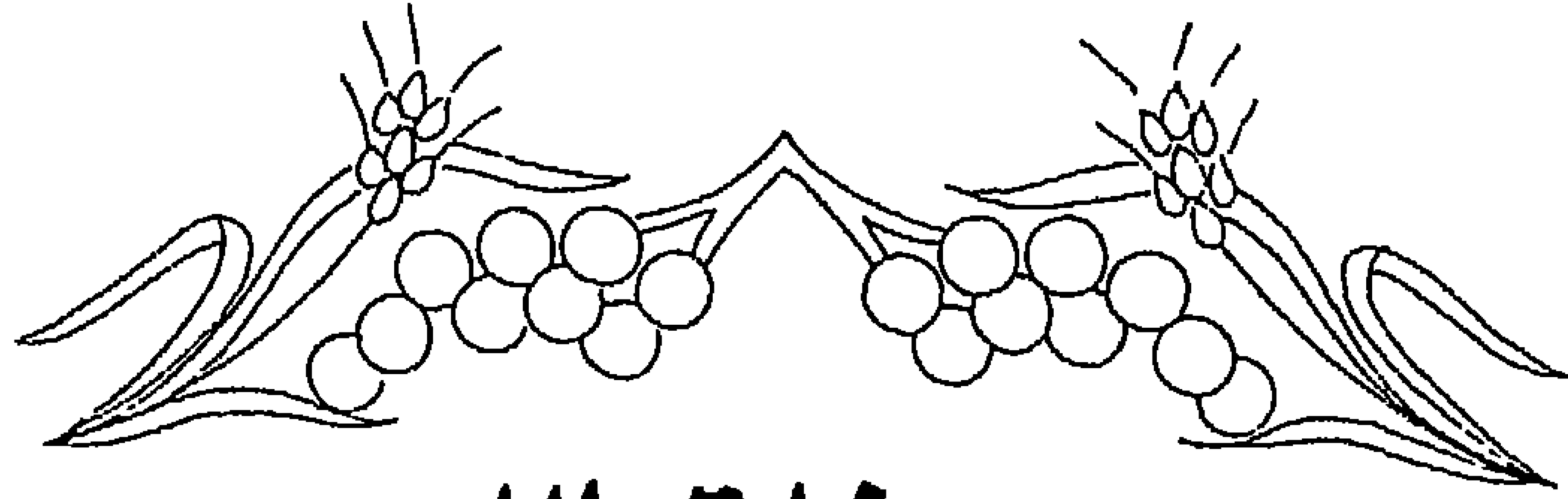
الصليب فى آخر ساعات حياته (لو٢٣: ٤٣) . وقال أيضاً إن الذى يقدم مجرد كأس ماء بارد لأحد الصغار، فإنه لا يضيع أجره (مت١٠: ٤٢) . ومن طيبته قوله عن الشجرة التى لم تعط ثمراً ثلاث سنوات ".. اتركها هذه السنة أيضاً .. فإن صنعت ثمراً، وإلا ففيما بعد نقطعها" (لو١٣: ٨، ٩) .

✠ ✠ ✠

حقاً ، إنه من طيبة الله : احتماله .

لقد احتمل كل الفجار والفاسدين والخطاة ، بل احتمل أيضاً الملحدين والمجدفين ، والعلماء والفلاسفة الذين يشككون الغير فى وجوده ، بل ويهزأون باسم الله ، وينكرون معجزاته !! مَنْ مِنْ البشر يستطيع أن يحتمل جزءاً من كل هذا؟!





من صفات الله
الحنو والرأفة والرحمة

حقاً إن الله حنّان ورؤوف ورحيم. وهكذا علّمنا الكتاب فى علاقات الله بالبشر ، وبكل الخليقة . والأمثلة على ذلك عديدة جداً :

يقول داود النبى فى مزاميره "الرب رحيم ورؤوف، طويل الروح وكثير الرحمة" (مز١٠٣: ٨) . "حنان ورحيم هو الرب" (مز١١١: ٤) . "هو حنان، ورحيم، طويل الروح وكثير الرحمة" (مز١٤٥: ٨). "الرب حنان وصديق" (مز١١٦: ٥) (مز١١٢: ٤).

قد توجد فى البشر قسوة . أما الله ففيه الحنان . لذلك قال داود :

أقع فى يد الله ، ولا أقع فى يد إنسان ، لأن مراحم الله كثيرة " (٢صم٢٤: ١٤) (١أى٢١: ١٣) .



وكثيراً ما نجد هذا فى معاملات الله للخطاة . حتى بالنسبة إلى شعب صلب الرقبة .. لذلك قال نحميا للرب فى صلاته "لأجل مراحمك الكثيرة لم تفنهم ولم تتركهم . لأنك إله حنان ورحيم" (نح٩: ٣١) . وقال حزقيا الملك للشعب "الرب إلهكم حنان ورحيم، ولا يحوّل وجهه عنكم إذا رجعتم إليه" (٢أى٣٠: ٩) .

وبهذا الحنان تغنى المرتل فى المزمور وقال "لم يصنع معنا حسب خطايانا، ولم يجازنا حسب آثامنا. لأنه مثل ارتفاع السموات فوق الأرض، قويت رحمته على خائفيه . كبعد المشرق عن المغرب ، أبعد عنا معاصينا . كما يتراءف الأب على البنين ، يترأف

الرب على خائفيه" (مز١٠٣: ١٠- ١٣) .

✠ ✠ ✠

الله أيضاً رؤوف من جهة وصاياه وأحكامه .

لذلك يقول القديس يوحنا الحبيب إن "وصاياه ليست ثقيلة" (١يو٥: ٣) . ونقرأ فى الإنجيل إن الرب قد وبخ الكتبة والفريسيين لأنهم "يحزمون أحمالاً ثقيلة عسرة الحمل، ويضعونها على أكتاف الناس، وهم لا يريدون أن يحركوها بأصبعهم" (مت٢٣: ٤). ووبخهم على ذلك قائلاً "ويل لكم أيها الكتبة والفريسيون المراؤون. لأنكم تغلقون ملكوت السموات قدام الناس. فلا تدخلون أنتم، ولا تدعون الداخلين يدخلون" (مت٢٣: ١٣) . وفى رأفته على تلاميذه قال لهم "إن لى أموراً كثيرة أيضاً لأقول لكم . ولكنكم لا تستطيعون أن تحتملوا الآن" (يو١٦: ١٢) .

وتلاميذه أيضاً تعلموا الدرس . ففى قبولهم للأمم، قالوا "قد رأى الروح القدس ونحن أن لا نضع عليكم ثقلاً أكثر، غير هذه الأمور الواجبة: أن تمتنعوا عما ذُبح للأوثان ، وعن الدم والمخنوق والزنا.." (أع١٥: ١٨، ١٩).

ونرى أن القديس يعقوب الرسول ، حينما وصف الحكمة النازلة من فوق، قال إنها "مترفقة مسالمة، مملوءة رحمة وأثماراً صالحة" (يع٣: ١٧) .

✠ ✠ ✠

وفى رأفة الله عندما يعطى وصية ، يعطى قوة ونعمة لتنفيذها .

بل يعطى روحه القدوس يعمل فينا . وما أجمل قول القديس بولس : "إن الله هو العامل فيكم أن تريدوا وأن تعملوا لأجل المسرة" (فى٢: ١٣) . وقد شرح خبرته فى ذلك وقال "ولكن بنعمة الله أنا ما أنا، ونعمته المعطاة لى لم تكن باطلة . بل أنا تعبت أكثر من جميعهم. ولكن لا أنا، بل نعمة الله التى تعمل معى" (١كو١٥: ١٠) .

✠ ✠ ✠

نعم ، إنها رأفة من الله أن جعل الروح القدس يسكن فينا .

وهكذا يقول الكتاب "أما تعلمون أنكم هيكل الله، وروح الله يسكن فيكم" (١كو٣: ١٦). إنه يسكن فينا ، ويعمل فينا . ولهذا يقول القديس بولس عن نفسه وعن زميله أبولس "فإننا نحن عاملان مع الله" (١كو٣: ٩) .

إنها رحمة من الله ورأفة أنه أدخلنا فى "شركة الروح القدس" (٢كو١٣: ١٤) .

وجعلنا "شركاء الطبيعة الإلهية" فى العمل وفى حياة القداسة (٢بط١: ٤) . فوعدنا منذ القديم بسكنى روحه فينا ، إذ قال فى نبوءة حزقيال "وأجعل روحى فى داخلكم. وأجعلكم تسلكون فى فرائضى وتحفظون أحكامى" (حز٣٦: ٢٧) .

ووعدنا بأن روحه يمكث معنا إلى الأبد ، ويعلمنا كل شئ، ويذكرنا بكل ما قاله الرب لنا (يو١٤: ١٦، ٢٦)، ويرشدنا إلى جميع الحق (يو١٦: ١٢) ، ولا نكون نحن المتكلمين، بل هو المتكلم فينا (مت١٠: ٢٠) .

إنها رأفة وحنو بطبيعتنا الضعيفة ، أن تجد لها سنداً هكذا من روح الله .

✠ ✠ ✠

ومن حنو الله علينا ، ما يقدمه لنا من رعاية وعناية .

أليس هو القائل "أنا هو الراعى الصالح . والراعى الصالح يبذل نفسه عن الخراف" (يو١٠: ١١) "خرافى تسمع صوتى، وأنا أعرفها ، فتتبعنى. وأنا أعطيها حياة أبدية ولن تهلك إلى الأبد. ولا يخطفها أحد من يدى" (يو١٠: ١٧، ١٨) . وهو القائل أيضاً فى العهد القديم "أنا أرعى غنمى وأربضها – يقول السيد الرب – وأطلب الضال ، وأسترد المطرود، وأجبر الكسير، وأعصب الجريح" (حز٣٤: ١٥، ١٦) "هأنذا أسأل عن غنمى وافتقدها .. وأخلصها من جميع الأماكن التى تشتتت إليها.." (حز٣٤: ١١، ١٢) .

وهكذا غنى داود فى مزمور الراعى فقال "الرب لى راعٍ ، فلا يعوزنى شئ. فى مراعٍ خضر يربضنى، إلى ماء الراحة يوردنى. يرد نفسى ، يهدينى إلى سبل البر" (مز٢٣) .. ورعاية الرب ممزوجة بالحب والحنان . لذلك قيل "ولما أبصر الجموع، تحنن عليهم. إذ كانوا منزعجين ومنطرحين، كغنم لا راعى لها " (مت٩: ٣٦) (مر٦: ٣٤) .

✠ ✠ ✠

الله من حنوه على الناس يرسل لهم ملائكته .

يرسل لهم ملائكته الذين قال الكتاب عنهم "أليسوا جميعهم أرواحاً خادمة مرسلة للخدمة لأجل العتيدين أن يرثوا الخلاص" (عب١: ١٤) . منهم ما يسمى بالملاك الحارس. كما كُتب "ملاك الرب حال حول خائفيه وينجيهم" (مز٣٤: ٧) . وأيضاً "فى كل ضيقهم تضايق، وملاك حضرته خلصهم" (أش٦٣: ٩). وقيل عن هذا الحفظ أيضاً "يوصى ملائكته بك لكى يحفظوك فى كل طرقك.. وعلى أيديهم يحملونك، لئلا تصطدم بحجر رجلك" (مز٩١: ١١) .

هو الله المتحنن الذى يرعانا، ويقودنا فى موكب نصرته (٢كو٢: ١٤) .

هو الرب الحانى الشفوق "المنقذ المسكين ممن هو أقوى منه، والفقير والبائس من سالبه" (مز٣٥: ١٠) . وما أكثر الوصايا التى وضعها الرب من أجل المساكين .. والوصايا التى وضعها أيضاً من أجل الغرباء، ومن أجل العبيد، ومن أجل المعوقين.. كلها حنو ورأفة...



يظهر حنوه أيضاً فى التجارب التى نتعرض لها .

من جهة إشفاقه فى التجارب، يقول الرسول "ولكن الله أمين ، الذى لا يدعكم تُجربون فوق ما تستطيعون . بل سيجعل مع التجربة أيضاً المنفذ لتستطيعوا أن تحتملوا" (١كو١٠: ١٣) . هو الذى قال "وأما أنتم فحتى شعور رؤوسكم جميعها محصاة" (مت١٠: ٣٠) . "شعرة من رؤوسكم لا تهلك" (لو٢١: ١٨) .. لقد دخل التجربة فى تجسده . "وفيما هو قد تألم مجرباً، يقدر أن يعين المجربين" (عب٢: ١٨) .

فلنتأمل كم أعان أيوب الصديق فى تجربته :

وزاد على كل ما كان لأيوب ضعفاً .. وبارك آخرته أكثر من أولاه . ورأى بنيه وبنى بنيه إلى أربعة أجيال (أى٤٢: ١٠– ١٦) . وما أجمل ما قاله لملاك كنيسة فيلادلفيا :

أنا أيضاً سأحفظك فى ساعة التجربة العتيدة أن تأتى ...

الله الرؤوف المتحنن، يقف إلى جوار أولاده فى التجارب ، ليعينهم وينقذهم . على أن حنو الله لم يشمل أولاده فقط ..



بل أن رأفته شملت أيضاً الحيوان والطبيعة :

فكما منح الإنسان راحة فى يوم السبت ، أمر أيضاً أن تكون الراحة لثوره وحماره وكل بهائمه (تث٥: ١٤) وقال "وأما اليوم السابع ففيه تستريح، لكى يستريح ثورك وحمارك، ويتنفس ابن أمتك والغريب" .

ومن حنو الله قوله "لا تحرث على ثور وحمار معاً" (تث٢٢: ١٠) . لأن الثور أقوى من الحمار وأسرع فى الحركة . فإن حرث معه يرهقه ويؤذيه ...

كذلك قوله "لا تنظر إلى حمار أخيك أو ثوره واقعاً وتتغاضى عنه، بل تقيمه" (تث٢٢: ٤). حتى إن وقع الحيوان فى يوم سبت، يمسكه ويقيمه (مت١٢: ١١) ويقول الرب فى

حنانه أيضاً "لا تكمّ ثوراً دارساً" (تث٢٥: ٤) . فإن أجهد وجاع، يمد فمه إلى الحبوب ويأكل منها .

والرب حينما يتكلم عن طيور السماء يقول "وأبوكم السماوى يقوتها" (مت٦: ٢٦)، ويقول المزمور "المعطى البهائم طعامها، وفراخ الغربان التى تدعوه" (مز١٤٧: ٩) . إنه فى حنو "يشبع كل حى من رضاه" (مز١٤٥: ١٦) .

✠ ✠ ✠

بل إن رأفة الرب تدرك الخطاة أيضاً .

"ونحن أموات بالخطايا ، أحيانا مع المسيح .. أقامنا معه، وأجلسنا معه فى السماويات" (أف٢: ٥، ٦) . ويتغنى بولس الرسول بهذا الحنو فيقول "ولكن الله بيّن محبته لنا. لأنه ونحن بعد خطاة، مات المسيح لأجلنا" (رو٥: ٨) .. هذا هو حنان الله على العالم الخاطئ. تجلى فى الفداء. "وهو مجروح لأجل معاصينا، مسحوق لأجل آثامنا" (أش٥٣: ٥) .

فى حنانه لم يجرح مشاعر الخطاة . وبكل اشفاق قبل توبتهم .

لم يجرح شعور المرأة السامرية ، واستدرجها إلى الاعتراف بكل لطف (يو٤) . كذلك المرأة المضبوطة فى ذات الفعل، بكل حنو أنقذها من طالبى رجمها. وقال لها "ولا أنا أدينك. اذهبى ولا تخطئى أيضاً" (يو٨: ١١) .

ولم يوبخ زكا العشار على حياته المملوءة قسوة وظلماً ، بل بكل حنو قبله إليه، ودخل إلى بيته على الرغم من انتقادات اليهود ، الذين ردّ عليهم قائلاً "اليوم حصل خلاص لهذا البيت، إذ هو ابن لابراهيم . لأن ابن الإنسان قد جاء ليطلب ويخلص ما قد هلك" (لو١٩: ٩، ١٠) .

وقصة الابن الضال ، تظهر لنا مقدار حنو الرب على الخطاة الراجعين . إذ قيل "وإذ كان لم يزل بعيداً ، رآه أبوه فتحنن، وركض ووقع على عنقه وقبّله" (لو١٥: ٢٠). وقيل عن العبد المديون لما ترجى سيده "فتحنن سيد ذلك العبد، وأطلقه وترك له الدين" (مت١٨: ٢٧). وقال السيد لسمعان الفريسى، عنه وعن الخاطئة الباكية "إنسان كان له مديونان: على الواحد خمسمائة دينار، وعلى الآخر خمسون. وإذ لم يكن لهما ما يوفيان، سامحهما جميعاً" (لو٧: ٤١، ٤٢). هذا هو حنان الرب على الخطاة العاجزين عن وفاء ديونهم...

إنه سامحهم جميعاً! وقال للمرأة الباكية مغفورة لك خطاياك.. إيمانك خلصك. اذهبى بسلام" (لو٧: ٤٨، ٥٠).

✠ ✠ ✠

ومن حنان الله مغفرته لصالبيه، وللص المصلوب معه .

قال عن صالبيه "يا ابتاه اغفر لهم، لأنهم لا يدرون ماذا يفعلون" (لو٢٣: ٣٤). ويظهر عمق حنانه هنا، فى أنه التمس لهم أيضاً عذراً . أما اللص التائب فقال له "اليوم تكون معى فى الفردوس" (لو٢٣: ٤٣)، ماحياً كل خطاياه كأنها لم تكن!!

ويظهر حنانه أيضاً فى قبوله توبة بطرس وبكاءه بعد إنكاره (مت٢٦: ٧٥). وطمأنه على رتبته الرسولية ، بقوله له بعد القيامة "ارعَ غنمى" (يو٢١: ١٧) ..

أما عن حنوه فى حرب الخطية لنا .

فإنه يقصر أيام تجارب تلك الأيام، قائلاً فى حنوه: "لأنه لو لم تقصر تلك الأيام، لم يخلص جسد" (مت٢٤: ٢٢) . كما أن نعمته تسند فى الحروب، كما يقول الرسول "حيث كثرت الخطية، ازدادت النعمة جداً" (رو٥: ٢٠) .

✠ ✠ ✠

إن رأفة الرب أيضاً تشمل الأعداء كذلك .

فهو "يشرق شمسه على الأشرار والصالحين، ويمطر على الأبرار والظالمين" (مت٦: ٤٥) . فعل ذلك بالنسبة إلى البلاد الملحدة التى أنكرت وجوده ، وعلى البلاد الوثنية التى عبدت الأصنام. وصبر فى رحمته على البلاد الشيوعية حتى رجعت إلى الإيمان. وكان خلال ذلك يمنحها العلم والتقدم والرخاء ..

وعلمنا أن نفعل مثله قائلاً "احبوا أعداءكم . باركوا لاعنيكم . احسنوا إلى مبغضيكم. وصلوا لأجل الذين يسيئون إليكم ويطردونكم" (مت٦: ٤٤) . وهكذا قال الكتاب أيضاً "إن جاع عدوك فاطعمه، وإن عطش فاسقه" (رو١٢: ٢٠) .

ولما طلبت الأرواح الشريرة أن يأذن لها بأن تدخل الخنازير، أذن لها!! (لو٨: ٣٢) . أى لطف هذا فى المعاملة ، حتى مع لجيئون !!

✠ ✠ ✠

نلاحظ أيضاً أن معجزات السيد المسيح كانت تمتزج بالحنو .

ففى الشفاء مثلاً ، قيل "أبصر جمعاً كثيراً، فتحنن عليهم وشفاهم" (مت١٤: ١٤) .

ومن جهة الأبرص الذى توسل إليه قائلاً "إن أردت، تقدر أن تطهرنى" يقول الكتاب "فتحنن يسوع ومد يده ولمسه. وقال له أريد فاطهر" (مر١: ٤٠، ٤١). كذلك لما صرخ الأعميان خارج أريحا، قائلين ارحمنا يا ابن داود "تحنن يسوع ولمس أعينهما. فللوقت أبصرت أعينهما ، فتبعاه" (مت٢٠: ٣٤) .

نرى نفس الحنو فى إقامة ابن ارملة نايين. وكانت هذه الأرملة تمشى خلف نعش ابنها وحيدها وتبكى . يقول الكتاب "فلما رآها الرب، تحنن عليها وقال لها: لا تبكى" (لو٧: ٣١). وتقدم إلى النعش واقام ابنها، ودفعه إلى أمه .

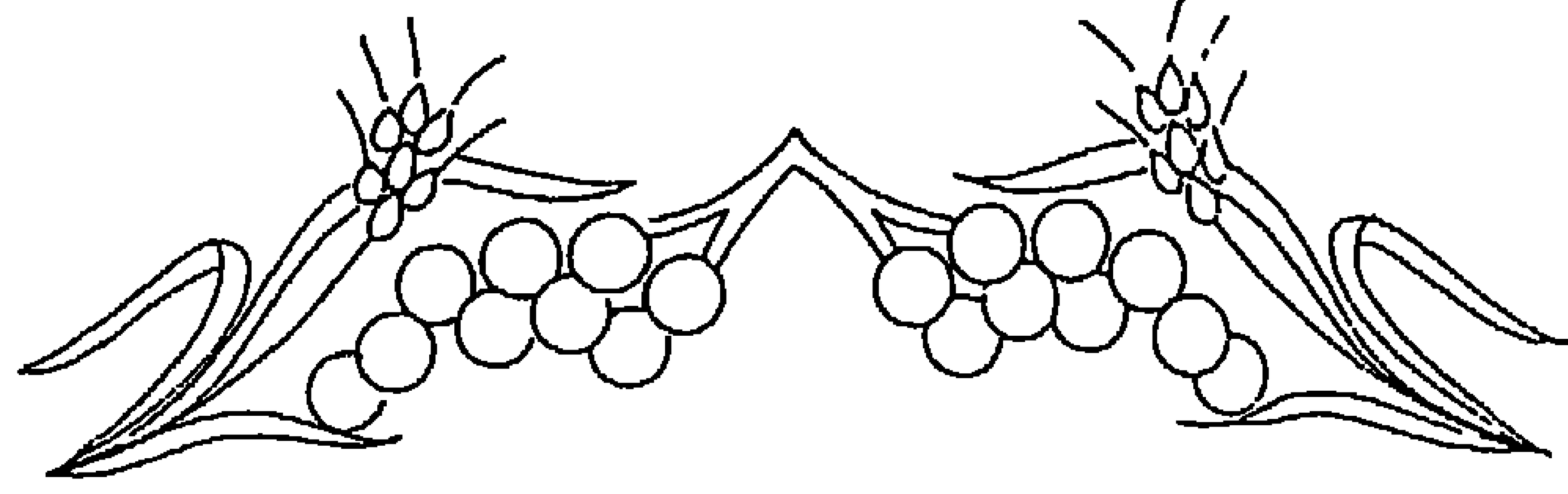
لا ننسى فى إقامة لعازر من الموت ، قول الكتاب "بكى يسوع" (يو١١: ٣٥) . والبكاء هو أعمق مظهر للاشفاق والحنو ...

يبقى بعد سؤال :

هل حنان الله وإشفاقه ورأفاته تمنع من التأديب ؟

تجد الإجابة على هذا السؤال فى المقال المقبل :





اللّه المؤدِّب الشافى الذى يجرح ويعصب

(أى ٥: ١٨)

إن الله يحب خليقته . بكل حب يعامل أولاده ، هؤلاء الذين "أحبهم حتى المنتهى" (يو١٣: ١). يحنو عليهم ويتراءف . ولكن ليس بالتدليل الذى ينحرفون فيه، إنما كما يقول الكتاب :

"الذى يحبه الرب يؤدبه " (عب١٢: ٦) .

نعم ، ويقول الكتاب أيضاً "طوبى لإنسان يؤدبه الله . فلا ترفض تأديب القدير . لأنه هو يجرح ويعصب . يسحق ويداه تشفيان" (أى٥: ١٧، ١٨) .

إنه تأديب لفائدتنا ولشفائنا ، ننتفع به كما ننتفع بكل مواهب الرب وعطاياه . ويقول القديس بولس الرسول عن هذا التأديب "إن كنتم تحتملون التأديب ، يعاملكم الله كالبنين . فأىّ ابن لا يؤدبه أبوه؟! ولكن إن كنتم بلا تأديب.. فأنتم نغول لا بنون" (عب١٢: ٧، ٨).

إنه تأديب ، ليس بقسوة ، بل تمتزج به الرحمة .

وهكذا قيل إنه "يجرح ويعصب . يسحق ويداه تشفيان" .



منذ البدء تعامل الله مع البشرية بهذا الأسلوب، كما فى قصة أبوينا الأولين، آدم وحواء .. خلق الإنسان الأول فى أكمل صورة . "على صورة الله خلقه" ، وباركه وسلّطه على كل الأرض (تك١: ٢٧، ٢٨). ولكن لما أخطأ هذا الإنسان، عاقبه الله . وقال له "بعرق جبينك تأكل خبزك" "ملعونة الأرض بسببك. بالتعب تأكل منها كل أيام حياتك.

وشوكاً وحسكاً تنبت لك" (تك٣: ١٧، ١٨). وقال للمرأة "تكثيراً أكثّر أتعاب حبلك. بالوجع تلدين أولاداً.." (تك٣: ١٦) .

وفيما عاقب الله آدم وحواء ، بشرهما بالخلاص .

بشرهما بأن نسل المرأة سيسحق رأس الحية (تك٣: ١٥). وهكذا جاء السيد المسيح من نسل حواء، ليسحق رأس الحية أى الشيطان (رؤ٢٠: ٢) . وإذا بالخلاص الموعود به يكون مع العقوبة فى وقت واحد. حقاً إن الله يجرح ويعصب . يطرد آدم وحواء من الجنة، ويعدهما – وكل البشرية – بالخلاص ...

✠ ✠ ✠

نفس المعاملة ، نراها فى قصة يونان النبى .

لقد أخطأ يونان ، وخالف أمر الله ، وهرب منه فى سفينة إلى ترشيش. وهنا نرى عصا التأديب واقعة عليه : نوء عظيم فى البحر ، كادت السفينة أن تتكسر به، ثم ألقى يونان فى البحر "وأعد الرب حوتاً عظيماً فابتلع يونان" (يون١: ١٧) . ولكن الله الذى سمح للحوت أن يبتلع يونان، لم يسمح لهذا الحوت أن يضر يونان بل بقى يونان فى جوف الحوت ثلاثة أيام، وخرج منه سالماً، لكى يؤدى رسالته. حقاً إن الله يجرح ويعصب . يسحق ويداه تشفيان.. ما أجمل قول داود النبى :

"تأديباً أدبنى الرب . وإلى الموت لم يسلمنى" (مز١١٨: ١٨) .

✠ ✠ ✠

نعم ، ما أكثر التأديبات التى أدّب بها الرب عبده داود . وبخه عن طريق ناثان النبى . فقال له "لماذا احتقرت كلام الرب، لتعمل الشر فى عينيه .. والآن لا يفارق السيف بيتك.." (٢صم١٢: ٩– ١٠). وسمح الرب أن يقوم على داود إبنه أبشالوم ويذله. ويصعد داود فى جبل الزيتون باكياً وحافياً (٢صم١٥: ٣٠). ويسبّه شمعى بن جيرا بكلام موجع (٢صم١٦: ٩، ١٠). ويخونه أخيتوفل، ويتعبه أيضاً رئيس جيشه يوآب (٢صم١٩). وينقسم عليه شبع بن بكرى (٢صم٢٠). ويمنعه الرب من بناء الهيكل، مع ضيقات أخرى عديدة.. ومع كل ذلك كان الرب مع داود وباركه ونجاه. فسبّح بعمل الرب وقال "قوتى وتسبحتى هو الرب، وقد صار لى خلاصاً" (مز١١٨) .

✠ ✠ ✠

سليمان أيضاً ابن داود ، عامله الله بنفس المعاملة . وقال عنه :

"إن تعوّج ، أؤدبه بقضيب الناس وبضربات بنى آدم. ولكن رحمتى لا تنزع منه" (٢صم٧: ١٤، ١٥) .

هنا كلمة (أؤدبه)، وكلمة (رحمتى)، تجتمعان فى عبارة واحدة ..

وعلى الرغم من أن الرب تراءى لسليمان مرتين : إحداهما فى جبعون، والأخرى فى أورشليم، إلا أنه لما أخطأ عاقبه، ولكن فى حنو، ولم ينزع منه رحمته كما نزعها من شاول. بل قال "من أجل ان ذلك عندك، ولم تحفظ عهدى وفرائضى التى أوصيتك بها، فإنى أمزق المملكة منك تمزيقاً وأعطيها لعبدك. إلا أنى لا أفعل ذلك فى أيامك – من أجل داود عبدى – بل من يد إبنك أمزقها . على أنى لا أمزق منك المملكة كلها، بل أعطى سبطاً واحداً لإبنك، لأجل داود عبدى، ولأجل أورشليم التى أخترتها" (١مل١١: ١١-١٣). حقاً إنه "يسحق ويداه تشفيان" (أى٥: ١٨) .

✠ ✠ ✠

وهكذا قال الرب للكنيسة فى العهد القديم :

"لحيظة تركتك ، وبمراحم عظيمة سأجمعك" (أش٥٤: ٧) .

يتركها تذل بأيدى الأمم، ثم سيعود فيجمعها. يلقيها فى سبى بابل وأشور، ويسمح أن يقتحمها نبوخذ نصر، وأن يبقى "سور أورشليم منهدماً، وأبوابها محروقة بالنار" (نح١: ٣). ثم يعود الرب وينبه روح كورش ملك فارس (عز١: ١)، فيخرج آنية بيت الرب التى أخرجها نبوخذنصر من أورشليم وجعلها فى بيت آلهته، ويعيدها (عز١: ٧، ٨). كما يعطى نعمة لنحميا فى عينى أرتحشستا الملك، فيرسله لإعادة بناء أورشليم (نح٢: ٤-٩).

✠ ✠ ✠

سمح الرب بالسبى لأبنائه القديسين ، ومنحهم نعمة فى أرض السبى .

وهذا ما نقرأ عنه فى قصة دانيال النبى والثلاثة فتية القديسين .

السبى كان تأديباً للشعب كله . ولكنه كان خبرة روحية عجيبة رأى فيها دانيال والثلاثة فتية يد الله وهى تعصب وتشفى. سمح الله أن يضطهد حبيبه دانيال من جميع وزراء المملكة، ومن المرازبة والمشيرين والولاة، فدبروا مؤامرة ضده ألقى بها فى جب الأسود. ولكن "الله أرسل ملاكه فسدّ أفواه الأسود" (دا٦: ٢٢). وكانت النتيجة أمر صدر من الملك بعبادة إله دانيال (دا٦: ٢٥- ٢٨). ونجح دانيال.

كذلك سمح الله بالقاء الثلاثة فتية فى أتون النار، ولكنه تمشى معهم فى وسط الأتون

(دا٣: ٢٥). ولم تمسهم النار بضرر. وكانت النتيجة صدور أمر من نبوخذ نصر الملك بتمجيد إلههم. كما قدّم هؤلاء الفتية فى ولاية بابل.. إنه الله الذى يجرح ويعصب .

✠ ✠ ✠

يذكرنا هذا ، بما حدث لمردخاى من هامان .

سمح الله أن يعدّ هامان خشبة طولها خمسون ذراعاً ليصلب عليها مردخاى ظلماً (إس٥: ١٤). ولكن فى تلك الليلة أطار الله النوم من عينى أحشويرش الملك، فأتى بسفر تذكار أخبار الأيام فقرئت أمامه، وإذ بها خبر عن مردخاى وكيف أنقذ الملك من إثنين تآمرا عليه. فعمل الملك على إكرام مردخاى إكراماً عظيماً (إس٦). كما أعطى الرب نعمة لإستر فى عينى الملك ، فكشفت له مؤامرة هامان .. وانتهى الأمر بأنهم "صلبوا هامان على الخشبة التى أعدها لمردخاى" (إس٧: ١٠) .

✠ ✠ ✠

أيضاً سمح الله بالتجربة ليوسف الصديق ، وأخرجه منها بمجد .

سمح أن يضطهده أخوته، وأن يلقوه فى البئر، وأن يبيعوه كعبد (تك٣٧). وسمح أن تتهمه إمرأة فوطيفار ظلماً بتهمة رديئة، فيلقى به فى السجن فيبقى فيه سنوات. ولكن الرب كان معه وأنجحه فى كل شئ. وأعطاه موهبة تفسير الأحلام . وأرسل الرب حلماً لرئيس السقاة وحلماً لرئيس الخبازين، زميليه فى السجن، ففسرهما يوسف. ثم أرسل الله أحلاماً لفرعون ومنح يوسف حسن تفسيرها، كما منحه نعمة فى عينى فرعون، فجعله الثانى فى المملكة.. وأتى أخوة يوسف إليه فى مصر يطلبون قمحاً أثناء المجاعة، وسجدوا بين يديه. وقال لهم "لستم أنتم أرسلتمونى إلى هنا، بل الله" (تك٤٥: ٨). كما قال لهم بعد موت أبيه "أنتم قصدتم لى شراً، أما الله فقصد به خيراً.. ليحيى شعباً كثيراً" (تك٥٠: ٢٠).. حقاً، هذا هو الله الذى يجرح ويعصب .

✠ ✠ ✠

الله الذى سمح أن تكون نساء قديسات عواقر لا يلدن .

كان قد أغلق رحم راحيل ، فلم تلد بينما اختها أنجبت أبناء عديدين. حتى أن "راحيل غارت من أختها، وقالت ليعقوب "هب لى بنين، وإلا فأنا أموت" (تك٣٠: ١). ولكن الله عاد وتحنن "وذكر الله راحيل وسمع لها، وفتح رحمها. فحبلت وولدت إبناً، وقالت "قد نزع الله عارى" (تك٣٠: ٢٢، ٢٣) ... منحها يوسف الذى سجد له كل أخوته ..

وسمح الرب أيضاً أن تكون حنة عاقراً ، وأن تغيظها ضرتها فننة، لدرجة أنها بكت ولم تستطع أن تأكل، لأن الرب قد أغلق رحمها (١صم١: ٦، ٧).. ولكن الله الذى يجرح ويعصب، كان قد أعدّ لها صموئيل إبناً، النبى الذى مسح داود ملكاً (١صم١٦) .

بالمثل سمح الله أن تكون سارة عاقراً، وعاد فمنحها أن تلد اسحق أبا الآباء وسمح أيضاً أن تكون أليصابات عاقراً. ولكنه كان قد أعدّ لها أن تلد يوحنا الذى قال عنه الرب "لم يقم من بين المولودين من النساء، أعظم من يوحنا المعمدان" (مت١١: ١١) .. حقاً إنه الله ، الذى يجرح ويعصب .

أيضاً سمح أن تترمل راعوث وتتغرب وتجمع من وراء الحصادين ، لأنه كان قد أعدّ لها أن تتزوج بوعز، وتصير جدة للمسيح (را ٤: ١٣، ٢١، ٢٢) .

✠ ✠ ✠

نذكر أيضاً الضيقات التى سمح بها الله لرسله وشهدائه .

إذ قال لهم "فى العالم سيكون لكم ضيق" (يو١٦: ٣٣) "سيخرجونكم من المجامع. بل تأتى ساعة يظن فيها كل من يقتلكم أنه يقدم خدمة لله" (يو١٦: ٢). قال لهم أيضاً "يلقون أيديهم عليكم، ويطردونكم ويسلمونكم إلى مجامع وسجون، وتساقون أمام ملوك وولاة لأجل إسمى" "وتكونون مبغضين من الجميع لأجل إسمى" (لو٢١: ١٢، ١٧) .. الله الذى قال هذا، هو الذى قال أيضاً "أنا أعطيكم فماً وحكمة لا يقدر جميع معانديكم أن يقاوموها أو يناقضوها" "وشعرة من رؤوسكم لا تهلك" (لو٢١: ١٥، ١٨).. حقاً إنه الله الذى يجرح ويعصب .

✠ ✠ ✠

سمح أن ينفى القديس يوحنا حبيبه إلى جزيرة بطمس . ولكنه هناك أراه الرؤيا العجيبة، حيث رأى السماء مفتوحة، ورأى عرش الله والقوات السمائية (رؤ٤). وكشف له الله ما سوف يكون فى أواخر الزمان .

سمح أيضاً بآلام كثيرة لبولس الرسول ، فكان "فى الأتعاب أكثر، فى الضربات أوفر، فى السجون أكثر، فى الميتات مراراً كثيرة" "بأخطار سيول، بأخطار لصوص، بأخطار من جنسه، بأخطار من أخوة كذبة.." (٢كو١١: ٢٣- ٢٦). ولكن فى نفس الوقت ، منحه أن يصعد إلى السماء الثالثة، إلى الفردوس.. وسمع كلمات لا ينطق بها (٢كو١٢: ٢-٤).

الله منع موسى النبى من دخول أرض الموعد ، على الرغم من أنه كان أميناً على كل بيته" (عد١٢: ٧). ولكنه مع ذلك سمح له أن يدخل تلك الأرض على جبل التجلى، معه ومع إيليا النبى أيضاً (مر٩: ٤) .. إنه يسحق ويداه تشفيان ...

✠ ✠ ✠

لذلك يا أخى اختبر الرب فى كل جراحك ، وفى كل تأديباته ...

ليس فقط حينما يصعدك إلى السماء الثالثة، بل أيضاً حينما يعطيك شوكة فى الجسد (٢كو١٢: ٧). اختبر تجاربه الحلوة، وافرح بها كما قال الرسول "احسبوه كل فرح يا أخوتى حينما تقعون فى تجارب متنوعة" (يع١: ٢) . وتذكر أن القديس بولس وسيلا كانا فى السجن الداخلى، وقد ضبطت أرجلهما فى المقطرة. ومع ذلك كانا يصليان ويسبحان الله، والمسجونون يسمعونهما" (أع١٦: ٢٤، ٢٥) .

✠ ✠ ✠

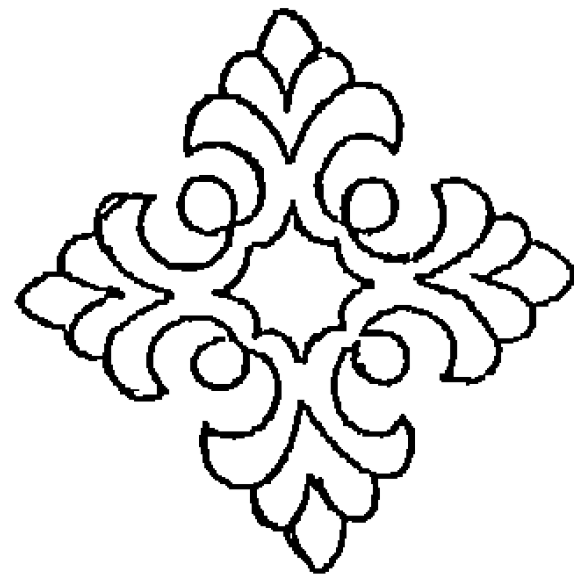
إن جرحت فى محبة الله ، فلا تتعب ، بل قل :

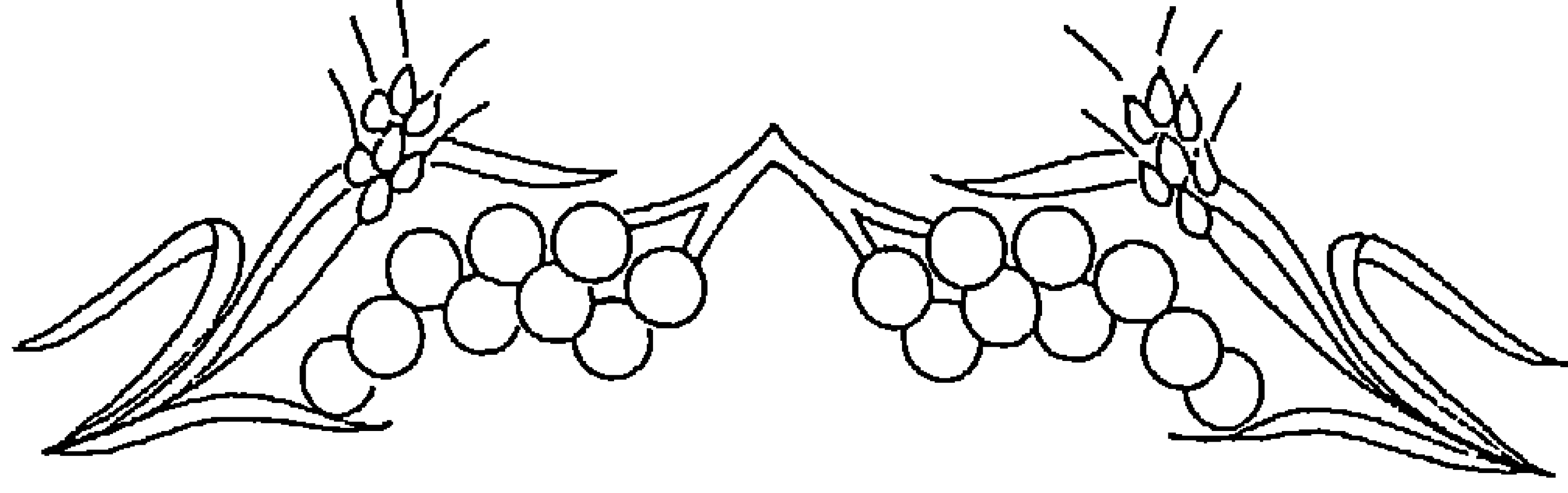
"أمينة هى جروح المحب " (أم٢٧: ٦) .

قُل أيضاً : المر الذى يختاره الرب لى ، خير من الشهد الذى أختاره لنفسى. أنا يارب لا أشك أبداً فى محبتك، مهما اصابتنى من جراح، ومهما احتملته من تأديبات . كله للخير، وكله للبركة. عصاك وعكازك هما يعزياننى .. إن مستنى عصاك، فهى للقيادة والإرشاد، ولست أحسّ منها ألماً . أنت المؤدب الشافى ، الذى يجرح ويعصب .

أنت لم تقصد آلاماً لأيوب الصديق ، بل قصدت له البركة عن طريق الآلام ، وأخرجته منها أفضل مما كان، "وزدت على كل ما كان له ضعفاً" (أى ٤٢: ١٠) وباركت آخرته أكثر من أولاه (أى٤٢: ١٢) .

فليكن إسم الرب مباركاً كل حين .. هكذا قال أيوب ، ليس حينما شفاه الله ، إنما قال ذلك وهو فى عمق التجربة والألم (أى١: ٢١) .





حكمـــة اللـــه

مقدمة عن حكمــة اللـــه

إنها صفة من صفات الله المشهورة . حتى الناس كثيراً ما يقفون مذهولين أمام أحكام الله ويقولون "حكمتك يارب" !! وفى ذلك قال الكتاب :

"يا لعمق غنى اللـه وحكمتـه وعلمـه ! مـا أبعد أحكامـه عن الفحص، وطرقـه عن الإستقصاء!" (رو١١: ٣٢، ٣٣) .

إن أيوب الصديق الذى ما كان يعرف سرّ تجربته، وكان يجادل فى ذلك .. أخيراً بعد أن تحدث الله معه ، قال للرب

"علمت أنك تستطيع كل شئ، ولا يعسر عليك أمر .. ولكنى قد نطقت بما لم أفهم . بعجائب فوقى لم أدركها.. بسمع الأذن قد سمعت عنك. والآن رأتك عينى" (أى٤٢: ٢-٥)

نعم أحياناً ، لا ندرك حكمة الله . ولكن علينا أن نؤمن بها، ولو لم ندركها...

من أهمية الحكمة أن الأقنوم الثانى من الثالوث القدوس، سُمّى أقنوم الحكمة ، فقيل عنه فىالكتاب إنه "قوة الله وحكمة اللـه" (١كو١: ٢٤) . هذا "المذخر فيه جميع كنوز الحكمة والعلم" (كو٢: ٣) .



إن الله الحكيم، من مواهبه الحكمة .

وهكذا فإن القديس بولس الرسول ذكر الحكمة ضمن مواهب الروح القدس ، روح الله. فقال "فإنه لواحد يُعطى بالروح كلام حكمة" (١كو:١٢ ٨) . وقال القديس يعقوب الرسول "وأما الحكمة النازلة من فوق، فهى أولاً طاهرة ثم مسالمة ، مترفقة-مذعنة،

مملوءة رحمة وأثماراً صالحة" (يع:٣ ١٧) ... ونعلم أيضاً أن إلهنا مصدر كل حكمة، قد وهب سليمان الحكمة وقال له "هأنذا قد أعطيتك قلباً حكيماً ومميزاً، حتى أنه لم يكن مثلك قبلك، ولا يقوم بعدك نظيرك" (١مل٣: ١٢) .

✠ ✠ ✠

وورد فى الكتاب إن الله هوَ الحكمة وعنده الحكمة .

هذا الذى قال "أنا الحكمة.." (أم٨: ١٢) . وقيل عنه "عنده الحكمة والقدرة، له المشورة والفطنة" (أى١٢: ١٣) . وقد وُصف روح الله بأنه "روح الحكمة والفهم، روح المشورة والقوة، روح المعرفة.." (اش١١: ٢) . وقيل إن السرّ المكتوم منذ الدهور "يُعرف بواسطة الكنيسة بحكمة الله .." (أف٣: ١٠) .

حكمة الله فى الخلق

عن هذا يقول المرتل فى المزمور :

"ما أعظم أعمالك يارب . كلها بحكمة صنعتها" (مز١٠٤: ٢٤) .

ويقول الكتاب أيضاً "الرب بالحكمة أسس الأرض. ثبّت السموات بالفهم" (أم٣: ١٩) .

من جهة مواعيد الخلق ، كانت كلها بحكمة . خلق الماء قبل أن يخلق النبات والعشب، لكى يتغذى النبات والعشب على الماء . وخلق هذين قبل أن يخلق الحيوان، لكى يتغذى الحيوان على العشب . وخلق الإنسان أخيراً ، لكى يتغذى على النبات، ولكى يكون الحيوان فى خدمته (تك١) .

✠ ✠ ✠

وما أعجب حكمة الله فى علم وظائف الأعضاء بالنسبة إلى مخلوقاته :

انظروا إلى حكمة الله ، فى منح وظائف معينة لكل مركز من مراكز المخ . وحكمته فى وظيفة القلب وعلاقته بالمخ . وفى وظائف كل جهاز من أجهزة الجسم، كالكبد، والكلى، وكل عناصر الجهاز الهضمى والجهاز الدورى، وعمل الدم، وعمل العظام.. بل وأيضاً عمل العقل وعمل الضمير وعمل الأعصاب ...

ولننظر أيضاً حكمة الله فى قوانين الوراثة .

وكيف يرث الجنين صفات والديه ، وبعض صفات الأجداد، وما تركوه من صفات كامنة فى الأعمام والأخوال .. وما مركز الجينات فى كل ذلك، ومركز الهرمونات

والكروموزومات .. ما حكمة الله فى قوانين الوراثة المتعلقة بالشكل العام، وبالقامة، ولون العين، ولون الشعر، وملامح الوجه، ونوع فصيلة الدم ، وما إلى ذلك ...

✠ ✠ ✠

حكمة الله فى خلقه طبائع متعددة ومتنوعة :

خلقه الملائكة أرواحاً بعيدة عن المادة "الذى خلق ملائكته أرواحاً، وخدّامه ناراً تلتهب" (مز١٠٤: ٤). وخلق كائنات جامدة، هى مادة فقط، بلا نفس ولا روح ، كالجبال والأنهار والحجارة .. ثم خلقه كائنات أخرى ، بعضها من جسد مادى ونفس، كالحيوانات والطيور والأسماك والحشرات . ثم الإنسان من جسد مادى، ومن نفس وروح (١تس٥: ٢٣) .

كل تلك الخليقة فى تنوع عجيب

تنوع فى اللون ، وفى الشكل ، وفى الفهم ، وفى الطباع ، وفى نوع النفسية والعقلية . بل وتنوع أيضاً فى النطق أو عدمه ، وفى تنوع الأصوات أيضاً .. حتى لا تمل الخليقة من النظر إلى بعضها البعض ...

تصوروا ماذا كانت النتيجة ، لو لم يوجد هذا التنوع ؟

لو كان الناس جميعاً بعقلية واحدة، ونفسية واحدة، وشكل واحد! ينظر كل إنسان إلى غيره، وكأنه ينظر إلى مرآه ...!

إنه تنوع حتى فى محيط الملائكة ، فيهم الرؤساء والأرباب والقوات، والشاروبيم والسارافيم والعروش .. ليس الكل درجة واحدة، ولا نوعاً واحداً.. بل أوجد ملائكة للتسبيح واقفة أمام العرش الإلهى (اش٦) . وأوجد أيضاً ملائكة آخرين هم "أرواح خادمة مرسلة للخدمة لأجل العتيدين أن يرثوا الخلاص" (عب١: ١٤) .

✠ ✠ ✠

وفى الطبيعة الجامدة ، أيضاً أوجد أنواعاً .

أوجد الضغط والحرارة والهواء والسحب والأمطار . أوجد الضغط الثقيل، والضغط الخفيف . بحيث ينتقل الهواء من الضغط الثقيل إلى الضغط الخفيف . وهذا الضغط الخفيف يخف بالحرارة . وإذا ازدادت حدة الهواء وسرعته يتحول إلى رياح وعواصف، ويحمل معه بخار الماء إلى فوق، ويحوله إلى سحب، إذا تكاثفت تسقط كأمطار، وهكذا ..

إذا تكبرت المياه التى فى السحب على المياه التى فى البحر ، وقالت لها أنا فوق وأنتِ

تحت .. يأتى وقت تسقط مياه السحب كأمطار إلى تحت وتتبخر مياه البحر، وتصعد إلى فوق كسحب .. وتدور الدائرة .

إن التأمل فى حكمة الله فى الطبيعة ، لا يدخل تحت حصر ...

حكمة الله التى وضعها فى قوانين الفلك .

وفى العلاقات القائمة بين الشموس والكواكب والنجوم والمدرات ... وما ينتج عنها من الفصول ، ومن الحرارة والبرودة ، والنور والظلمة ، وعلاقة كل هذه بحياة الإنسان.. كل ذلك بنظام ثابت عجيب وحكيم ...

نتأمل حكمة الله أيضاً فى تكوين المجتمعات ورعايتها من كل ناحية .

فى تدبير المجتمع

فى حكمة الله ورعايته ، أوجد خيراً فى الكون يكفيه كله ...

وأوجد فى الكون معادلة عجيبة بين التساوى والتفاوت . الكل يتساوون فى حرية الإرادة ، وفى الإتجاه نحو الخير أو نحو الشر . ومع ذلك فهناك تفاوت عجيب فى الأرزاق وفى الطباع والعقليات . وبحكمة عجيبة سمح الله بهذا .. هناك القادة والسادة ، وهناك العمال والمنفذون .. لو كان الكل رؤساء ، فمن الذى يخضع ومن الذى يقود؟ ولو كان الكل على درجة واحدة من الغنى ، فمن الذى يأخذ بركة العطاء ؟ ومن الذى يفرح ويشكر حينما يتلقى عطاء ...

وطبعاً هناك تفاوت من جهة النشاط ، ومن جهة البذل ، ومن جهة الحركة . وأيضاً من جهة استخدام الحرية .

بحكمة منح الله الحرية للكل

فالكل حرّ يفعل الخير أو لا يفعله . وذلك بحكمة حتى يكافأ من يفعل الخير عن حب ورضى ورغبة . ويعاقب من يفعل الشر بإرادته .

وبحكمة لم يفنِ الله الشيطان ، بل أبقى عقابه إلى نهاية العالم حيث يلقيه فى البحيرة المتقدة بالنار (رؤ٢٠: ١٠) . فيرى الله من يقبل إغراء الشيطان ومن يرفضه . ولكى بعدلٍ يكون للشيطان مبدأ تكافؤ الفرص فى العمل، ويكون مستحقاً للمجازاة، وشاهداً على

بر الأبرار الذين رفضوه .



فى حكمة وضع الله رسم خيمة الإجتماع .

فيها الدار الخارجية ، والقدس وقدس الأقداس . ولكل مكان عمله وبحكمة أكمل كل زينتها . واختار لذلك بصلئيل ، رجلاً ملأه من روح الله ، بالحكمة والفهم والمعرفة وكل صنعة الإختراع" (خر ٣١: ٢- ٣) .

وفى حكمة وضع الله أنواعاً من الذبائح : منها خروف الفصح (خر ١٢) والمحرقة (لا ١) . وذبيحة الإثم وذبيحة الخطية وذبيحة السلامة (لا٣- ٥) . وبحكمة وضع رتب الكهنوت وأنواعها ، من كهنوت الآباء والأنبياء ، إلى الكهنوت الهارونى وكهنوت ملكى صادق .

وبحكمة دبر الله سير الأحداث فى الكون .

حكمته فى الأحداث

عجيبة هى يد الله فى الأحداث . نرى مثلاً لها فى حياة يوسف الصديق، وكيف أوصله إلى عمق السلطة فى مصر . وكيف دخلت الأحداث كلها فى مجال مشيئة الله. خيانة الأخوة وقسوتهم، وفساد زوجة فوطيفار وإتهامها الباطل، وزملاء السجن وكشف أفكارهم له ، وتفسيره لأحلامهم وأحلام فرعون، وسنوات الشبع وسنوات الجوع. كل ذلك دبره الله بحكمة عجيبة حولت كل الشر إلى خير، وكل الضرر إلى نفع ..

كذلك نرى تدخل الله فى قصة أحشويرش الملك، وهامان ومردخاى: وكيف أنه فى ليلة مصيرية "طار نوم الملك فأمر بأن يؤتى أمامه بسفر تذكار الملوك" ويقرأ فيه الخير الذى فعله لأجله مردخاى (إس٦) فيكافئ مردخاى فى نفس الوقت الذى كان معرضاً فيه للموت ، وتبطل مؤامرة هامان .

وأيضاً تدخل الله فى الأحداث ، بحيث أنه أبطل مشورة أخيتوفل (٢صم١٥: ١٦) . وتدخل الله فى الأحداث ، حينما خلص الكنيسة من أريوس .. كذلك تدخل الله فى حياة القديس الأنبا أنطونيوس وقيادته إلى طقس الرهبنة الملائكى : سواء فى تاثراته بموت أبيه، أو ما سمعه فى الكنيسة من قراءة ، أو ما سمعه من نقد (أو نصيحة) تلك المرأة العديمة الخجل ...

حكمة اللـه فى التجارب والألـم

نذكر كمثال لها ما تعـرض لـه داود النبـى مـن مؤامـرات شـاول الملـك، التـى صقلـت شخصيته ومنحته صلابة وقوة ، مع عمق فى الصلاة والمزامير، وأهلته للملك فـى وقـت صقلت فيه شخصيته .. بالإضافة إلى باقى تجاربه أيضاً ، مع يوآب بن صرويه، وشمعى بن جيرا، ومع ابنه أبشالوم. وكيف كان كل ذلك لنفعه روحياً ...

حكمة الله أيضاً فى وجود الألم.

إن الأمراض الخطيرة هى التـى تنتشـر فـى الجسـم دون الشـعور بـالألم! ولا يكتشـفها الإنسان إلا بعد أن تصل إلى درجة يصعب فيها علاجها ، مثل بعض السرطانات .. لذلـك كانت حكمة من الله أن يوجد الألم الذى يساعد على إكتشاف المرض وعلاجه ...

نضم إلى هذا النوع أمراض الأطفال ، الذين لا يعرفون طريقة للتعبير عن مرضـهـم ، ولكن إحساسهم بالألم فى مواضع معينة يكشف المرض لعلاجه ...



الألم أيضاً مفيد فى قيادة الإنسان إلى التوبة .

إن ساعة واحدة مـن الألـم المتعب، قد تُرجـع الإنسـان إلـى اللـه، أكثر مـن عشـرات العظات.. فيها يشعر أنه قريب من الأبدية فيستعد لها. أو يشعر باحتياجه الشـديد إلـى اللـه نفسه فيسعى إليه ...

بل إن الألم يوجد مشاعر الحنو والتعاطف .

حيث يشفق الناس على المتألمين ، ويساهمون فى العمل علـى تخفيـف آلامهـم، وهكـذا تتعمق العلاقات الإجتماعية. والبعـض قد يتطوعـون ويتبرعون ببعض دمـائهم، أو بنقل بعض أعضائهم إلى المحتاجين إليها .

كما أن الأطباء والعلماء – لتخفيف آلام الناس وعلاجهم – يبذلون كـل الجهـد ليصلـوا إلى أنواع من العلاج . وهكذا يرتقى العلم والطب ..

أما الآلام النفسية ، فلها فوائدها أيضاً . وما أجمل قول أمير الشعراء :

ومُتعت بالألم العبقرى   وأنبغ ما فى الحياة الألم

حكمته فى الموت

الله أوجد الموت ، لينقل الإنسان من حياة مادية فانية، إلى حياة روحية باقيـة . بـل إن الموت أيضاً سيكون الخطوة الأولى فى تغيير أجسامنا إلـى أجسـام روحانيـة ممجدة غير قابلة للفساد (١كو١٥: ٤٢- ٤٩) .

ومن حكمة الله فى الموت ، أنه لا يستبقى على الأرض أجيـالاً متتابعـة مـن شـيخوخة عاجزة، بل يجعلها تفسح الطريق إلى أجيال جديدة كلها حيوية ونشاط وانتاج .

ومن حكمته فى وجود المـوت ، أن يجعـل النـاس يستعدون للأبديـة، عـارفين أن هـذا العمر ليس باقياً علـى الأرض . ولهـذا نجـد قطـع صـلاة النـوم، تذكرنـا بـالموت والأبديـة والإستعداد للحياة الأخرى بالتوبة .

حكمة الله بالفداء

شرحنا هذا الأمر كثيراً : كيـف أن اللـه بكـل حكمـة، قـد دبـر الفـداء لأجـل خلاصنـا. واختار الموعد الحكيم الذى توجد فيه العذراء القديسة التى تستطيع أن تحتمل أمجاد الحبل المقدسة والأمومة المجيدة . والوقت الذى يوجد فيه يوحنـا المعمـدان الـذى يهيـئ الطريـق قدام الرب . والرسل القديسون الذين ينشرون عقيدة الفداء فى العالم كله . بل الوقت الـذى يكون فيه الشعب كله مؤهلاً فى نضوج فكرى لقبول فكرة الفداء ، أو فكرة الخـلاص عـن طريق الكفارة ... بكل ما يحمل الماضى من رموز ونبوءات .

وكيف يولد ذلك الفادى ، الذى هو قدوس بلا خطية، لكى يحمل كل الخطايا لكل الناس فى كل العصـور ، ويموت عنها. وتكون كفارته غير محدودة، من جهة اتحاده باللاهوت..

إن الله كما حلّ مشكلة الخلاص بكل حكمة، عن طريق الفداء ، هو أيضاً قادر بحكمته أن يحل كل مشاكل الناس .

إيماننا بحكمة الله

إن إيماننا بحكمة الله ، له فوائد كثيرة فى حياتنا .

به نثق بالله ، وبحسن تدبيره . فنسلّم حياتنا كلها للـه .. وننمـو فـى الإيمـان يومـاً بعـد يوم، كلما نجد أمامنا أمثلة عديدة من حكمة الله، ليـس فقـط فـى أحـداث الكتـاب ، بـل فـى

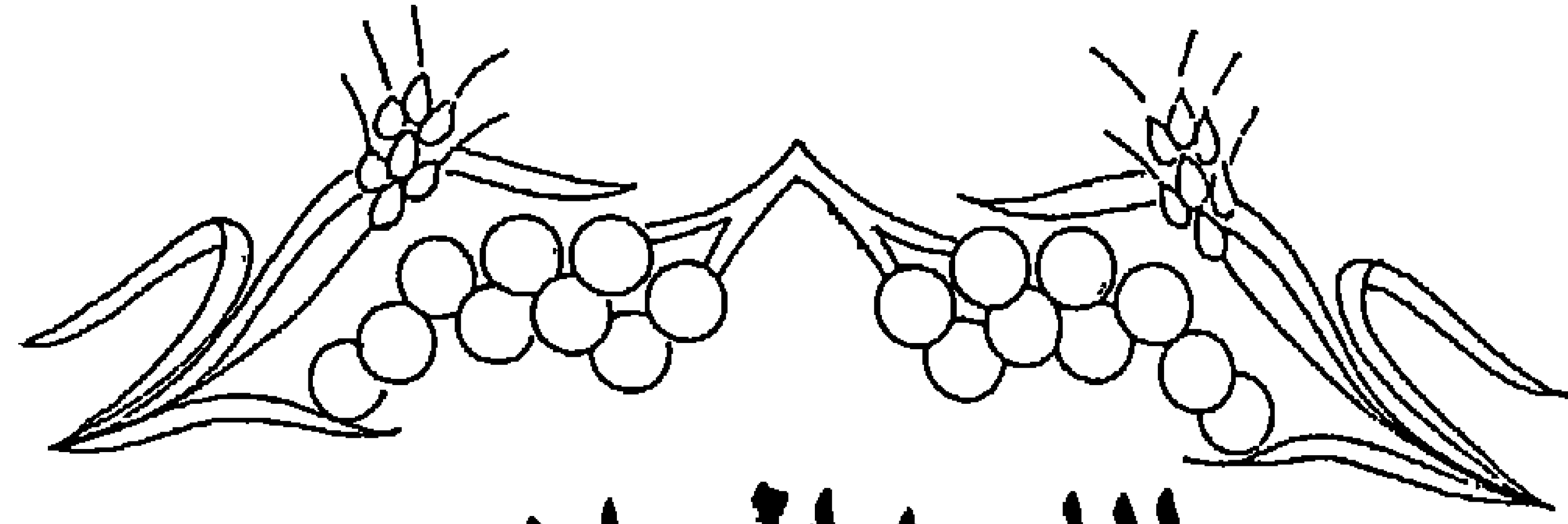
حياتنا أيضاً، وحياة المحيطين بنا ...

وأمام حكمة الله ، تتضع قلوبنا ، ولا نعتمد على مجرد ذكائنا وتدبيرنا الخاص. بل نستمع إلى قول الكتاب "وعلى فهمك لا تعتمد" (أم٣: ٥) .

وفى إيماننا بحكمة الله ، نبعد عن التذمر والشكوى، وعن التجديف أيضاً، شاعرين أن كل ما يعمله الله، هو حكمة وحب ، سواء فهمنا ذلك أو لم نفهم .

حكمة الله أيضاً يمكن أن تكون لنا مجالاً للتأمل ، يغرس فينا تمجيد الله فى حكمته، وشكراً له على ما تحمله حكمته من خير لنا .





الله المدبر الحكيم فى تدبيره

أيضاً دبر الله لكل مخلوق ما يريحه .

فالدب القطبى مثلاً، خلق له الله فروا لتدفئته إذ أنه يعيش فى بلاد باردة ، بينما الحصان مثلاً لا يحتاج إلى ذلك . الجمل خلق له الله خفاً فى قدميه يمشى به على الرمال. والقرد خلق له مرونة فى كل فقراته تمكنه من تسلق الأشجار. خلق الأجنحة للطيور، والزعانف للأسماك. والحيوانات الضعيفة دبر لها وسيلة للهرب .

مررت مرة على تكعيبة العنب ، فرأيت تدبير الله العجيب :

فى الشتاء تنفض الكرمة أوراقها ، فتدخل أشعة الشمس لكى يتدفأ من يجلس تحت التكعيبة فى فصل البرد. وتعود أوراق الكرمة فتملأ التكعيبة فى الصيف، لكى يستظل من يجلس تحتها فى فصل الحرّ . حكمة عجيبة فى التدبير . وهكذا من كل الأشجار النفضية.. إلى جوار نفع كل هذا فى تدبير حياة الشجرة نفسها .

✠ ✠ ✠

كذلك هناك تدبير إلهى عجيب فى وظائف أعضاء الإنسان .

دبّر له الله كل شئ : العدسة العجيبة الموجودة فى العين، والمضخة العجيبة الموجودة فى القلب، والمراكز العجيبة التى فى المخ، والحساسية العجيبة التى فى سائر الحواس، كاللمس والشم والذوق، والمفاصل العجيبة الموجودة فى الأطراف ، والمرونة العجيبة

الموجودة فى الفقرات. والعمل العجيب الذى تقوم به كل أجهزته .

يكفى أن يأكل الإنسان مثلاً قطعة من الحلوى ، فتقوم الأسنان واللسان بعملها : اللسان يلوكها، والأسنان والضروس تحطمها، وتهيئها للبلع . ثم تتناولها مجموعة من الإفرازات، منها ما يخص المواد الدهنية، وما يخص المواد السكرية، وما يخص المواد النشوية، لكى يتم هضمها ثم تمثيلها ، وتتحول إلى أنسجة ودم.. فى جسم الإنسان من نفس النوع!!

وكما دبر الله الخلق ، وانتهى من عمله خالقاً، استمر يدبر حياة خليقته ، وعمل الأجرام والطبيعة التى خلقها :وذلك بتدبير الخليقة جملة ، وكل مخلوق على حده .

✠ ✠ ✠

خذوا تدبير الله لحشرة مثل النحلة .. كيف منحها هذا التدبير العجيب جداً فى جمع الرحيق من الزهور، وتحويل الرحيق إلى شهد، وكأنها عالم فى الكيمياء. واستخراج غذاء الملكات، وكأنها صيدلى ماهر يعد أقوى علاج . كذلك منح الله النحلة تدبيراً عجيباً فى صنع الخلايا، وكأنها مهندس بارع .

ومنحها تدبيراً حكيماً جداً فى العمل الإدارى ، والعلاقة بين العمال، وبينهم وبين الملكة، حتى قال فى ذلك أمير الشعراء أحمد شوقى :

مملكة مدبرة بإمرأة مؤمرة

تحمل فى العمال والصناع عبء السيطرة

أعجب لعمال يولون عليهم قيصرة

✠ ✠ ✠

وهكذا منح الله أيضاً تدبيراً عجيباً للطيور فى رحلاتهم الطويلة، وقيادة تلك الرحلات. ومنح الخليقة الحيوانية تدبيراً منظماً فى النسل، كما منح النباتات أيضاً فى ذلك نظاماً وتدبيراً، به تبذر الشجرة بذراً يصنع ثمراً ، بذره فيه كجنسه (تك١: ١١، ١٢) .

كذلك قام الله بتدبير حياة الإنسان جملة وافراداً .

فكل إنسان يدبر الله حياته بطريقة كلها حكمة، كما لو كان هذا الإنسان الفرد عملاً خاصاً يدبره الله، بحيث ينتهى هذا التدبير إلى القصد الإلهى ، لو أن هذا الإنسان قد سلّم نفسه لعمل الله وتدبيره ...

خذوا مثلاً يوسف الصديق : أراد الله أن يجعله ملكاً على مصر وكل أحوالها. فلكى يصير كذلك، لابد أن يصل إلى فرعون ويكون موضع ثقته . ولكى يصل إلى فرعون ،

يدبر الله أحلاماً لفرعون يحتاج إلى تفسيرها . ويعجز كل السحرة والعرافون عن ذلك. ثم يدبر الله أن رئيس السقاة يخبر فرعون بأمر يوسف الصديق وقدرته على تفسير الأحلام .

ولكى يحدث ذلك يدبر الله أحلاماً يحلمها رئيس سقاة فرعون فى السجن مع رئيس خبازيه، ويحتاجان إلى من يفسرها . ولكى يتم ذلك يسمح الله بطريقة يدخل بها يوسف إلى السجن، وهى مؤامرة إمرأة فوطيفار ضد يوسف. ولكى يحدث هذا يدبر الله خدمة يوسف فى بيت فوطيفار .

ولكى يتم ذلك يدبر الله شراء الإسماعيليين ليوسف وبيعه لبيت فوطيفار. ولكى يتم هذا يسمح الله بأن يقوم أخوة يوسف بإلقائه فى البئر ثم بيعه . ولكى يحدث هذا يحسده أخوته بسبب القميص الملون وبسبب أحلامه . وهكذا دبر الله حلمين يحلمهما يوسف الصديق، وفيهما معنى رئاسته لأخوته ...

أليس تدبيراً عجيباً ، هذا الذى لخصه يوسف لأخوته بقوله لهم : أنتم قصدتم لى شراً. أما الله فقصد به خيراً، لكى يفعل كما اليوم" (تك٥٠: ٢٠) . "لستم أنتم أرسلتمونى إلى هنا بل الله" (تك٤٥: ٨) .

حقاً ما أعجب مقاصد الله وتدبيره !!

هل يستطيع يوسف أن يقول لله "لماذا تفعل بى يارب كل هذا؟ كلا، بل هو تدبير الله المحب الذى به أوصله إلى الرئاسة. وبه جعله أباً لفرعون وسيداً لكل مصر (تك٤٥: ٨).

✠ ✠ ✠

مثال آخر ، هو داود : أراد الله أن يقيمه ملكاً .

ولكى يفعل ذلك ، لابد أن يشتد داود وتحنكه التجارب والضيقات، حتى يدبر مملكة واسعة وحروباً كثيرة .. بينما كان داود شاباً صغيراً، أشقر مع حلاوة فى العينين (١صم١٦: ١١، ١٢) .

لذلك دبّر الله أن يتعرض داود لحروب شاول ومؤامراته ضده . فاكتسب من كل ذلك خبرة، واكتسب احتمالاً ، ونبلاً فى المعاملة .

وفى هذه المدة اختبر الحرب وتقوى فيها، حتى أنه قال فى المزمور : "مبارك الرب صخرتى، الذى يعلم يدىّ القتال وأصابعى الحرب" (مز١٤٤: ١) . وهكذا أمكن للتجارب والضيقات أن تصقل شخصيته، وتجعله رجل دولة من نوعية قوية . كما أن هذا التدبير

الإلهى ، جعل داود أيضاً رجل صلاة ، يعرض كل ما فى قلبه على الله : يعترف، ويطلب، ويشكر، ويسبّح، ويترك لنا فى مزاميره كنزاً من الصلوات والتأملات تستخدمها كافة الكنائس .

✠ ✠ ✠

وأيضاً تدبير الله الحكيم ، استخدمه مع نبيه صموئيل :

كان يريده نبياً يخدمه فى الهيكل ، ويمسك قنينة الدهن التى بزيتها المقدس يمسح الملوك. فسمح أن تكون أمه عاقراً تشتهى أن يكون لها ابن، بينما تغيظها ضرتها. فلما ضاقت بها الحالة، وبكت، ذهبت إلى الهيكل، ونذرت فى صلاة حارة إن أعطاها الله ابناً، أن تكرسه لله يخدمه فى هيكله كل الأيام (١صم١: ١١). وقد كان.. فلما ولدت صموئيل، تربى فى الهيكل منذ صغره. واستحق ما أراده الرب له ...

✠ ✠ ✠

كذلك دبّر الله الطريقة التى يخضع بها يونان، وتتوب بها نينوى .

أمره أن يذهب إلى نينوى وينادى عليها بالهلاك . وهو بعلمه الإلهى المسبوق يعرف أن يونان سيعصاه . وفعلاً دبّر له السفينة التى هرب فيها من وجه الرب. ودبّر عاصفة وأنواء تكاد تغرق السفينة. وبهذا التدبير خاف ركاب السفينة، وصلوا وآمنوا، وذبحوا ذبيحة، ونذروا نذوراً" (يون١: ١٦) . وهكذا بعصيان يونان، خلّص الله ركاب السفينة .

ثم دبر الله حوتاً عظيماً ، فابتلع يونان. وبهذا التدبير رجع يونان إلى نفسه، وصلّى ، وأنقذه الله، فنادى على أهل نينوى، فصاموا وصلوا وتابوا ورجعوا عن طريقهم الرديئة، فغفر لهم الله وخلصوا . ولكن يونان أغتاظ لسقوط كلمته واشتهى الموت .

فدبّر الله يقطينة تظلل على رأس يونان، ودبر دودة تضرب اليقطينة فذبلت. ثم دبر أن تضرب الشمس يونان، فيطلب الموت لنفسه، وهنا دبّر حواراً معه تخلص به نفسه...

عجيبة هى تدابير الله التى خلص بها أهل السفينة وأهل نينوى ويونان نفسه. وكيف استخدم الريح والبحر والحوت واليقطينة والدودة والشمس ... كله فى إطار واحد هو التدبير الإلهى الحكيم المتقن .

✠ ✠ ✠

وما أكثر تدابير الله التى استخدمها مع قديسين ومع خطاة أيضاً :

دبّر للقديس الأنبا بولا موكب جناز لميت، وحديث بين بعض المشيعين فشعر بتفاهة

الحياة وأحكام الناس، كما سمح أن يأخذه ملاك إلى البرية، ودبّر لـه معيشته فـى البريـة، وغراباً يأتيه بطعام. ودبّر كذلك أن يزوره القديس الأنبا أنطونيوس فـى أواخر حياته فيعرف منه قصته ويرويها لنا، ويدفنه ...

ودبّر الله للقديس الأنبا أنطونيوس أن يتأثر بموت أبيه، ويتأثر بآية من الإنجيل يسمعها فى الكنيسة، وأن يتأثر بكلمة من إمرأة لا تستحى .. قالت له : إن كنت راهباً فاسكن فـى الجبل. فليس هذا الموضع يصلح لسكنى الرهبان ...

ودبّر اللـه وسيلة للتوبـة لكـلٍ مـن مريـم القبطيـة، وبيلاجيـة، وبائيسـة، وسـارة، وأوغسطينوس، وموسى الأسود. كل منهم لـه قصـة من تدبير اللـه، تظهر فيها يد اللـه واضحة، بحيث اقتادهم إلى التوبة، وليس هذا فقط، بل حوّلهم إلى قديسين وقديسات تنتفع البشرية بسيرتهم وبصلواتهم ...



دبّر الله حلولاً لمشاكل كثيرة ، ما كانت تخطر على بال .

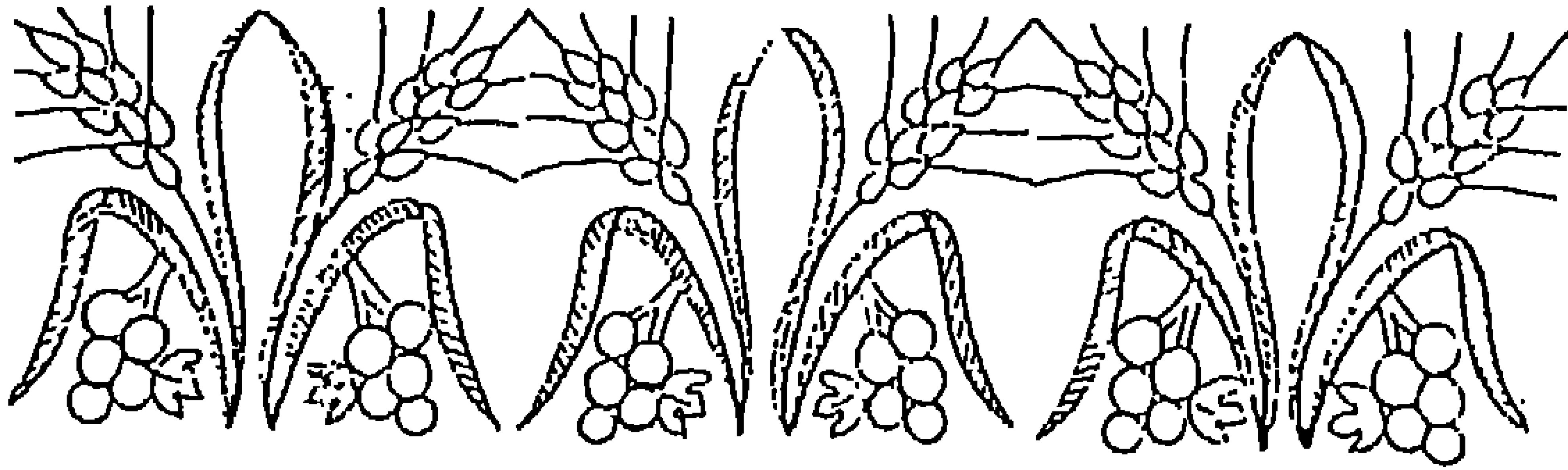
دبّر انقاذ موسـى وشـعبه ، بشـق البحـر الأحمـر ، الأمـر الـذى يحدث لأول مـرة فـى التاريخ، ويظهر فيه عمـل اللـه وتدبيره . كمـا دبّـر إعالـة كـل هؤلاء فـى البريـة، بـالمن والسلوى لإطعامهم ، وبالماء الذى انفجر مـن الصخـرة ليستقوا منـه (خر١٧: ٦). ودبر لهدايتهم فى الطريق عمود نار بالليل، وسحابة تظللهم بالنهار (خر١٣: ٢١).

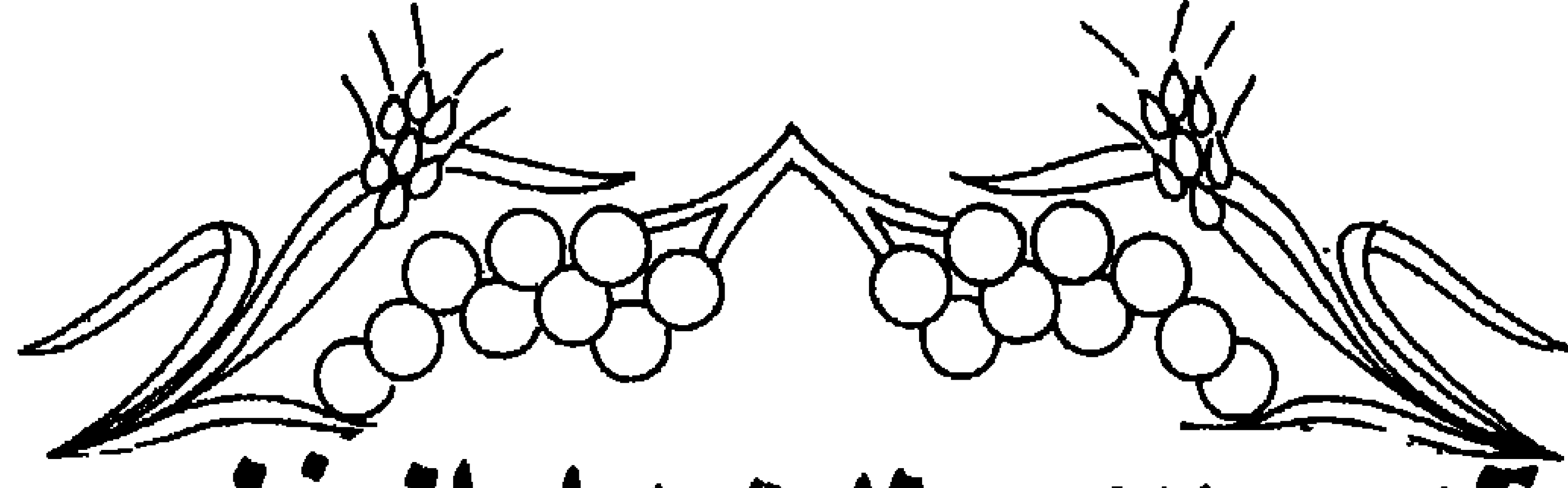
كثيراً ما لجأ البشر إلى حلول بشرية ففشلت ، ثم تدخلت الحلول الإلهية ...

وفى هذا المجال قصص عديدة جداً لسنا نظن هذه الصفحات تتسع لها الآن ..!

ثم هناك أمر أهم من كل ما ذكرناه ، وهو :

التدبير الإلهى لخلاص البشرية ، وقصة الفداء العجيب ، ومتى بدأت وكيف تمت ؟





تدبير الله للفداء العظيم ولقضية الخلاص

تحدثنا عن الله المدبر ، الحكيم فى تدبيره لكل شئ : للطبيعة ولحياة الناس . ونحب هنا أن نتحدث عن تدبيره الحكيم فى موضع التجسد والفداء .

منذ خطية آدم وحواء، وعدهما الله بالخلاص قائلاً إن نسل المرأة سوف يسحق رأس الحية (تك٣: ١٥) . وكان المقصود أن السيد المسيح الذى سوف يأتى من نسل المرأة هو الذى سيسحق رأس الحية أى الشيطان (رؤ٢٠: ٢) وذلك بالفداء الذى يقدمه لخلاص البشرية .

ومع ذلك ظلت الحية رافعة رأسها تهزم البشر وتهلكهم بعبادة الأصنام وبشرور كثيرة، فأين كان الوعد الإلهى إذن ؟



كان الخلاص لا يتم إلا بالفداء . فلو تم فى نفس الزمن ما كان البشر يفهمونه. كان لابد إذن أن يعدّ الله فهمهم للفداء .

سواء من حيث فكرة الفداء ذاتها ، أو الفداء بالدم . كما كان الله يدبر أيضاً موضوع الوقت المناسب، والأشخاص ، واللغة، والطرق التى تنتقل بها الكرازة بالخلاص والفداء .

إعداد الفهم

وقد سلك هذا الإعداد على مراحل كثيرة ، أراد الله لكل مرحلة منها أن ترسخ فى العقول، بممارستها زمناً كافياً. وهذه هى المراحل .

١ – أخطأ أبوانا الأولان فشعرا بأنهما عريانان، فغطيا عريهما بورق التين. ورأى الله أن أوراق التين لا تصلح "فصنع لهما أقمصة من جلد وألبسهما" (تك٣: ٢١) . وطبعاً

هذا الجلد نتج من ذبيحة. وهكذا تعلم الإنسان هذه القاعدة :

الخطية تسبب العرى . والذبيحة نتيجتها الستر .

✠ ✠ ✠

٢ - بعد ذلك تعلم البشر تقديم الذبائح . وكانت أول ذبيحة ذكرها الكتاب هى تقدمة هابيل البار، الذى قدّم لله "من أبكار غنمه ومن سمانها" (تك٤: ٤) . وهى التى قبلها الرب منه. وهنا أخذت البشرية الدرس الثانى وهو :

تقديم البكر ذبيحة ، وتقديم الأفضل .

٣ - فى الأمر بتقديم اسحق محرقة، قال الرب لابراهيم "خذ إبنك وحيدك الذى تحبه، اسحق.. واصعده محرقة على الجبل الذى أريك إياه" (تك٢٢: ٢) . وهنا أخذت البشرية فكرة عن مبدأ ثالث وهو :

تقديم الابن الوحيد المحبوب .

٤ - نلاحظ أن كل الذبائح التى قُدمت فى سفر التكوين كانت كلها محرقات. والمحرقات تأكلها النار حتى تتحول إلى رماد (لا٦: ١٠). فلا يكون للإنسان نصيب منها.

كانت المحرقات كلها لله، تأكلها النار الإلهية لإرضاء قلب الله.

وهذه النار كانت ناراً مقدسة. هى النار الأولى التى نزلت من السماء لتأكل المحرقة وظلوا يحتفظون بهذه النار، ولم يكن الله يسمح بنار غريبة (لا١٠: ١، ٢) .

✠ ✠ ✠

٥ - بعد هذا قدم لهم الله شريعة الفصح: كان الملاك المهلك سيخرج فى تلك الليلة ليهلك الأبكار . أما نجاة أبكار العبرانيين، فكانت حسب أمر الله - برش دم خروف الفصح على أبوابهم. وقال لهم الرب فى ذلك "حين أرى الدم أعبر عنكم" (خر١٢: ١٣).

When I see the blood, I shall pass over you .

ومن هنا أخذ إسم الفصح Pass over، ومنها البصخة. وأخذ العبرانيون درساً آخر وهو :

الدم وسيلة للخلاص من الموت . إذ قد سُفك دم خروف الفصح، فداء لهم .

فكـــرة الفـــداء

وفيما بعد نرى بولس الرسول يقول "لأن فصحنا أيضاً المسيح قد ذُبح لأجلنا" (١كو٥: ٧). بالفصح بدأوا يعرفون معنى الفداء، إذ قد سُفك دم هذه الذبيحة البريئة وماتت بدلاً

منهم .

وأصبح معنى الفداء هو : برئ يموت عن مذنب .

٦ – ثم نظم الله لهم الذبائح فى سفر اللاويين. بحيث أن كل ذبيحة منها تدل على عمل معين فى قصة الفداء .

فأصبح مقدم الذبيحة يضع يده على الذبيحة ويعترف بخطاياه قبل أن تُذبح . وهكذا تحمل الذبيحة خطاياه نيابة عنه . وأصبح الحمل الذى يُذبح عنه يمثل الحقيقة الآتية :

برئ بلا خطية، ولكنه حامل خطية .. أى خطية غيره .

وأيضاً برئ لا يستحق الموت ، يموت عن مذنب محكوم عليه بالموت .

✠ ✠ ✠

ثم يأتى أشعياء النبى فيتنبأ عن ذبيحة السيد المسيح فيقول "كلنا كغنم ضللنا، ملنا كل واحد إلى طريقه ، والرب وضع عليه إثم جميعنا" (أش٥٣: ٦) .

هذا هو إذن الفادى ، الذى يحمل خطايا الجميع .

٧ – يقدم لنا الكتاب معنى آخر فى يوم الكفارة العظيم (لا١٦) .

فيما تحمله تقدمة (عزازيل) . وهو الذى يضع هرون يديه عليه، ويقرّ عليه بكل ذنوب الشعب وكل سيئاتهم وخطاياهم، ثم يلقيه فى البرية حاملاً كل ذنوبهم (لا١٦: ٢٠– ٢٢). ولا يعودون يرونه فيما بعد . وعن هذا الأمر يقول داود النبى عن الرب "كبعد المشرق عن المغرب أبعد عنا معاصينا" (مز١٠٣: ١٢) .

✠ ✠ ✠

٨ – كان لابد من مدى زمنى يدرك فيه الناس معنى الفداء، وصفات الفدية التى ستقدم عنهم فى شخص المسيح .

أجيال طويلة تمر عليهم، وهم يربطون الغفران بالدم، وبموت برئ عن مذنب، حاملاً خطاياه بدلاً منه . فمن تراه سيكون؟ لابد أنه من نسل الإنسان الذى حُكم عليه بالموت ، أى "ابن الانسان" . لذلك كانت كل إمرأة تشتاق أن تلد إبناً، لعله يكون هو المخلص، وهكذا أصبحت العاقر عاراً. ثم زال هذا العار بنبوءة أنه سيولد من عذراء . وقد أعلن هذا فى سفر أشعياء النبى إذ يقول :

"ها العذراء تحبل وتلد إبناً، وتدعو إسمه عمانوئيل" (أش٧: ١٤) .

✠ ✠ ✠

ويقول أيضاً "لأنه يولد لنا ولد ونُعطى إبناً، وتكون الرئاسة على كتفه، ويدعى إسمه

عجيباً مشيراً، إلهاً قديراً ، أباً أبدياً رئيس السلام. لنمو رياسته وللسلام ، لا نهاية على كرسى داود وعلى مملكته ..." (أش٩: ٦، ٧) .

ومن قبل جاءت النبوة أن هذا الملك سيكون من سبط يهوذا ، حينما قال أبونا يعقوب : "لا يزول قضيب من يهوذا، ومشترع من بين رجليه ، حتى يأتى شيلون ، وله يكون خضوع شعوب" (تك٤٩: ١٠) .



وهكذا تتلخص علامات نسل المرأة الذى يسحق رأس الحية .

فى أنه ابن الإنسان، ويولد من عذراء ، من نسل داود ، من سبط يهوذا ، وفى نفس الوقت إله قدير ، بدمه ينال الخلاص . وهو يحمل خطايا الجميع، ويموت عنهم. ويبعد عنهم خطاياهم فلا يرونها فيما بعد .

وكثرت النبوءات والرموز التى تعد فهم الناس .

إعــــداد الأشخاص

٩ - بقى إعداد العذراء التى يولد منها الفادى .

بحيث تكون إنسانة قديسة تستحق أن يولد منها المسيح الفادى . وفى نفس الوقت تكون إنسانة متواضعة تستطيع أن تحتمل هذا المجد العظيم .. وقد وُجد هذا فى مريم العذراء التى تطوبها جميع الأجيال "لأنه نظر إلى إتضاع أمته" (لو١: ٤٨) .

كان لابد أن يعد العذراء التى تقبل فكرة أن تحبل وهى عذراء، وأن تستسلم إلى الإرادة الإلهية بقولها "ليكن لى كقولك" (لو١: ٢٨).

١٠- كذلك كان لابد من إعداد ذلك الشيخ البار، يوسف النجار، الذى يحفظ مريم ويرعاها، ويعيش معها كبتول، ويصدق ما قاله الملاك "إن الذى حُبل به فيها هو من الروح القدس" (مت١: ٢٠) .



١١ - وكان لابد أيضاً من إعداد (الملاك) الذى يهيئ الطريق قدامه .

الذى يعد الشعب بمعمودية التوبة . وفى نفس الوقت لا ينسب المجد لنفسه، بل يقول "يأتى بعدى، الذى صار قدامى. الذى لست أنا مستعداً أن أنحنى وأحلّ سيور حذائه" (يو١: ٢٧). هذا الذى إن قيل له: هل أنت المسيح؟ يجيب: لست أنا (يو١: ٢٠).

١٢ - كان لابد أيضاً من إعداد الرسل الذين سيحملون رسالة المسيح إلى أقصاء الأرض ، وينشرون الإيمان المسيحى فى قوة وفى إحتمال لكل أنواع الإضطهاد الذى يقع عليهم ...



١٣- كان ملء الزمان ينتظر أيضاً مناسبة وجود الأشرار الذين يقدمون الفادى للصلب

الكهنة ورؤساء الشعب الذين يحسدونه ويسعون لقتله ...

ويهوذا الخائن الذى يبيع سيده بثلاثين من الفضة، والذى ينطبق عليه قول المزمور "الذى أكل خبزى، رفع علىّ عقبه" (مز ٤١: ٩).

وكذلك الحاكم الجبان بيلاطس الذى يحكم بصلب المسيح خوفاً من اليهود، وهو موقن بأنه بار (أع٣: ١٣) (يو١٧: ٣٨) .



١٤ - كان لابد لملء الزمان الذى يولد فيه الفادى أن يجتمع كل هذا معاً .

أن تكتمل فيه كل النبوات ، وتجتمع فيه كل الرموز ، مع فهم الناس لها ، وأن يجتمع فى نفس الوقت الأشخاص الأبرار والأشرار الذين يشتركون كلهم معاً فى العمل الذى يحدث .. وماذا أيضاً فى الإعداد لميلاد المسيح وللقيام برسالته .

إعداد اللغة والطرق

كان لابد من انتشار لغة عالمية ، تنتقل بها الكرازة .

وهكذا دخل اليونان إلى بلاد الشرق الأوسط على يد الأسكندر الأكبر فى سنة ٣٢٣ قبل الميلاد، وانتشرت معهم اللغة اليونانية ، وأصبحت لغة عالمية ، كُتبت بها الأناجيل فيما بعد، وتحدث بها الآباء القديسون .

بل فى عهد بطليموس فيلادلفوس ، البطليموس الثانى من خلفاء الأسكندر تُرجم العهد القديم فى الأسكندرية إلى اللغة اليونانية ، بالترجمة التى عُرفت باسم الترجمة السبعينية . وساعدت فى إعداد الفكر اليونانى لقبول ما فى العهد القديم من تمهيد لميلاد المسيح .

وما أحتاج إلى لغات أخرى ، دبر له الله موهبة التكلم بألسنة .



ولما دخل الرومان مهدوا الطرق كعادة حضارتهم .

وكان ذلك نافعاً فيما بعد لنقل الكارزين والمبشرين ليحملوا معهم بشرى الخلاص فى كل أنحاء تلك الامبراطورية المترامية الأطراف.

لما تم كل هذا ، "جاء ملء الزمان فأرسل الله ابنه مولوداً من إمرأة مولوداً تحت الناموس، ليفتدى الذين تحت الناموس ، لننال التبنى" (غل٤: ٤، ٥) .

✠ ✠ ✠

وهكذا نرى أن الله فى حكمة عجيبة قد دبّر كل الأمور التى تتعلق باتمام الفداء ، بحيث أنه عمل كل شئ فى الوقت المناسب الذى تجمعت فيه الأمور كلها معاً . وكان ذلك هو ملء الزمان الذى فيه عملت كل الأمور متناسقة ومتعاونة ، لكى تكمل فيها المشيئة الإلهية الصالحة حسبما يدبر الله ...

وأنت يا أخى ، لا تظن أن الله يتأخر عليك، ولا تطلب منه أن يسرع. لأن كل شئ مرتب عنده فى الحين الحسن.

وكما دبر التجسد الإلهى فى ملء الزمان ، هكذا يدبر كل شئ .

تدبير الخلاص

والله الذى دبر أمور الخلق ، دبر أيضاً علم الخلاص .

دبر خلاص الإنسان قبل أن يخطئ ، بل دبر خلاص الإنسان قبل أن يخلق .. دبر عمل التجسد العجيب، وعمل الفداء الإلهى . ودبر فهم الإنسان لهذه الأمور اللاهوتية ، بتعليم طويل عن الذبائح والمحرقات ، وممارسة الإنسان لتقديمها ..

ودبر تقبل البشرية لكل عمل الخلاص بنبوءات كثيرة، عن ولادة الرب من العذراء، وعن صلبه وموته ، وعن محبته للبشر ومجيئه لخلاصهم ، وعن قيامته وصعوده ..

✠ ✠ ✠

وكما دبر الله الفداء للخلاص ، دبر كل أسرار الكنيسة :

وضع لنا - فى تدبير حكيم - كل الوسائط التى ننال بها الخلاص العظيم، بعمل روحه القدوس فى أسرار الكنيسة .. ما أجمل قولنا فى القداس الغريغورى "ربطتنى بكل الأدوية المؤدية إلى الحياة" ..

وضع لنا الله المعمودية ، والميرون ، والتوبة والأفخارستيا .. ووضع لنا سر

الكهنوت خادم الأسرار كلها . ودبر لنا القنوات الإلهية التي يصل فيها إلينا خلاصه العجيب.. وأقام مع تلاميذه أربعين يوماً، يشرح لهم التعاليم الإلهية ، والطقوس والممارسات والعبادة والأسرار، اللازمة لملكوت الله ... (أع١) .

وبتدبيره الحكيم لم يتركنا يتامى، بل أرسل لنا الروح القدس، وأعطانا مواهب روحه المتعددة ، ورسم لنا الرعاة والمعلمين ، ونظم أمور كنيسته حسب مشيئته الصالحة الطوباوية ، ولم يدعنا معوزين شيئاً من أعمال كرامته .

✠ ✠ ✠

ما أجمل قول داود النبي "ليس لك شبيه في الآلهة يارب ... من مثلك ؟!" .

إنه حكيم في تدبيره . وحكيم في اختيار الوقت المناسب لهذا التدبير . وهذا الوقت عبر عنه الرب بقوله :

"ليس لكم أن تعرفوا الأزمنة والأوقات ، التي جلعها الآب في سلطانه" (أع١: ٧) ... لكل شئ عنده ، حينه الحسن ...

إننا بطرقنا البشرية ، ربما نتخير أوقات غير لائقة وغير صالحة. ولكن الرب يدبر كل شئ في وقته المناسب. وربما نحتج نحن على توقيت الله، بينما الرب تدبيره أفضل .

تدبير الله للناس

في قصة الخلاص نقرأ عبارة : ملء الزمان (غل٤: ٤) .

عبارة ملء الزمان معناها الحكمة الإلهية في تدبير الوقت .

ما أكثر ما يضطرب إنسان في حياته الروحية، ويقول للرب : متى أصل؟ متى أدرك؟ متى أنال؟ ولكن الرب يتخير الوقت الذي يراه أفضل الأوقات لتدبيره حياة هذا الإنسان .

قد اختار لأوغسطينوس وقتاً للتوبة، كان بعد سن الثلاثين . واختار له طريقة معينة. والطريقة التي أختارها لتوبة موسى الأسود، غير الظروف التي إختارها لتوبة مريم القبطية ولتوبة بيلاجيا .

✠ ✠ ✠

إن الله لا يدبر الكل بأسلوب واحد . إنما يدبر كل واحد بما يناسبه ، وفي الوقت الذي يناسبه .

تختلف التدابير والأوقات ، ولكن العامل المشترك فيالكل هو الحكمة، والحب، والصلاح، فبهذا يتميز تدبير الله .

حينما نقرأ الكتاب وسير القديسين ، نجد أن الله كان له مع كل قديس تدبير خاص يدبره به .

أنظروا إلى موسى النبى كيف دبر الرب حياته منذ طفولته ..

كيف أرسل له إبنة فرعون لتتبناه ، كيف هذبه بكل حكمة المصريين، كيف علمه فى البرية الهدوء والحلم، كيف اختاره للقيادة وأعطاه سلطاناً على فرعون، كيف زوده بالمعجزات وكلمه فماً لفم .. بتدبير خاص، يكاد يكون موسى لا شأن له فيه .

كذلك يوسف الصديق ، كيف دبره الله، بالأحلام، بالضيقات، وجعل كل الشرور التى اصابته سبباً لخيره – كذلك داود النبى، كيف أختاره الرب من دون أخوته، وحل روحه عليه، وقاده بالضيقات والآلام التى كانت أنغاماً فى مزاميره ، التى هى أيضاً من تدبير الله لنا لنفعنا الروحى ..

كل أولئك كانت حياتهم ألحاناً فى قيثارة الله .

حياة كل منهم كانت وتراً خاصاً بنغمة خاصة، عزف عليها التدبير الإلهى ، لتكون سيمفونية عجيبة تستمع إليها البشرية ...

ما أعجب الله فى تدبيره العام ، وتدبيره لكل فرد .

نسلم حياتنا لتدبيره

ما أجمل أن نسلم حياتنا لله لكى يدبرها بنفسه .

هكذا كانت حياة شعب الله فى القديم خاضعة لتدبيره فى كل شئ . سواء فى العبادة، أو القيادة، أو الحركة. كان هو ملكاً على الناس يدبرهم بمشيئته ، ويرسل لهم من يحمل تدبيره إليهم. لذلك عندما طالب الشعب بأن يكون له ملك، قال الرب لصموئيل ، إنهم لم يرفضوك أنت، بل إياى قد رفضوا" ..

كان طلبهم ملكاً، هو مطالبة بالأستقلال عن الله وتدبيره ...

ولما كانوا يبتعدون عن تدبير الله، كانوا يفشلون ..!

ابراهيم أبو الآباء ، لم ينفعه تدبيره البشرى فى اختيار هاجر أو قطورة ، فبتدبير الله، باسحاق يدعى له نسل .



حسن للإنسان أن يدخل مع الله فى وحدة المشيئة وفى وحدة العمل ، ويسلم نفسه

تماماً للتدبير الإلهى .

وحياة التسليم هذه تستلزم الثقة الكاملة بحكمة التدبير الإلهى ومنفعته ، والإيمان بخيرية العمل الإلهى، والإيمان بأن التوقيت الذى يضعه الله هو أفضل توقيت .

والثقة بالتدبير الإلهى، والرضا به، إنما يدخلان الإنسان فى حياة السلام والطمأنينة، بل أيضاً فى حياة الفرح والشكر ...

✠ ✠ ✠

ليتنا نصلى كل حين أن يدبر الله حياتنا .

هو يتولاها ، ولا يتركنا لتفكيرنا ، ولا يتركنا لحكمتنا ، وكما قاد الشعب فى البرية، يقودنا فى كل خطوة .

وعلينا أيضاً ألا نشك، مهما كانت الظروف الخارجية، ولا نتذمر على تدبير الله، بل نقول "لتكن مشيئتك" .

✠ ✠ ✠

ما أعجب هذا، أن الله ليس فقط يتولى حياتنا ويدبرها ، بل أنه يدبر حياتنا قبل أن نولد، بل قبل أن يحبل بنا، كما قال لأرمياء النبى "قبلما صورتك فى البطن عرفتك.. جعلتك نبياً للشعوب" (أر ١: ٤، ٥) .

بنفس الوضع كان الله يدبر حياة يوحنا المعمدان وعمله ورسالته ، قبل أن تحبل به أليصابات . وبولس الرسول يقول "لما سر الله الذى افرزنى من بطن أمى، ودعانى بنعمته.. لأبشر به بين الأمم.." (غل١: ١٥، ١٦) .

إن كان الأمر هكذا ، فلنفرح ونسر بتدبير الرب ...





القسم الثالث

علاقة الإنسان بالله

ويشمل هذا القسم :

- مركز الله فى حياتنا .
- لا شىء إلى جوار الله .
- الله هو الأول والآخر .
- كلمه الله إليك .
- إن سمعتم صوته فلا تقسوا قلوبكم .
- معرفتنا لله .
- اللقاء مع الله .
- الثبات فى الله .
- الهاربون من الله .
- الذين يعرجون بين الفرقتين .
- الشركة مع الله .
- المصالحة مع الله
- الجهاد مع الله .
- إنتظار الله .
- لنفرح بالرب .
- آمين تعال أيها الرب يسوع .



مركز الله فى حياتنا

الحياة الروحية معناها أن يكون الله وحده مالئاً كل حياتك. فإن وضعت شيئاً إلى جواره، لابد ترتبك روحياتك، وقد يكون أول ما تضعه هو ذاتك !

لما حارب الشيطان أبوينا الأولين آدم وحواء، ووجد أن الله كل شئ فى حياتهما ، بدأ فوضع ذاتهما إلى جوار الله ، فقال "تصيران مثل الله، عارفين الخير والشر (تك٣: ٥)، ولما بدأت الذات تظهر وتكبر، أخذ الله يختفى من حياتهما ...

✠ ✠ ✠

الإنسان إذا بدأ يركز على نفسه ، فلا يستطيع أبداً أن يركز على الله . فمن الخير إذن أن يجرده الرب ...

هكذا حدث مع أيوب الصديق ، حينما ركز على نفسه وقال "حينما كنت أخرج إلى الباب فى القرية ، واهيئ فى الساحة مجلسى. رآنى الغلمان فاختبأوا، والأشياخ قاموا ووقفوا. صوت الشرفاء إختفى، ولصقت ألسنتهم بأحناكهم. لأن الأذن سمعت فطوبتنى، والعين رأت فشهدت لى.." (أى٢٩: ٧- ١١) . وهكذا أخذت الذات تظهر ..!

فبدأ الله يجرد هذا القديس من كل شئ: من المال والأملاك والأولاد والصحة، حتى بقى الله وحده له لأن فى هذا كل الخير له . واستطاع أيوب حينئذ أن يقول "بسمع الأذن سمعت عنك، والآن رأتك عيناى" (أى٤٢: ٥) .

✠ ✠ ✠

ويونان النبى أيضاً – فى إحدى المرات – وقفت ذاته لتحجب الله عنه : أرسله الرب إلى نينوى لينادى عليها بالهلاك . وكان يعلم أن نينوى إذا سمعت نداءه ستتوب ولا تهلك، فتسقط كلمته. لذلك هرب من الرب .. ثم اغتاظ حتى الموت لما خلصت المدينة ولولا أن الرب صالحه لضاع بسبب الذات ...! (يون ٤) .

كذلك لوط ، لما وضع أمامه الغنى والأرض المعشبة ، ولم يجعل هدفه الله وحده،

حينئذ رضى أن يسكن فى سادوم ، ويعذب نفسه البارة يوماً بعد يوم (٢بط٢: ٨)، حتى فقد كل شئ، وكاد يهلك لولا افتقاد الله له بملاكين يخلصانه ...

✠ ✠ ✠

إن البار لا يضع أهدافاً أخرى إلى جوار الله فى قلبه، بل يكون الله هو هدفه الوحيد، ويرفض ما عداه .

لقد مضى الشاب الغنى حزيناً ، لأن محبة المال كانت تكمن فى قلبه إلى جوار الله، على الرغم من أنه كان يحفظ الوصايا منذ حداثته !

ولكى يبقى الله وحده فى قلبك ، قال الرب :

"لا يقدر أحد أن يعبد ربين ، أو يخدم سيدين" .

لذلك نجد قديساً مثل أبينا ابراهيم، لم يسمح لأية محبة أن تفصله عن محبة الله، حتى المحبة الطبيعية لإبنه الوحيد، الذى يحبه، اسحق . فلما صدر له الأمر الإلهى بتقديم هذا الإبن محرقة، بكر أبراهيم صباحاً جداً، وأخذ ابنه مع الحطب والسكين .. (تك٢٢: ٣).

✠ ✠ ✠

ولكن لعله من الأمور المحزنة، أن نجد بعض الأمور المقدسة، يمكن أن تفصل الإنسان من الله، إذا تحولت إلى هدف بدلاً من الله، وكسرت وصايا الله بسببها ؟!

لقد اشتهى أبونا يعقوب شهوة صالحة هى البكورية والبركة . ولكن إذ تحولت هذه الشهوة المقدسة إلى هدف فى قلبه، بينما كان يجب أن يكون الله هو الهدف الحقيقى، حينئذ لكى يصل يعقوب إلى هدفه لجأ إلى الكذب والخداع وتضليل أبيه الذى فقد بصره! وفى كل هذا الخداع لم يكن الله أمامه ...

✠ ✠ ✠

مثال ذلك أيضاً ، من يفقدون الله بحجة الدفاع عن العقيدة !

وفى سبيل العقيدة ، يلجأون إلى الشتائم والقسوة والصراعات الدامية، ويخطئون فى القول وفى المشاعر وفى الوسائل . ويمتلئون بالحقد والكراهية نحو مخالفتهم فى الإيمان! وفى كل ذلك لا يضعون الله أمامهم، لأن الله محبة . وهكذا فعل الأريوسيون الذين اتهموا القديس أثناسيوس ظلماً، وتسببوا فى نفيه أكثر من مرة !

بل قد يتحول الإيمان عند البعض إلى هدف، وينفصل عن الله !

وقد يكسرون كل وصايا الله ، للوصول إلى هذا الهدف !!

ليس الدفاع عن الإيمان خطأ، بل هو فضيلة! ولكن الخطأ هو فقدان الله كهدف ،

وجعل الدفاع عن العقيدة هدفاً ، مع وسيلة خاطئة ، تفقد الله خلالها !

✠ ✠ ✠

من هذا النوع أيضاً ، الذين من أجل الله يخدمون ، ثم تتحول الخدمة إلى هدف ، ينسون فى سبيله الله !!

وإذا بالخدمة تتحول إلى ساحة عراك، يتبادل فيها الخدام الإتهامات والخصومات، وتصبح الخدمة مجالاً للعداوة ، ويفقد الخدام نقاوة القلب وصفاءه ، ذلك لأن الخدمة أصبحت هدفاً منفصلاً عن الله، وعن وصايا الله، وعن عشرته !!

ولهذا السبب نجد كثيراً من الأجواء الدينية غير صافية، فيها الخصام، وفيها الغضب، وفيها الشتائم ، وفيها البعد عن الروحيات، وليست هى – كما أرادها الله– صورة له .

ويتحول الدين إلى مذهبية ، وتتطاحن المذاهب ..!

وفى كل هذا نبحث عن الله فلا نجده، ونبحث عن صورة الله فى الإنسان فلا نجدها، لقد اختفى الله كهدف .

✠ ✠ ✠

لا تظنوا أن الشيطان يعمل فقط فى دور الملاهى ..؟

بل يمكنه جداً أن يدخل إلى دور العبادة ويعمل . ويمكنه أن يحفظ آيات الكتاب المقدس ويجادل فى اللاهوتيات، ويلبس ملابس علماء الدين، ويقدم صنوفاً من البدع والهرطقات..! ويمكنه بهذا أن يحول المجال الدينى إلى شعلة من نار .. لخدمته !

وهكذا تصير الخدمة هدفاً ، بدلاً من الله ، فيخطئ الخادم ...

كذلك يمكن أن تتحول الخدمة إلى مجال لظهور الذات .

من يكون الأول ؟ .. ومن يكون الرأس ؟ من يدير ، ومن يدبر، ورأى من يكون الأفضل؟.. ويمكن أن تصبح الخدمة مجالاً للشهرة، ومجالاً للشعبية، مجالاً للظهور.. وفى كل ذلك يبدو أن هدف الخادم قد تحول. فبعد أن كان هدفه هو الله، أصبح هدفه هو (الذات) .

✠ ✠ ✠

لذلك عليك أن تفحص نفسك باستمرار :

هل تحول الهدف عندك ؟ هل ما يزال الله هو هدفك ؟ ما مركز الله فى حياتك ؟

هل الله يملأ حياتك؟ أم فى علاقتك مع الله، هناك فراغ داخلك تحتاج أن تملأه برغبات أخرى؟ هل الله يشبعك، ومعه لا يعوزك شئ ؟ هل أنت شبعان بالله؟ وهل هو

بالنسبة إليك كل شئ، أم هو بعض من أهداف ورغبات عديدة فى داخلك؟ هل خيرات الله هى التى تسعدك، أم الله ذاته ؟

احترس لحياتك . فما اسهل أن يتركك الشيطان تسير فى طريق اللـه، وتصلـى وتخـدم الله، وتقرأ الكتاب وتعظ وتبشر. ثم يدخل إليك الذات. وإذا بهذه الوسـائط المقدسـة تتحـول إلى أهداف، أو إلى وسائط لإرضاء الذات! ولا يصبح لله وجود حقيقى فى حياتك؟!

وإذا بك فى مجال العمل الروحى تنظر إلـى ذاتـك، مـاذا أنـت؟ ومـاذا تصـير؟ ومتـى تصير؟ وكيف، ومن يعترضك؟ وكيف تقوى عليه؟ وإذا بكلمة (أنـا) تشـغل وقتـك وفكـرك وقلبك! ليتك تقف وتسأل : ما مركز الله فى حياتك؟ هل لا تزال (الأنا) تخفيه؟

هناك من يخدم فى الكنيسة من أجل محبته لله، ثم تجرفه المشاغل فلا يجد وقتاً لله. ثم تصبح الخدمة له هى كل شئ، وينسى الله. وحينئذ يجف ويذبل، فاقداً هدفه !

✠ ✠ ✠

أما أنت فتمسك بالرب، وارجع إلى محبتك الأولى .

وليصبح الرب محبوباً فى فمك ، تغنى له فـى كـل يـوم أغنيـة جديـدة. ويصبـح الـرب سبب خفقات قلبك، يكون هو أحلامك بالليل وآمالك بالنهار، بل هو حياتك كلها .

إجلس إذن إلى نفسك ، وناقشها ، وصحح وضعك ...

أنظر : هل الله هو هدفك ، أم وسيلة تحقق أهدافك .

هل تصلى إليه لكى يعطيك ما ترغب؟ أم أنه هو كل ما ترغب؟ هـل تطلبـه ليسـاعدك كى تحيا حياتك، أم أنه هو حياتك؟ كما قال بولس الرسول "لى الحياة هى المسيح" (فى١: ٢١) "أحيا لا أنا بل المسيح يحيا فىّ" (غل٢: ٢٠).

✠ ✠ ✠

ما هو الله بالنسبة إليك؟ وماذا كان بالنسبة للقديسين ؟

تسأل داود النبى الذى كان رجل قتال وحـروب عـن سـبب قوتـه فـى الحـروب فيقـول "قوتى وتسبحتى هو الرب. وقد صار لى خلاصاً" (مز١١٧) .

وتسأل قديسين عن الرب فإذا هو المعلم ، وهو الراعى ، وهو الطبيـب، وهـو الرفيـق والصديق والمحب، والغاية، والوسيلة، وكل شئ ..

هو الذى يقاتل عنكم وأنتـم تصمتـون (خر١٤: ١٤). وهـو الـذى يتكلـم علـى ألسـنتكم حينما تنطقون (مت١٠: ٢٠). وهو الذى يشفع فيكم، وهو الذى يغذيكم. هو الأصـل وأنتـم

الأغصان (يو١٥: ١- ٣). هو العريس وأنتم العروس (مت١٥: ١، ٢). هو الخبز الحى النازل من السماء (يو٦).. هو كل شئ لكل أحد .

هذا هو الله فى حياتك ، إن كنت قد ذقت ونظرت ما أطيب الرب (مز٣٤)، إذ ليس له شبيه بين الآلهة .

✠ ✠ ✠

إننا لا نؤمن فقط بإله الكتب أو إله السماء، إنما نؤمن بالأكثر بهذا الإله الذى يعيش معنا ليل نهار ... الذى يحيا فينا (غل٢: ٢٠) .

"هذا الذى رأيناه وسمعناه ولمسته أيدينا .." (١يو١: ١).

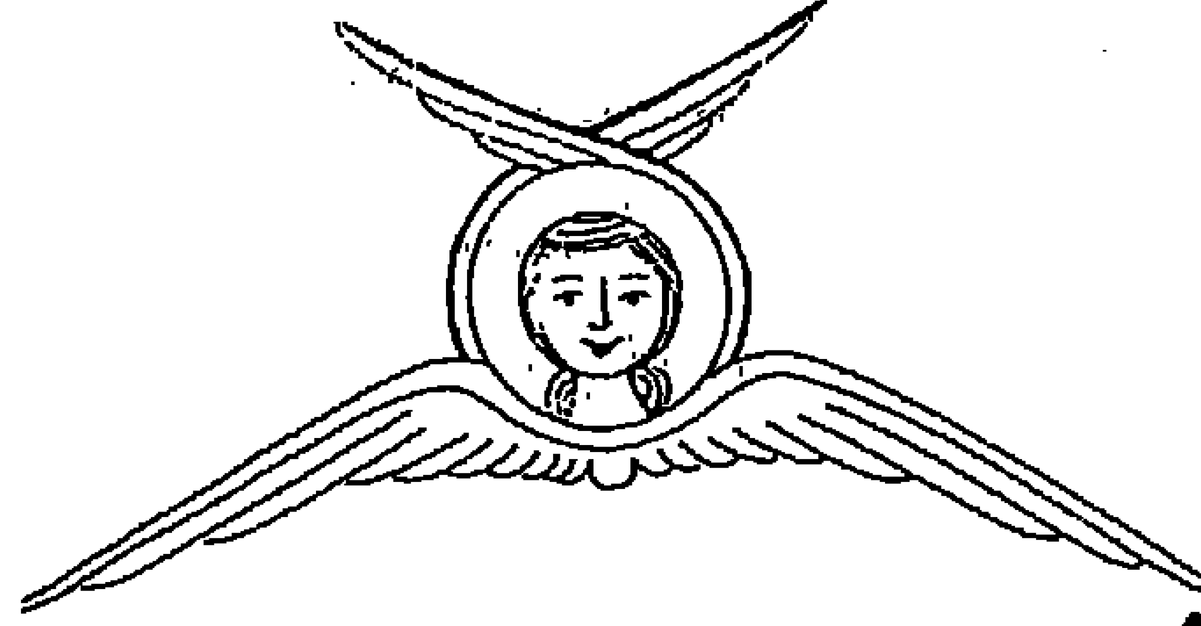
نحن لا نعبده لكى يوصلنا إلى النعيم الأبدى، فالله هو وحده نعيمنا الأبدى، هو "ما لم تره عين، ولم تسمع به أذن، وما لم يخطر على قلب بشر" (١كو٢: ٩) . ذلك لأن المتعة به فى الأبدية لم تراها عين بعد ...

هنا أسأل سؤالاً : هل الله داخلك ، أم خارجك ؟

هل تبحث عنه فى الكتب؟ هل تبحث عنه فى أمكنة معينة؟ إذن استمع إلى النبوءة ، إن قالوا لكم هوذا هو ههنا أو هناك، فلا تصدقوا" (مت٢٤: ٢٦) إنه فى الداخل، فى قلبك ...

لقد بحث عنه أوغسطينوس فى الفلسفة والعلم والكتب ، ولم يجده ثم وجده أخيراً فى قلبه ، فقال آسفاً " لقد كنت يارب معى، ولكننى من فرط شقوتى لم أكن معك " .





لاشئ إلى جوار الله

كل إنسان يبحث عن السعادة، ولسعادته مصدر أو مصادر .

أما الشخص الروحى ، فسعادته مركزة فى الله وحده، هو مصدرها. وكلما سما الإنسان فى الروحيات ، يصل إلى وضع ، يكتفى فيه بالله، فيشبع الله حياته، بحيث لا يحتاج معه إلى أى عزاء بشرى، أو عزاء عالمى، أو عزاء مادى. ويصير الله بالنسبة إليه هو الكل فى الكل .

إحدى الخطايا التى وقع فيها آدم وحواء ، أنهما بحثا عن مصدر السعادة خارج الله، فظنا أن السعادة تكون فى المعرفة ، معرفة الخير والشر، أو تكون فى العظمة والكبرياء، فلم يكتفوا بالله ...

✠ ✠ ✠

وهذه طريقة الشيطان ، فى محاولته أن يتلف نقاوة أى قلب، أن يدخل إليه هدفاً غير الله، أو رغبة أخرى .

وكما قدم لآدم وحواء ، الثمرة والمعرفة، قدم للمسيح رغبات أخرى: كل ممالك الأرض وسلطانها، عظمة حمل الملائكة له، الخبز.. ولكن المسيح رفضها كلها. كان مكتفياً بالآب .

إن الرغبات هى اللعبة التى كثيراً ما يلعب بها الشيطان فى محارباته .

فما الذى يفرحك أنت ويسعدك، الله أم رغبات أخرى ؟ وهل يمكنك الإكتفاء بالله، أم تضيف إليه شيئاً .

إن القديسين الذى عاشوا فى البرارى والقفار وشقوق الأرض، فى وحدة كاملة، كانت سعادتهم فى الله وحده، لا يشعرون بحاجتهم إلى شئ آخر إلى جواره، حقاً إن القلب المرتفع فوق مستوى الرغبات، هو حصن لا ينال .

فإن قدم الشيطان رغبة للإنسان مستقلة عن الله ، يبدأ أن يعكر صفو قلبه، ويفقده سلامه ، ويحاول أن تحتل الرغبة القلب المخصص لله ...

أما أنت فهل هدفك هو الله، أم لك هدف آخر ؟

أم أصبح الله بالنسبة إليك وسيلة تحقق أهدافاً أخرى ؟

كثيرون لا يرون الله إلا وسيلة توصلهم إلى رغباتهم. حينما يصلون، يقدمون رغبات كثيرة، يطلبون من الله أن يحققها لهم، دون أن يكون الله هو رغبتهم الوحيدة .

متى يصلى الإنسان ويقول : أريدك أنت يارب ، وليس سواك.

كما سبق داود وصلى قائلاً : "طلبت وجهك ، ولوجهك يارب ألتمس. لا تحجب وجهك عنى" (مز٢٧: ٨، ٩) .

هل هناك هدف فى قلبك إلى جوار الله؟ قد جعلته بمحبتك له بديلاً لله؟ هل دخل شئ جديد إلى قلبك؟

✠ ✠ ✠

ما مشكلة اليهود بالنسبة إلى المسيح؟

لم يكن المسيح هو هدفهم ، إنما كان هو الوسيلة التى توصلهم إلى الحكم والإستقلال وإرجاع إمبراطورية داود وسليمان . مجرد وسيلة تخلصهم من الحكم الأجنبى، لذلك لما رفض المسيح أن يصير ملكاً، خابت آمالهم فيه، وبدأوا يتآمرون على صلبه ...

يهوذا عاش مع المسيح ، ولكن المسيح لم يكن هدفه، وإنما كانت له رغبات أخرى غير المسيح الذى عاش معه ...

✠ ✠ ✠

أما القديسون الذين كان الرب هو هدفهم، فإنهم إستطاعوا أن يتركوا كل شئ من أجله.. أنظروا إلى بولس الرسول كيف قال "خسرت كل الأشياء وأنا أحسبها نفاية لكى أربح المسيح" (فى٣: ٨) وبطرس الرسول فى قوله للرب "تركنا كل شئ وتبعناك" (مت١٩: ٢٧) ..

ابراهيم أبو الآباء، لأن هدفه كان هو الله وحده، فإنه لم يجد صعوبة فى إطاعة أمر الرب لما قال له "أترك أهلك وعشيرتك وبيت أبيك، واذهب إلى الجبل الذى أريك إياه" (تك١٢: ١). ولكن لما دخلت محبة النسل إلى قلب ابراهيم واشتهاها كشهوة ، فإنه حينئذ لجأ إلى الطرق البشرية، إلى هاجر (تك١٦: ٣، ٤) وقطورة (تك٢٥: ١).

ولما رآه الله متعلقاً بالنسل، قال له "خذ إبنك وحيدك الذى تحبه نفسك اسحق وقدمه لى

محرقة (تك٢٢: ٢).. ولكنه لما نجح فى هذا الإمتحان منحه الرب النسل كنجوم السماء ورمل البحر .

✠ ✠ ✠

يا ليت كل إنسان يفتش نفسه ليعرف ما الذى يوجد فى قلبه إلى جوار الله أو بديلاً عن الله. وهل هذه رغبات أم أهداف. وهل يملك عليها أم تملك عليه .

لوط كان يعيش مع ابراهيم ، فى حياة الغربة والعبادة، الخيمة والمذبح. ولكن دخلت إلى قلبه رغبة الأرض المعشبة ، ليصير له غنم كثير ، حينئذ اختار أرض سادوم، وبدأ يفقد روحياته، وأخيراً خرج من سادوم بلا شئ. وفقد كل شئ اقتناه ...

الأرض المعشبة صارت الهدف الأول ، وصار الله فى المركز الثانى، لذلك خسر كل شئ.. العشب، والأغنام، وزوجته وأملاكه وأصهاره ..

✠ ✠ ✠

سليمان الحكيم ، دخلت الرغبات إلى قلبه، ومهما اشتهته عيناه لم يمنعه عنهما (جا٢: ١٠).. وأخيراً كادت تضيعه . ثم افتقده الرب فشعر أن الكل باطل وقبض الريح (جا١)..

✠ ✠ ✠

إن الله يعطى درساً للناس كل يوم بذكرى الموت ...

كلما يموت إنسان ، يرون إنه خرج من العالم بلا شئ . ترك كل ما اقتناه ، وكل من حوله ، وكل ما يحبه . بل ترك العالم كله، ليقف أمام الله ...

أنطونيوس الشاب الغنى ، تعلم الدرس من موت أبيه، فهل نتعلم نحن أيضاً كلما نسمع عن موت إنسان ...

نتعلم أن العالم يبيد وشهوته معه ، كما يقول الكتاب (١يو٢: ١٧) .

موسى النبى كسر كل رغبات العالم وآماله ومغرياته، حينما ترك قصر فرعون، "وحسب عار المسيح غنى أفضل من كل كنوز فرعون" (عب١١: ٢٦). كان الله بالنسبة إليه هو الهدف، وليس الغنى والإمارة" لذلك سهل عليه أن يترك كل تلك الأمور العالمية .

✠ ✠ ✠

إن الشيطان يحرص جداً أن يجعل للإنسان هدفاً غير الله، حتى فى أمور الخدمة والصلاة .

قد تبدأ الخدمة ، ويتركك الشيطان تخدم، ولكنه يشترك معك، ويقدم لك نصائحه. وربما باسم الأمانة فى الخدمة، يجعلك تنهمك فى الخدمة إنهماكاً لا يبقى لك فيه وقت

للصلاة والتأمل والقراءة الروحية .. ثم ما يلبث باسم الغيرة المقدسة، أن يجعلك تنتقد وتدين وتغضب وتثور وتتخاصم مع غيرك وتتحارب .. ويكون الشيطان قد وصل إلى غرضه مع تركك فى الخدمة .. المهم أن الله لم يعد كل شئ بالنسبة إليك .

بدأت الخدمة وسيلة توصل إلى الله ، ثم تحولت إلى هدف .

✠ ✠ ✠

وفى الصلاة أيضاً نفس الوضع .

قد يصلى إنسان، ومن حرارة صلاته ، يسبح فى تأملات روحية جميلة. ولا يسهل على الشيطان أن يمنعه عن الصلاة . ولكنه يمدح عمق تأملاته ، ثم يقنعه بأن هذه التأملات نافعة للخدمة . ومن الخسارة عدم تسجيلها ، لئلا تنسى. فإذا به يترك الصلاة، وينشغل بتدوين التأملات. ويترك الله ويهتم بالخدمة وبالمعرفة .. وتصبح الخدمة هى الهدف، والله فيما بعد !!

✠ ✠ ✠

إن خطة الشيطان هى أن يقدم لك بدائل عن الله .

وعلى قدر إمكانه يحرص أن تكون البدائل مقبولة منك ...

بالنسبة إلى الخاطئ ، يقدم له شهوات العالم . **وبالنسبة إلى البار** ، يقدم له إنهماكات الخدمة ، ومطالب العمل داخل الكنيسة ، حتى ينسيه الله ، ونفسه ...

الإبن الضال ، قدم له الشيطان محبة الحرية ، والمال، والميراث والتمتع مع أصدقائه فى عيش مسرف. أما الإبن الأكبر ، الذى كان يخدم أباه سنين هذا عددها، ففى إنهماك الخدمة، أبعده عن عشرة الآب ومحبته ...

✠ ✠ ✠

الإنسان العاقل يفحص نفسه بين الحين والآخر ، ليعرف أين هو سائر.. كما كان يفعل القديس أرسانيوس.. ويفحص ما هو مركز الله فى حياته ، وهل هو الكل فى الكل، أم قد نسيته النفس وسط المشغوليات ...

سعيد هو الإنسان الذى يحتفظ بالله. كالهدف الوحيد فى حياته ، ويجد لذة فى الله، ولا يتخذه وسيلة موصلة لرغباته ...

إن الآية التى تقول "يا ابنى اعطنى قلبك" تكملها الآية التى تقول "تحب الرب إلهك من كل قلبك" (تث٦: ٥) ..

وغلطة الكثيرين، أنهم مع اعترافهم بأن القلب لله، لا يقدمونه كله، إنما يضعون فيه

الكثير إلى جوار اللـه.. أنـواع محبـات تنـافس اللـه.. وقـد تـأتيهم محبـة خاطئـة فـى ثـوب فضيلة.. أو تأتيهم المحاربة بأسلوب تدريجى لا يشعرون به .

✠ ✠ ✠

احترس من الأهداف الجانبية ، فى حياتك الروحية :

اهتم بالتقييمات ، لأنها تحدد تصرفاتك .

لو جعلت تقييمك للصلاة ، أهم من تقييمك للعمـل أو الخدمـة، لوضعتهـا فـى مكانتهـا اللائقة، واهتممت بممارستها ، غير معتذر بالوقت أو المشغوليات . إن مثل هذا الإعتـذار، يعنى أنك تضع هذه المشغوليات فى تقييم أكبر ...

وقد تكون (الذات) فى المكانة الأولى بالنسبة إلى الإنسان، وحينئـذ تقـود تصرفاتـه فـى طريق خاطئ .

حاول أن تعدل وتغير تقييماتك فى شتى أمور الحياة .

قد تقول إنك لا تجد وقتاً للصلاة، أو تصلى وأنت سـائر فـى الطريـق، ذلـك لأن تقييـم خشوع الصلاة لم يأخذ مركزه فى حياتك .. وفى صلاتك ..

أما إذا تولى عدو الخير هذا التقييم ، فإنه يربك حياتك ...





اللــه هـو الأول والآخـر

هكذا قال الرب فى سفر الرؤيا "أنا هو الألف والياء، الأول والآخـر" "البدايـة والنهايـة" (رؤ١: ١١، ٨، ١٧) "أنا الألف والياء، البداية والنهاية، الأول والآخر" (رؤ٢٢: ١٣) .

وهكذا قال أيضاً فى سفر اشعياء النبى "أنا الأول والآخر، ولا إله غيرى" (أش٤٤: ٦) (أش٤٨: ٦). وفسّر ذلك بقوله "قبلى لم يصوّر إله، وبعدى لا يكون" (أش٤٣: ١١) .

حقاً إنه الأول . هو العلة فى وجود كل الكائنات، لأنــه الخـالق الـذى أوجد الكل. ولا يوجد قبله أى كائن آخر، لأن "الكل به كان، وبغيره لم يكن شئ مما كان" (يو١: ٣) .

كل مخلوق يوجد قبله الخالق الذى خلقه . لذلك لا يمكن لأحد أو لشئ من المخلوقـات أن يدعى أنه الأول . فالخالق هو الأول .. الأزلى .

كل هذا من ناحية اللاهوت ، فى الحديث عن لاهوت الله وأنــه خـالق لكـل، الـذى فـى الأزل وحده، قبل أن يوجد أى شئ وأى شخص .

✠ ✠ ✠

ولكنى أريد هنا أن أطرق هذا الموضوع من الناحية الروحية ...

وكيف يكون الله هو الأول فى حياتنا .

كيف تكون لله الأولوية ، من جهة الوقت، والأهمية . فهكذا طلب الله . .وواضــح هـذا الأمر فى كل وصاياه .. وسـنضرب أمثلـة عديـدة لإثبـات أن اللـه هـو الأول ، ويجـب أن يكون هكذا .. وأن كل خطية نرتكبها ، سببها أننا لم نضع الله أولاً فى كل تصرفاتنا .

✠ ✠ ✠

فى الوصايا العشر ، الله هو الأول .

الوصايا الخاصة بالله هى الأولى. هى الأربع وصايا الأولى التى كتبت فى اللوح الأول. وهى الخاصة بعبادة الله، وعدم النطق باسمه باطلاً، وبتقديس يوم الرب (خر٢٠) (تث٥).

أما الوصايا الست الباقية، التى كتبت فى اللوح الثانى، فهى الخاصة بالعلاقات البشرية: وتبدأ بإكرام الوالدين، ثم لا تقتل، لا تزن، لا تسرق، لا تشهد بالزور، لا تشته ما لقريبك.

كذلك فى الصلاة الربية ، الله أولاً .

الطلبات الأولى كلها لله : ليتقدس إسمك ، ليأت ملكوتك ، لتكن مشيئتك.. ثم بعد ذلك نطلب من أجل أنفسنا .. (مت٦: ٩- ١٣) (لو١١) .

✠ ✠ ✠

ونفس الأمر بالنسبة إلى المحبة : محبة الله أولاً .

الوصية الأولى العظمى "تحب الرب إلهك من كل قلبك، ومن كل نفسك، ومن كل فكرك، هذه هى الوصية الأولى والعظمى . والثانية مثلها : تحب قريبك كنفسك" (مت٢٢: ٣٧- ٣٩). وقال الرب فى تفصيل ذلك : "من أحب إبناً أو ابنة أكثر منى فلا يستحقنى.." (مت١٠: ٣٧).. بل حتى الحياة نفسها ، لا تحبها أكثر من الله ، لأنه هو الأول . لذلك قال الرب "من وجد حياته يضيعها . ومن أضاع حياته من أجلى يجدها" (مت١٠: ٣٩) .

✠ ✠ ✠

وفى الطاعة قال الكتاب "ينبغى أن يُطاع الله أكثر من الناس" (أع٥: ٢٩) .

فالله أولاً . كل أمر من أى إنسان كان، يخالف وصايا الله ، ينبغى عدم طاعته . والله يُطاع حتى أكثر من العواطف البشرية الطبيعية الإنسانية . لذلك لما أمر الله أبانا ابراهيم أن يقدم ابنه وحيده الذى يحبه اسحق ، محرقة .. لم يتردد إطلاقاً . بل ذهب لينفذ الأمر.. الله أولاً . أما عواطفه وابنه ، فهى فى المكان الأخير بالنسبة إلى الله ...

✠ ✠ ✠

هناك امثلة أخرى من قديسى الكتاب ، تضع الله أولاً :

موسى : كان أميراً ابن ابنة فرعون ، يعيش فى القصر الملكى. ولكن قيل عنه إنه "أبى أن يُدعى ابن ابنة فرعون، مفضلاً بالأحرى أن يُذل مع شعب الله .. حاسباً عار المسيح غنى أعظم من خزائن مصر" (عب١١: ٢٤، ٢٥) . لقد وضع الله أولاً. والقصر والمال والعظمة أخيراً، بل كلا شئ .

المعمدان : كان يرفض كل مديح يوجه إليه ، موجهاً الانتباه كله إلى المسيح ، قائلاً عبارته الخالدة "ينبغى أن ذاك يزيد، وأنى أنا أنقص" (يو٣: ٣٠) . وكان يقول عن المسيح "يأتى بعدى، من كان قبلى. الذى لست مستحقاً أن أنحنى وأحل سيور حذائه" (مت٣: ١١) (يو١: ٣٠) .

حنة أم صموئيل : هذه التى أعطاها الله ابناً بعد عقم طويل، وبعد صلاة وبكاء ومذلة. ولكنها فضلت الله على نفسها، وتركته عارية للرب، يخدم الهيكل (١صم١: ٢٧، ٢٨). وهى مثال للإهتمام بالتكريس، سيرتها توبخ كل أم تبخل بابنها، وكل زوجة تبخل بزوجها، ليكون مكرساً للرب .

✠ ✠ ✠

ومن الأمثلة ليكون الله هو الأول : وصية البكور .

حيث قال الرب منذ القديم "قدّس لى كل بكر، كل فاتح رحم.. من الناس ومن البهائم . إنه لى" (خر١٣: ٢) . وشملت وصية البكور أيضاً كل نتاج الأشجار والحقل . أول ثمر لله . وحالياً يمكن أن تنطبق الوصية على أول مرتب ، وأول علاوة .

والله أولاً فى العشور :

الإنسان الروحى لا يجعل نصيب الله فى ماله فى آخر القائمة ، بعد أن يوفى كل مصروفاته . بل يخصم العشور أولاً ويسلمها لله . ثم بعد ذلك يدبر باقى احتياجاته ، حتى لو كان معتازاً . ولقد طوّب الرب الأرملة التى دفعت من أعوازها، وقال إنها دفعت أكثر من الكل (مر١٢: ٤٤) . لأنها جعلت الله أولاً .

✠ ✠ ✠

ومن أعظم الأمثلة فى منح الأولوية لله: الشهداء .

هؤلاء الذين من أجل الله قدموا حياتهم ، وتحملوا كل صنوف الآلام والتعذيب ، واضعين فى ذهنهم أن الإيمان بالله يكون أولاً، قبل الحياة وقبل الراحة .

كذلك الخدام الأمناء الذين تعبوا فى الخدمة .

مثال ذلك القديس بولس الرسول الذى قال "خسرت كل الأشياء وأنا أحسبها نفاية، لكى أربح المسيح وأوجد فيه" (فى٣: ٨، ٩) . وهكذا كان فى الأتعاب أكثر، فى الضربات أوفر، فى السجون أكثر، فى الميتات مراراً كثيرة.." (٢كو١١: ٢٣) . المهم أن يكون الرب أولاً، والشهادة لإسمه أولاً. أما نفسه وراحته وسمعته .. فلا شئ ...

✠ ✠ ✠

الأولوية لله تعطى أيضاً بالنسبة إلى الوقت .

فنحن نقدم أول الأسبوع (يوم الأحد) لله . هو يوم الرب . وأول ساعة من اليوم هى لله . وأول من نكلمه كل يوم يكون هو الله نفسه ، الذى يأخذ بكور الوقت أيضاً . هو الذى خاطبه داود النبى فى المزمور قائلاً "يا الله إلهى ، إليك أبكر. عطشت نفسى إليك"

(مز٦٣: ١) "سبقت عيناى وقت السحر، لأتلو فى جميع أقوالك" (مز١١٩) ... وهكذا تكون الصلاة قبل كل عمل .

✠ ✠ ✠

ليتنا نجعل الصلاة أولاً ، والكلام مع الله أولاً .

نبدأ الطعام بالصلاة ، وننهيه بالصلاة ، فالله هو الأول والآخر . نصلى قبل أن نخرج من بيوتنا ، ونصلى عندما ندخلها . قبل أن نتكلم مع أى أحد، نصلى أن يعطينا الله كلمة عند افتتاح أفواهنا . وفى الختام نصلى شاكرين الله . نصلى عند لقائنا مع الناس، وعند دخولنا إلى مكان العمل. لأن الله ينبغى أن يكون أولاً. وهكذا نختم به يومنا، بالصلاة قبل النوم . فالله هو الأول وهو الآخر .

✠ ✠ ✠

فى الصوم أيضاً ، نجعل الله أولاً :

لا نجعل الأولوية للتفكير فى الصحة واحتياجات الجسد ، وما نلتذ به من الطعام ومذاقته . إنما نضع الله أولاً، الذى نلتقى به أثناء الصوم فى عمق أكثر . ونضبط أنفسنا، لكى تنضبط أيضاً فى علاقتها مع الله .

إن الإنسان البار يضع الله أولاً ، والناس ثانياً ، ونفسه أخيراً .

✠ ✠ ✠

عكس ذلك أخطأ من جعل غير الله أولاً .

لوط : فضل الأرض المعشبة على الله ، وعلى صحبة ابراهيم والمذبح . وعاش فى بيئة سيئة لا تمجد الله ، فى سادوم . وقال عنه الرسول "كان البار بالنظر والسمع – وهو ساكن بينهم – يعذب يوماً فيوماً نفسه البارة بالأفعال الأثيمة" (٢بط٢: ٨) . وهكذا خسر كل شئ، وخرج منها بلا شئ، بشفاعة أبينا ابراهيم .

الرجل الغنى الغبى ، وكذلك الغنى الذى عاصر لعازر المسكين، وأمثالهما

جعلوا المال أولاً ، فخسروا الأبدية.. ووبخ الرب ذلك الغنى المهتم بمخازنه وأمواله بقوله "هذا الذى أعددته لمن يكون" (لو١٢: ٢٠) . وغنى لعازر وبخه أبونا ابراهيم بقوله "استوفيت خيراتك على الأرض" (لو١٦: ٢٥) .

كذلك يونان : الذى جعل كرامته أولاً . ونفاذ كلمته أولاً . ولم يفرح بملكوت الله كيف ينتشر بتوبة نينوى ولو سقطت كلمته (يون ٤).

كذلك كل من يخضع لشهواته ورغباته .

ويفضل هذه الشهوات على الله والمتعة معه . كما فعل آدم وحواء بالأكل من الشجرة ومخالفة وصية الله . وكما فعل سليمان باتخاذه نساء غريبات كن السبب فى إبعاده عن الله (امل١١) . وكذلك فى حياته حياة الترف التى قال فيها "ومهما اشتهته عيناى، لم أمنعه عنهما" (جا٢) .. فبعدت عنه حكمته ومعرفته لله ، إلى أن تاب أخيراً ، وعزف أن الكل باطل وقبض الريح .

✠ ✠ ✠

كذلك وقع فى نفس السقطة من اشتهوا الأولوية لأنفسهم .

التلاميذ، حينما فكروا من فيهم يكون الأول..!! فوبخهم الرب على ذلك. ووبخهم أيضاً قول المرتل فى المزمور "ليس لنا يارب ليس لنا. ولكن لإسمك القدوس أعطِ مجداً" (مز١١٥)

لا نركز إذن على أنفسنا ، وعلى محبة الرئاسة : من يدير ، ومن يدبر، ومن يرأس؟! إنما نركز على ملكوت الله ... **وهكذا علمنا الرب إنكار الذات فى السير وراءه .**

فقال "من أراد أن يتبعنى ، فلينكر ذاته ، ويحمل صليبه، ويتبعنى" (مت١٦: ٢٤).

لا تجعل الله هدفاً لتحقيق رغباتك .

ولا تكن صلاتك لهذا الغرض : رغباتك أولاً، والله هو الوسيلة لتحقيقها !! كلا ، فليست هذه هى روحانية الصلاة . إنما كما قال الرب "اطلبوا أولاً ملكوت الله وبره، وكل هذه تزاد لكم" (مت٦: ٣٣) .

✠ ✠ ✠

الذى يجعل الله أولاً ، يتطور إلى أن يجعله الكل .

فهو لا يريد سوى الله وحده ، كما قال المرتل "ومعك لا أريد شيئاً على الأرض" (مز٧٣: ٢٥) "أما أنا فخير لى الإلتصاق بالرب" "نصيبى هو الرب قالت نفسى" .

✠ ✠ ✠

الله هو الأول ، وهو أيضاً الآخر .

الحياة معه هى العمل الذى نبتدى به ، وهو الهدف الذى ننتهى إليه .

الله هو بداية حياتنا الروحية ، إذ قد آمنا به وولدنا منه فى المعمودية. وهو النهاية التى ننتهى إليها، حيث نكون معه فى الأبدية السعيدة (يو١٤: ٣) (رؤ٢١: ٣) .

بل فى كل يوم من أيام حياتنا ، يكون هو الأول والآخر . نبتدئ به اليوم، حيث يكون أول من نكلمه فى يومنا . وننهى به يومنا ، ويكون آخر من نتحدث إليه فيه .

ليكن إسم الرب مباركاً من الآن وإلى لأبد .



كلمة الله إليك

كل إنسان تصله كلمة الله ، كلمة الله الخاصة به هو .

"الله كلم الآباء بأنواع وطرق شتى " (عب١: ١) .

كلم موسى من العليقة (خر٣) ، فى وقت لم يكن يتوقع فيه إطلاقاً أن تصله كلمة الله، وبهذه الصورة .. وأحياناً كان يكلمه من خيمة الإجتماع ، أو من على الجبل .

وهكذا كلم شاول الطرسوسى "فى الطريق" ، فى وقت غير متوقع (أع٩) .

ولقد كلم الرب ، حتى الخطاة غير المستحقين .

مثلما كلم قايين بعد قتله لهابيل (تك٤: ٩- ١٥)، ومثلما كلم بلعام الذى أضل شعب إسرائيل كله (عد٢٢: ٩، ١٢).

وكانت كلمة الله للبعض مباشرة ، وللبعض غير مباشرة .

فقد كلم الرب آخاب الملك الشرير عن طريق إيليا النبى (١مل٢١: ١٧- ١٩)، وكلم عالى الكاهن عن طريق صموئيل (١صم٣: ١٠- ١٤)، وكلم هيرودس عن طريق المجوس (مت٢)... وكلم كثيرين بطريق مباشر .

وكلم الرب أنواعاً من الناس، حتى الأطفال .

كلم صموئيل الطفل ، ولما لم يدرك كلمة الرب إليه، كرر الكلام إليه مرتين وثلاثاً. وكذلك كلم أرميا الصبى، وهو لا يعرف أن يتكلم لأنه ولد (أر١: ٤- ١٩)..

✠ ✠ ✠

وكانت كلمة الرب متنوعة الأغراض والأهداف .

كلم أرميا ليوجه إليه الدعوة للخدمة، وكذلك شاول الطرسوسى، وكلم موسى النبى لينقل الشريعة إلى الناس، وكلم ابراهيم مرة ليجربه، ومرة ليخبره بعزمه على حريق سادوم، ومرات أخرى.. وكلم قايين ليوقع عليه عقوبة، وكلم المجوس ليحذرهم من هيرودس ...

مهما تعددت الأغراض ، هناك كلمة يوصلها الله لكل إنسان ، تحمل رسالة الله إليه، فما هى رسالة الله إليك ...

الله يجول يصنع خيراً ، يرسل كلماته إلى الناس ، يلقى بذاره على كل الأراضى ، حتى على الأرض المحجرة ، والأرض المملوءة شوكاً (مت١٣).. يلقى كلمته ، ويترك سامعها لإرادته .

✠ ✠ ✠

وكثيرون من الذين وصلت إليهم كلمة الله ، لم يقبلوها :

الشاب الغنى سمع كلمة المسيح إليه ، فمضى حزيناً لأنه كان ذا أموال كثيرة (مت١٩: ٢٢). وآخرون سمعوا كلمة الرب فاعتذروا عن تلبيتها، البعض بسبب أنه اشترى خمسة أزواج بقر، والآخر إذ كان قد اشترى حقلاً، والثالث لأنه كان قد تزوج (لو١٢: ١٨-٢٠).

الله يرسل الكلمة، وهذه الكلمة وصلت للكل، لم يحرم منها أحداً ، حتى يهوذا الخائن وصلته كلمة الله أكثر من مرة ...

✠ ✠ ✠

جميلة هى عبارة "وكانت كلمة الرب إلى إيليا" (١مل١٨: ١).. كانت إليه هو بالذات، وليست إلى باقى الناس .. كلمة خاصة .. كذلك ما أجمل قول الرب لسمعان الفريسى "لى كلمة، أقولها لك" (لو٧: ٤٠).

وكلام الرب قد يوصله بطريقة معجزية ، أو بطريقة عادية :

القديس الأنبا أنطونيوس دخل إلى الكنيسة، وسمع الإنجيل، نفس الإنجيل الذى قرئ على جميع الناس ... **ولكن آية معينة استوقفته ، شعر أنها موجهة إليه بالذات .**

تلك هى الآية التى تقول "إذهب بع كل مالك، وأعطه للفقراء، وتعالَ إتبعنى".. شعر أن هذه الكلمة لها تاثير خاص فى نفسه، وأنها مرسلة إليه هو، فذهب وباع كل ما له ...

ولما حاربته الأفكار من جهة أخته ومستقبلها، ذهب إلى الكنيسة ، وشعر أن هناك رسالة فى انتظاره ، وهى قول الكتاب "لا تهتموا بما للغد" . كانت رسالة إليه هو بالذات..

✠ ✠ ✠

هناك أشخاص لهم إذن حساسة لكلمات الله، لهم "الحواس مدربة" (عب٥: ١٤) تستطيع أن تدرك الكلمة المرسلة من الله إليهم .

وهؤلاء لا يأخذون كلمة الله من الكتاب المقدس فقط .

الأنبا أنطونيوس – فى بداية رهبنته – تنسك عند شاطئ النهر وهنالك رأى إمرأة

إعرابية، قد جاءت وخلعت ملابسها أمامه، ونزلت عارية إلى النهر. فتعجب القديس، وقال لها " يا إمرأة، أما تستحين أن تتعرى أمامي، وأنا رجل راهب؟!" فضحكت المرأة وقالت له "لو كنت راهباً، لدخلت إلى البرية الجوانية، لأن هذا المكان لا يصلح لسكنى الرهبان"..

فتأمل القديس الأنبا أنطونيوس عبارة المرأة جيداً ، وأدرك تماماً أنها رسالة الله إليه، على فم هذه المرأة . وللحال قام وذهب إلى البرية الداخلية ،حسب "كلمة الله" .. إليه .

لا تظن أن كلمة الله لا تصل إليك إلا على لسان نبى أو ملاك . فربما تصل على لسان مثل هذه المرأة العارية .

✠ ✠ ✠

وقد حدث للأنبا افرام السريانى ، مثلما حدث للقديس أنطونيوس :

كان سائراً فى الطريق، والظاهر أنه كان جميل الصورة، فأخذت إمرأة تطيل النظر إلى وجهه حتى خجل من نظراتها .. فقال لها "لماذا تطيلين النظر إلىّ هكذا، وأنت إمرأة؟!" فقالت له "ليس عجيباً أن تنظر المرأة إلى الرجل الذى أخذت منه (خلقت من أحد أضلاعه). أما الرجل فينبغى أن ينظر إلى الأرض التى أخذ منها (من ترابها) .. وشعر الأنبا افرام السريانى أن هذه الكلمات رسالة من الله إليه على فم هذه المرأة .. فنظر إلى الأرض، ومضى منتفعاً ..

✠ ✠ ✠

كثير من القديسين كانت تصلهم كلمة الرب بمثل هذه الوسيلة .

القديس الأنبا مقار الكبير أخذ كلمة الله إليه من فم الصبى زكريا. ولما تمنع الصبى قائلاً للقديس "أنت عمود البرية وسراجها، وتطلب منى كلمة!!" أجاب الأنبا مقار "أنا واثق بروح الله الذى فيك، إن عندك شيئاً ينقصنى سماعه!!" وهكذا فعل الأنبا موسى الأسود أيضاً ...

بنفس الوضع تقريباً كان خروج الأنبا بولا إلى السياحة .

اختلف مع أخيه ، وذهب إلى مجلس الحكم ليخاصمه هناك، وفى الطريق رأى جنازاً، وسمع كلاماً. والتقط كلمة الله إليه، فترك الخصومة والجناز والدنيا كلها، وذهب فتوحد...

الذين كانوا يأتون من أقاصى الأرض، ليسمعوا "كلمة منفعة" من فم قديس، ما كانوا يرونها كلمته، بل كلمة الله إليهم ...

إنها كلمة الله وضعها على فم هذا القديس لأجل فائدتهم. كلمة أرسلها الله إليهم عن طريق هذا القديس .. الله "الناطق فى الأنبياء" الذى قال "لستم أنتم المتكلمين ، بل روح أبيكم" (مت١٠: ٢٠).

الحواس المدربة ، تستطيع أن تلتقط كلمات الله إليها .

بل ربما كلمة توبيخ تسمعها من أناس، تكون مرسلة من الله إليك .

داود النبى ، وهو هارب من إبنه ابشالوم ، قابله شمعى بن جيرا فى الطريق، وشتمه شتائم مرة جارحة. ولما أراد المحيطون به أن ينتقموا من الرجل لأنه شتم مسيح الرب، منعهم داود قائلاً "الله قال لهذا الإنسان اشتم داود" (٢صم١٦: ١٠).. لقد استفاد داود روحياً من تلك الشتيمة ، كأنها من الله .

✠ ✠ ✠

ولكن مسكين هو الإنسان، الذى يرسل الله إليه كلمة "فلا يستفيد منها. أو يرفضها كأنها ليست من الله ...

هيرودس أرسل الله إليه المجوس برسالة، فلم يستفد منها إطلاقاً. وبيلاطس وصل إليه كلمة الله ذاته، ولم يستفد. أغريباس الملك، أرسل الله إليه بولس الرسول، بكلمات منه، أثرت فيه فقال لبولس "بقليل تقنعنى أن أصير مسيحياً" (أع٢٦: ٢٨).. ومع ذلك لم يصر مسيحياً.

كما أرسلت كلمة الله إلى أغريباس ، أرسلت إلى فيلكس الوالى :

وكما تأثر اغريباس، تأثر فيلكس . بل إن الكتاب يقول لنا إنه بينما كان بولس الرسول يتكلم عن البر والدينونة والتعفف ارتعب فيلكس الوالى (أع٢٤: ٢٥). ولكنه لم يعط مجالاً لكلمة الله كى تعمل فيه، تماماً مثل أغريباس الملك ...

ومرثا، وصلتها كلمة الله، تماماً كما وصلت إلى مريم .

ولكنها تشاغلت عن الكلمة، واهتمت بأمور أخرى كثيرة . وفيما كانت مريم تنتفع بالكلمة، كانت مرثا تضطرب وتتذمر (لو١٠: ٣٩- ٤١).

✠ ✠ ✠

الرجل الروحى ، ليس فقط يلتقط كلمة الله، وإنما يخبئها فى قلبه ، ويتأملها ، ويستفيد منها .. لذلك ما أجمل ما قيل عن أمنا السيدة العذراء مريم ،إنها :

"كانت تحفظ كل هذه الأمور، متأملة بها فى قلبها " (لو٢: ٥١) .

إن الكنيسة ، من أجل فائدة كلمة الله، تقرأ علينا فصلاً من الإنجيل فى كل صلاة من صلوات الأجبية، وفصلاً من الإنجيل فى بخور عشية، وبخور باكر، وفى القداس، وفصولاً أخرى من الرسائل ومن أعمال الرسل .. ونسمع، وكأن الكلام ليس لنا!! ليست لنا الحواس المدربة التى تلتقط رسالة من الله إلينا فى هذا الذى نسمعه !

قديماً ، كان الإهتمام بكلمة الله ، أكثر من أيامنا هذه !

انظر ماذا يقول الكتاب عن كلمة الرب فى سفر التثنية : "ولتكن هذه الكلمات التى أنا أوصيك بها اليوم على قلبك، وقصها على أولادك، وتكلم بها حين تجلس فى بيتك، وحين تمشى فى الطريق، وحين تنام، وحين تقوم. واربطها علامة على يدك، ولتكن عصائب بين عينيك. واكتبها على قوائم أبواب بيتك وعلى أبوابك" (تث٦: ٦- ٩) .

✠ ✠ ✠

أحياناً يرسل الله لك كلمته فى حادث معين :

فى مرض لك أو لغيرك ، أو فى وفاة أحد معارفك ، أو فى حادث معين، يرسل لك الله رسالة واضحة أو كلمة خاصة. فلا تجعل كل هذه الأمور تعبر عليك بلا فائدة .

بقليل من الذكاء ، أو بقليل من الملاحظة ، تفهمها ...

ما أكثر الرسائل التى يرسلها لنا الله، واضحة، ومقروءة من جميع الناس .. فىحياتنا اليومية ، إنما ينقصنا الحواس المدربة ..

✠ ✠ ✠

يعجبنى قول الكتاب عن اليهود فى يوم الخمسين:

"فلما سمعوا" نخسوا فى قلوبهم . وقالوا .. ماذا نصنع ؟" (أع٢: ٣٧) .

كلمة الرب منخاس، قوية وفعالة ، ومثل سيف ذى حدين .. أثرت فى زكا رئيس العشارين ، فتاب توبة صادقة وحدث خلاص لذلك البيت (لو١٩: ٨، ٩)، واثرت فى سجان فيلبى، فاعتمد للوقت هو وكل أهل بيته (أع١٦: ٣٠- ٣٣).

ولكن البعض قد ينخس فى قلبه – كأغريباس وفيلكس – ويترك الأمر يعبر . دون أن يقرر قراراً أو يعمل عملاً !!

✠ ✠ ✠

لا تترك كلمة الرب تمر عليك ، دون أن تأخذ قوتها .

ربما تقرأ الكتاب ، وتجد آية معينة قد وقفت أمامك ، تلح عليك .. ليس كباقى الآيات. ولكنها ذات تأثير خاص، وتحمل رسالة، فلا تتركها تعبر .. إن آيات الكتاب مرسلة إلى الملايين، ولكن هذه الآية مرسلة إليك أنت بالذات ...



إن سمعتم صوته فلا تقسّوا قلوبكم (عب٣)

إن الله يكلمنا بأنواع وطرق شتى ، كما كلم آباءنا فى القديم (عب١: ١) . فما هى هذه الطرق ؟

نلاحظ فى حياة القديس الأنبا أنطونيوس أن صوت الله وصل إليه عن طريق آية سمعها فى الكنيسة، وشعر إنها موجهة إليه. وسمع صوت الله عن طريق الأحداث. فشعر أن موت أبيه رسالة أخرى من الله إليه، وسمع صوت الله عن طريق إمرأة تعرت ونزلت تستحم أمامه فى النهر .

وهكذا نرى أن صوت الله وصل إلى الأنبا أنطونيوس ، عن طريق الكنيسة والكتاب، وعن طريق الأحداث ، والناس.. وليتنا نبحث هذه المصادر وغيرها لنتتبع صوت الله..

✠ ✠ ✠

كثيرون سمعوا صوت الله من افواه رجاله القديسين، وكثيرون سمعوا صوت الله داخلهم . أو سمعوه فى أية مناسبة من المناسبات .

المهم أن تكون لنا الحواس المدربة ، لندرك صوت الله .

فالله كلم صموئيل الطفل ، فظن ذلك أنه صوت عالى الكاهن ، ولم يميز صوت الله ، لصغر سنه، وقلة خبرته (١صم٣: ٤- ٧).

والقديس بولس الرسول قال عن الرجال الذين كانوا معه وقت رؤياه فى طريق دمشق، إنهم "رأوا النور، ولكنهم لم يسمعوا صوت الذى كان يكلمنى" (أع٢٢: ٩) .

ذلك لأنهم كانوا غير مستحقين ، ولم تكن الدعوة موجهة إليهم .

وأنت لابد سيصلك صوت الله، بطريقة ما . فكن يقظاً جداً لإدراك هذا الصوت وسماعه ، والاستجابة له ...

قد يأتيك هذا الصوت فى عظة ، أو فى قراءة روحية :

آية معينة تقرؤها فى الكتاب أو تسمعها فى الكنيسة، تشعر أنهـا موجهـة لـك شخصياً، وأن الله يخاطبك بها ، كما لو كانت لك أنت وحدك، وتشـعر أن لهـا معنـى معينـاً وقصـداً خاصاً فى حياتك، وأنها صوت الله إليك .

وقد يكون ما قرأته أو سمعته كثيراً. ولكن هذه الآية بالذات، دون الباقى، تجد لها وقعاً خاصاً فى فكرك وفى قلبك ، وفى مشاعرك وفى إقتناعك ، وتسمع فيها صوت الله إليك .

وقد يحدث نفس هذا الأمر بالنسبة إليك ، فى عبارة مـن عظـة تسمعها . وتشـعر أنـك أنت بالذات هو المقصود بها ... فى هذه الحالات ، تذكر قـول الكتـاب "إن سـمعتم صوتـه فلا تقسوا قلوبكم" (عب٣: ١٥). ولا تدع الصوت يعبر دون عمل .

✠ ✠ ✠

صوت الرب موجود ، يصل إلى كل أحـد ، وإلـى جواره قـول الكتـاب "مـن لـه أذنـان للسمع فليسمع" (مت١٣: ٩) ..

لقد وصل كلام الله "إلى الخليقة كلهـا" (مر١٦: ١٥) . "إلـى أقطـار المسكونة بلغت أقوالهم" (مز١٩).. والمشكلة هى : "من له أذنان للسمع" . لهذا قال الرب لتلاميذه :

"أما أنتم فطوبى لآذانكم لأنها تسمع " (مت١٣: ١٦) ...

✠ ✠ ✠

فرعون كانت له أذنان ، ولكن ليس للسمع ، ونفس الوضـع كـان مـع أهل سـادوم ، ومن أغرقهم الطوفان ...

كلهم سمعوا صوت الرب : فرعون عن طريق موسى، وأهل سادوم عن طريق لوط ، والباقون عن طريق نوح ... ولكنهم لما سمعوا تقست قلوبهم، لأن آذانهم لم تكن للسمع... لم تكن تقدر أن توصل الكلام إلى القلب، ولا إلى الإرادة ... أو لم تكن تريد ...

بل أن الشاب الغنى الذى سمع النصيحة من فم المسيح نفسـه ، لـم تكـن لـه أيضـاً أذن للسمع ، فمضى حزيناً لأنه كان ذا أموال كثيرة بعد أن سـمع صـوت الـرب ! إنـه لأمـر مؤسف حقاً، أن يصل صوت الرب إلى النفس ، ولكنها تسمع وتتقسى ولا تستجيب !!

✠ ✠ ✠

عذراء النشيد أيضاً سمعت فى إحدى المرات صوت الرب يناديها بكـل رقـة ، ولكنهـا اعتذرت عن لقائه ، فتحول وعبر (نش٥: ٦) .

فى وقت رفضها ، لم تكن آذانها للسمع، لذلك تقسى قلبهـا . غير أن هـذه العـذراء قـد

ندمت أخيراً ، وقالت "نفسى خرجت عندما أدبر" واختبرت الحرمان فى عبارتها "طلبته فما وجدته ، دعوته فما أجابنى" .. واستيقظت لنفسها وأخذت تبحث عنه" (نش٥: ٧) .

✠ ✠ ✠

صوت الله قد يأتيك أحياناً عن طريق الضيقات .

قد تكون فى ضيقة لا تعرف منها مخرجاً .. وتجد صوت الله يصرخ فى داخلك أن هذه الضيقة بسبب خطاياك . أو تسمع صوته فى أعماقك ، يقول لك 'تب والضيقة تنتهى' ويشفق الرب عليك بسبب توبتك .

وقد يأتيك صوت الله فى مرضك ، أو مرض أحد أحبائك . وتجد هاتفاً شديداً فى أعماقك ، يدعوك إلى الصلاة ، أو إلى أن تنذر نذراً، ويكون صوت الله ...

حدث لما ضغطت الضيقة على أخوة يوسف فى مصر ، عندما أتوا لشراء القمح أن "قالوا بعضهم لبعض: حقاً أننا مذنبون إلى أخينا الذى رأينا ضيقة نفسه لما استرحمنا ولم نسمع. لذلك جاءت علينا هذه الضيقة " (تك٤٢: ٢١) . وقالوا فيما بعد ليوسف "ماذا نتكلم!! وبماذا نتبرر؟! الله قد وجد إثم عبيدك.." (تك٤٤: ١٦) . إنه صوت الله فى داخلهم، ذكرهم بخطاياهم ، وبكتهم ...

وداود لما شتمه شمعى بن جيرا، سمع صوت الله فى داخله يبكته على خطيته القديمة، فقال للمحيطين به "الله قال لهذا الإنسان اشتم داود" ..

إن صوت الله قد يسمعه العالم كله أيام المجاعات والزلازل ...

يصرخ قائلاً للناس "إرجعوا إلى فأرجع إليكم" (ملا٣: ٧) ، وقد يكون دعوة للبعض أن يعينوا البلاد المنكوبة ، ودعوة للبعض أن يتعظوا وأن يتوبوا ، أو أن يستعدوا للقاء الله .

لذلك ، فى كل ضيقة ، انصت إلى صوت الله فى قلبك، ماذا يريد أن يقول لك ..

✠ ✠ ✠

وقد يصلك صوت الله فى داخلك بواسطة عمل الروح القدس .

قد يتكلم روح الله فى داخلك باشتياقات روحية معينة، فإذا بك فى وقت من الأوقات تشتاق إلى التوبة، تشتاق إلى صلاة، تجد فى داخلك حنيناً إلى الله، أو زهداً فى العالم ، أو إشمئزازاً من الخطية، دون أن تعرف سبباً لهذا كله ، سوى أنه صوت الله فى داخلك بفعل الروح القدس ...

بعض القديسين يسمون هذا الأمر " زيارة النعمة" .

نعمة الله تدفعك فى طريقه ، تبكتك على خطية ، تمنحك اشتياقاً لعالم روحى .. إنه الله الواقف يقرع على بابك (رؤ٣: ٢٠)، ويطلب إليك أن تفتح له .. فلعلك تستجيب ...

كان صوت الله واضحاً أيام الشهداء ، فآمن كثيرون .

من خلال احتمال الشهداء، ونعمة الله التى كانت عليهم، ومن خلال المعجزات التى حدثت لهم أو منهم، كان صوت الله يدعو الناس إلى الإيمان، ولكن القلوب المقفلة لم تؤمن!

✠ ✠ ✠

كثيراً ما سمع الناس صوت الله أثناء المعجزات ..

من الذى دعا اللص اليمين إلى الإيمان ؟ لا أحد .. ولكنه "لما رأى الشمس أظلمت، والأرض تزلزلت، والقبور تفتحت' صرخ قائلاً "اذكرنى يارب متى جئت فى ملكوتك" (لو٢٣: ٤٣).. إن تلك المعجزات كان لها صوت دعاه إلى الإيمان .

وبنفس الوضع آمن الجندى الذى طعن المسيح بالحربة ، لم يسمع صوتاً من أى كارز. ولكن صوت الله كان مسموعاً خلال الدم والماء اللذين خرجا من جنب المسيح ..

المعجزات التى حدثت عند ظهور العذراء فى الزيتون كان لها أيضاً صوت أقوى من أصوات الكارزين ، كان صوت الله ... ولكن كثيرين يبصرون المعجزات ولا يسمعون صوت الله، لأن لهم آذاناً ولكنها لا تسمع ، وقد قسوا قلوبهم ...

✠ ✠ ✠

فقد وصل صوت الله حتى إلى أشر الخطاة .

يهوذا الخائن ، وصل إليه صوت الله وبكته على خطيئته ، فأخذ المال وأرجعه إلى رؤساء الكهنة، واعترف قائلاً "أخطأت إذ أسلمت دماً بريئاً" (مت٢٧: ٣، ٤) .. صوت الله جعله يندم ، لكن يهوذا استسلم لليأس فشنق نفسه ...

بيلاطس أيضاً وصله صوت الله، وتكلم بالحق فى قلبه. فقال "لست أجد علة فى هذا البار" . وحاول أن يطلقه بأية وسيلة(مت٢٧). ولكنه استسلم أخيراً للشعب وأمر بصلبه !

ليتنا نحن أيضاً ننصت إلى صوت الله، فى كل مناسبة ، ومن شتى المصادر ، ولا نقسى قلوبنا .

إن صوت الله ينادى ، بأنواع وطرق شتى ... ولكن المهم أن نميزه ، وأن تكون لنا آذان للسمع ، لكى نسمع .. وأيضاً "إن سمعتم صوته، فلا تقسوا قلوبكم" ...



معرفتنا لله

ما أكثر الذين يقولون ، إنهم يعرفون الله ، وهم لا يعرفونه، أقصد المعرفة الحقيقية . ذلك لأن معرفة الله هى موضوع طويل وعميق ، يتعلق بالروح والحياة، أكثر مما بالفكر واعتراف اللسان .

المعرفة الحقيقية

لكى نعبد الله، لابد لنا أولاً أن نعرفه. ولكن للأسف الشديد كثيرون يعبدون الله وهم لا يعرفونه !!

إن سؤالى " هل تعرف الله ؟ " ليس موجهاً إلى الملحد أو غير المؤمن، وإنما هو موجه هنا إلى كثيرين من الذين يرددون قانون الإيمان قائلين، بالحقيقة نؤمن بإله واحد.. ويصلّون ويصومون ومع ذلك تقف أمامهم عبارة المعمدان :

"فى وسطكم قائم الذى لستم تعرفونه " (يو ١: ٢٦) .

هوذا الرب قد قال "ها أنا معكم كل الأيام وإلى إنقضاء الدهر" (مت٢٨: ٢٠) وقال "حيثما اجتمع إثنان أو ثلاثة باسمى، فهناك أكون فى وسطهم" (مت ١٨: ٢٠). ولكن على الرغم من أنه معنا، وفي وسطنا، إلا أن الكثيرين منا لا يعرفونه!! هنا وأتذكر القديس أوغسطينوس متحدثاً عن فترة شبابه يقول لله [لقد كنت معى. ولكننى من فرط شقوتى لم أكن معك]. وأتذكر ما قيل فى إنجيل يوحنا :

" فى العالم كان والعالم به كون، والعالم لم يعرفه" (يو١: ١٠)

نعم ، إنه النور الحقيقى . وهذا النور يضئ فى الظلمة والظلمة لا تدركه!!

المعرفة العقلية

وتسأل الناس ، هؤلاء الذين يرفعون أيديهم قائلين "أبانا الذى فى السموات" .. تسألهم ما الذى يعرفونه عن هذا الآب السماوى. فأكثرهم معرفة يجيب: إنه الله الخالق. مالئ السموات والأرض، الأزلى وحده، الذى لا يحده مكان، القادر على كل شئ، غير المحدود.. ويكرر عبارات قرأها فى الكتب ، دون أن يعرف صاحبها! عبارات صحيحة ولكنه لا يدرك أعماقها !

إنه يصف الله الذى تتحدث عنه الكتب، والمعاهد اللاهوتية، وعلم اللاهوت النظرى، دون أية معرفة شخصية .

✠ ✠ ✠

ولكنى أقول إن الكتب وحدها لا تكفى، والمحاضرات والمعلومات لا تكفى. كل ما تعمله أنها تملأ العقل أفكاراً، وقد يبقى القلب فارغاً، لا مشاعر فيه، ولا حب، ولا عاطفة ولا أحاسيس.. إنها حالة إنسان يقرأ عن الله، ولا يعرفه! وعلى رأى أحد الآباء الذى قال "ماذا يفيدك أن تعرف كل المعلومات عن الثالوث القدوس، إن كان الثالوث القدوس غير ثابت فيك، وأنت غير ثابت فيه؟"

✠ ✠ ✠

إنها مجرد معرفة العقل ، لا القلب ...

معرفة العلماء ، وليست معرفة العابدين، ولا المحبين.

وقد تتحول إلى جدل فى اللاهوتيات، وصراعات حول المعرفة! وقد تُحول علم اللاهوت إلى فلسفة لا يصل إلى مستواها إلا صفوة من المثقفين.. وتسأل : من يعرف الله إذن ؟ .. وربما كما قال الكتاب "العلم ينفخ" (١كو١٨: ١). وكثيرون من الذين يتحدثون عن اللاهوتيات، ربما يرتفع قلبهم، ويتباهون بمعرفتهم. بينما يكون بعض البسطاء أكثر معرفة بالله منهم، وأقرب إلى قلب الله منهم .

✠ ✠ ✠

كان أبونا آدم فى بساطته وبراءته يعرف الله ...

ولكنه لما أكل من شجرة المعرفة ، صار جاهلاً !

ولعل جهله قد ظهر فى قوله للرب "سمعت صوتك فى الجنة فخشيت، لأنى عريان فاختبأت" (تك٣: ١٠) . مجرد إختبائه يدل على جهله بالله. لأنه لو كان يعرفه حقاً،

لعرف أن الاختباء خلف الأشجار لا يمكن أن يخفيه عن الله، لأن الله يراه أينما كان، بل يرى أيضاً ما هو داخل قلبه وداخل فكره ... كذلك آدم لم يعرف الله فى محبته وفى مغفرته .

واستمر جهل الناس بالله، واستمر بعدهم عنه ...

وهكذا نرى السيد المسيح يقول فى مناجاته الطويلة للآب :

"أيها الآب البار، إن العالم لم يعرفك. أما أنا فعرفتك" (يو١٧: ٢٥).

العالم لم يعرف الله، بما فى ذلك اليهود الذين كانوا يعبدونه، ويقربون له الذبائح والمحرقات، ويقيمون له الأعياد، ويصلون ويصومون. ويؤمنون به إيماناً صحيحاً. ولكنه كان مجرد إيمان عقلى ، لون من المعرفة العقلية. ولم توصلهم تلك المعرفة ولا ذلك الإيمان إلى محبة الله... يقول القديس يعقوب الرسول "والشياطين أيضاً يؤمنون ويقشعرون" (يع٢: ٢٠). إنه إيمان عقلى، مبنى على مجرد معرفة عقلية لا تجدى، لأنها بغير حب. لذلك قال السيد المسيح عن تلاميذه، فى نفس مناجاته للآب :

عرفتهم إسمك، وسأعرفهم، ليكون فيهم الحب الذى أحببتنى به، وأكون أنا فيهم" (يو ١٧: ٢٦) .

معرفة العشرة والحب

هذه هى المعرفة الحقيقية التى تقود إلى محبة الله.. ولهذا فإن الرب يضع أمامنا حقيقة واضحة، وهى أن كل معرفة لا تقود إلى محبة الله، هى معرفة باطلة ...

لأن الدين ليس مجرد معلومات وعقائد، تكون غذاء للذهن، إنما الدين فى جوهره هو أن تعرف الله وتحبه .

الدين بدون الله ليس شيئاً.. فالله هو مركز الدين كله . هو هدفه ووسيلته . ولو وصلنا إلى كل البر وكل الفضيلة، ولم نصل إلى الله فلسنا شيئاً، بل لا يكون برنا براً بالحقيقة، ولا فضيلتنا فضيلة، ولا تكون تلك الفضائل سوى ممارسات، أو عمل من أعمال الناموس، أما الفضيلة الوحيدة التى تتفرع منها كل الفضائل، فهى معرفة الله ومحبته .

✠ ✠ ✠

لأنك إن عرفت الله ، لابد ستحبه ...

وإن أحببت الله ، ستزداد معرفة له ...

نعم إن عرفت الله، وعرفت صفاتـه الجميلـة.. إن عرفت محبتـه وحكمتـه وصلاحـه، وعرفت وداعته وطيبة قلبه ومغفرته .. وإن عرفت كيف أنه "أبرع جمالاً من بني البشر" (مز ٤٥: ٢). حينئذ لابد ستحبه .

وإن أحببته ، سيكشف الله لك ذاته ، فتعرفـه أكثر وأكثر، معرفـة ليست عن طريـق البشر ولا الكتب ...

وحينما أقول إن عرفت الله وصفاته، إنما أقصد المعرفـة الإختباريـة فـى حيـاتك.. أى تعرف محبته لك بالخبرة . وتعرف حكمته بما تراه فى تدبير حياتك. وتعرف مغفرتـه بمـا يسكبه من سلام فى قلبك حينما تتوب . وهكذا فى باقى صفاته الجميلة .

✠ ✠ ✠

إذن هناك ثلاثة أنواع من معرفتنا لله :

أ - المعرفة العقلية .. وقلنا إنها وحدها لا تكفى .

ب - المعرفة الإختبارية فى عشرتك لله وحياتك معه .

ج - معرفة الكشف والإعلان : وهى أن الله يظهر ذاته لمحبيه بأنواع وطرق شتى. وقد وعد السيد الرب بهذا فى قوله " الذى يحبنى، يحبه أبى، وأنا أحبه، وأظهـر لـه ذاتـى" (يو ١٤: ٢١).

والعبارة الأخيرة "أنا أحبه وأظهر له ذاتى" ، هى بلا شك قدس أقداس، تحتـاج إلـى أن تخلع حذاءك من قدميك وأنت تقترب إليها .. وتسجد شاكراً وتقول للرب : اعطيتنـى علـم معرفتك .

✠ ✠ ✠

على أنى أريد أن أسجل حقيقة هامة وهى :

إن معرفتنا لله تبدأ هنا على الأرض، ولكنهـا لا تنتهـى ، بـل تسـتمر فـى الأبديـة ولا تصل إلى كمالها .

معرفة الله ليست بالأمر الهين أو السهل. وكما يقول بولس الرسول " إننـا الآن نعـرف بعض المعرفة " " ننظر كما فى مرآة، فى لغز" (١كو١٣: ١٢). عجيب هذا الأمـر جـداً : بولس الرسول الـذى تمتـع بقسـط كبير "مـن فـرط الإعلانـات".(٢كـو١٢: ٧، ١). والـذى اختطف إلى السماء الثالثة، "وسمع كلمات لا ينطق بهـا، ولا يسـوغ لإنسـان أن يتكلـم بهـا" (٢كو١٢: ٤). بولس القديس العظيم هذا، يقول إنه يعرف بعض المعرفة .

بل إنه يجاهد ويسعى ويبذل كل شئ، لكى يعرف . ويقول "لكن ما كان لى ربحاً، فهذا قد حسبته من أجل المسيح خسارة. بل إنى أحسب كل شئ أيضاً خسارة من أجل فضل معرفة المسيح يسوع ربى.. لأعرفه وقوة قيامته وشركة آلامه .." (فى٣: ٧، ٨، ١٠).

✠ ✠ ✠

إذن حتى الرسل لم يصلوا إلى المعرفة الكاملة .

كما نرى فى مثال القديس بولس الذى ذكرناه ، وأيضاً كما يظهر من قول السيد المسيح عنهم "عرفتهم إسمك، وسأعرفهم" (يو١٧: ٢٦). ما الذى ستعرفهم إياه يارب، هؤلاء الذين إئتمنتهم على تعليم المسكونة كلها؟ هل هناك معرفة أخرى ستمنحها لهم؟ هى كثيرة جداً بلا شك. معرفة لا يمكن أن يكفى لها هذا العمر الأرضى.

لذلك يقول الرب للآب :

" هذه هى الحياة الأبدية ، أن يعرفوك أنت الإله الحقيقى وحدك" (يو١٧: ٣) .

معرفة فى الأبدية

طالما نحن فى هذا العالم ، محوطون بضباب هذا الجسد المادى، فلن نصل إلى معرفة كاملة بالله، إنما ننظر كما فى مرآة، فى لغز. ولكن حينما نخلع هذا الجسد، فأرواحنا الشفافة التى على صورة الله ستعرف أكثر . وعندما ندخل فى الملك المعد لنا، فى ما لم تره عين، ولم تسمع به أذن، ولم يخطر على قلب بشر" (١كو٢: ٩)، حينئذ سنعرف أكثر وأكثر .. ولكن أترانا سنعرف فى ذلك المجد كل شئ عن الله؟ محال . لأننا مخلوقات محدودة، والله غير محدود .

ومن المحال أن المحدود يعرف كل شئ عن غير المحدود ؟

كيف لهذا العقل المحدود ، أو هذا القلب المحدود، أن يعرف كل شئ عن الله غير المحدود. هنا وأتذكر بيت الشعر الذى قلته للرب فى قصيدة " همسة حب " :

لم يسعك الكون ما أضيقه　　　كيف للقلب إذن أن يسعك؟

✠ ✠ ✠

الذى سوف يحدث أن الله سيوسع قلوبنا وعقولنا لكى تتسع لمعرفة أكثر عنه، فتبهرنا تلك المعرفة العجيبة، ونقول لله كفانا كفانا، ما عدنا نحتمل أكثر.. ونبقى وقتاً فى دهش بسبب ما كشفه لنا. ثم نفيق، ولست أدرى متى؟ وحين نقضى وقتاً نتمتع فيه بما عرفناه،

ونتأمله ، ونستطعم ما قد ذقناه وما أطيبه.. يوسع الله قلوبنا وأفكارنا حتى تقوى على احتمال المزيد من المعرفة، وهى "مريضة حباً " (نش٢: ٥). ومع كل ذلك تبقى هذه العقول والقلوب البشرية محدودة بطبيعتها، لا تستطيع أن تتسع لغير المحدود .

بينما الله تبارك إسمه كما هو: غير المفحوص غير المدرك .

✠ ✠ ✠

إذن متى سنعرف المعرفة الكاملة عن الله، لو كان ممكناً أن نعرف؟!

يجيب المعلم الصالح بنفس قوله للآب عنا "هذه هى الحياة الأبدية أن يعرفوك أنت الإله الحقيقى وحدك.." (يو١٧: ٣) .

إن كان هذا ما سيؤول إليه حالنا فى السماء ، ونحن نلبس الجسد الروحانى السماوى المقام فى مجد " (١كو١٥). فماذا نقول إذن عن معرفتنا ونحن على الأرض ؟!

ألا يخجلنا قول الرب لواحد من الإثنى عشر رسولاً القديسين "أنا معكم زماناً هذه مدته، ولم تعرفنى يا فيلبس؟" (يو١٤: ٩). وإن كان هذا هو حال معرفة الرسول عن الرب فى تجسده، فماذا عن الله فى مجد لاهوته؟ لا أستطيع أن أقول سوى الآتى :

إن الله يمنحنا من معرفته ، ما يكفى لأن نؤمن به وأن نحبه.

ويكفى هذا الآن . أما ماذا ستكون عليه معرفتنا فى الأبدية، فهذا ما لا أدريه.

كل ما أدريه أننا سوف ننمو فى معرفة الله، بالقدر الذى تحتمله طبيعتنا البشرية، فى تجليها، وفى المجد الذى يوهب لها .

✠ ✠ ✠

لقد كشف لنا الله عن طريق الوحى أشياء كثيرة . وكشف لنا بتجسده أكثر وأكثر، حتى قال القديس يوحنا الرسول "الله لم يره أحد قط. الإبن الوحيد الكائن فى حضن الآب هو خبر" (يو١: ١٨). وحقاً أعطانا الإبن الكثير من المعرفة عن الآب ، ولايزال الأكثر لا نعرفه. لذلك قال "عرفتهم ... وسأعرفهم " .

صدقونى أن صفة واحدة من صفات الله، لا يكفى عمرنا كله لمعرفتها .

ماذا إذن عن صفاته كلها ..؟

✠ ✠ ✠

بل حتى وصاياه لم نعرفها وندخل إلى أعماقها كما ينبغى . وفى ذلك يقول داود النبى "لكل كمال رأيت منتهى، أما وصاياك فواسعة جداً " (مز ١١٩) . ومن جهة طرق الرب، يبتهل وهو النبى العظيم قائلاً : "عرفنى يارب طرقك، فهمنى سبلك" (مز ١١٩) .

إننا نحاول حالياً أن نعرف ما ينتسب إلى الله، لعلنا نصل إلى معرفة بعض الشئ عن الله نفسه ...

نحب أن نعرف كتابه، ناموسه، وصاياه، التى تنير العينين من بعد " (مز ١٩) . ونتأمل لعلنا نعرف ما يمكن معرفته عن ملائكته التى هى أرواح مرسلة للخدمة (عب١: ١٤). ونار تلتهب (مز١٠٤: ٤). نتأمل أيضاً سماءه، وأورشليم السمائية التى هى مسكن الله مع الناس (رؤ٢١). وفى كل ذلك يقول الحكيم منا "لا أعرف" وآخر ما يصل إليه يقول "أعرف بعض المعرفة " (١كو١٣: ١٢) .

✠ ✠ ✠

إننا لم نعرف بعد الكون الذى خلقه الله ، فكيف نعرف الله الذى خلق الكون ؟!

لم نعرف المجرات والكواكب والنجوم . بل حينما نعثر على جزء من صخرة من القمر أتى بها رواد الفضاء ، ندرسها ونبحثها لنعرف ما هو تركيبها. فكيف نعرف إذن خالق هذا القمر .

بل الأرض التى نعيش عليها ، لا نعرف ما يُوجد فى باطنها من أسرار، وما يوجد فى أعماق البحار . ونظل ننقب ونحفر ، لعلنا نعرف . وما نعرفه عن باطن الأرض هو "بعض المعرفة"!! فماذا نقول عن معرفتنا بالله؟!

بل فليعذرنى القارئ إن قلت إننا حتى الآن لم نعرف أنفسنا؟ فما الذى نعرفه مثلاً عن الروح ، عن كنهها، وعن مغادرتها للجسد؟ وما الذى نعرفه عن الجسد الروحانى الذى سنقوم به. فإن كنا لم نعرف الإنسان نفسه، ولم نعرف أسراراً كثيرة عن الكون الذى نعيش فيه. هل فى جرأة نقول إننا نعرف الله؟

✠ ✠ ✠

ومع ذلك نقول : إننا هنا ننمو فى المعرفة .

بعشرتنا مع الله وأختبارنا له تنمو معرفتنا له. تماماً مثلما قال له أيوب الصديق "بسمع الأذن سمعت عنك. والآن رأتك عيناى" (أى٤٢: ٥) . ويشبه هذا ما قاله أهل السامرة .

فى بدء الأمر دعتهم المرأة السامرية لرؤية المسيح قائلة "هلموا أنظروا إنساناً قال لى كل ما فعلت" . فلما أتوا ورأوا وآمنوا به قالوا للمرأة : إننا لسنا بعد بسبب كلامك نؤمن" (يو٤) لقد كان ما رأوه أعمق بكثير فى تأثيره العجيب عليها. يشبه هذا إلى حد ما- والقياس مع الفارق - شعور ملكة سبأ عندما رأت سليمان. إذ يقول الكتاب "لم يبق فيها

روح بعد" (امل١٠: ٥).. يبقى أن أقول لك شيئاً عن علاقة معرفتنا لله بالدهش والزهد:

الدهش والزهد

إن عرفت الله ستقع فى ذهول، أو تسكر بمحبته .

وهذا ما يسميه بعض الكتاب حالات "الدهش" . لأنك حينئذ ستعرف "ما لم يخطر على قلب بشر" (١كو٢: ٩) . أو ربما تعرف "كلمات لا ينطق بها" (٢كو١٢: ٤). وهذه المعرفة توجد فى قلبك أحاسيس وعواطف أسمى من أن نسطرها . وبمعرفتك لله سوف تزدرى بكل معرفة أخرى، هذه التى قال عنها الكتاب إنها "جهالة عند الله" (١كو٣: ١٩). وحينئذ يسمو عقلك فى تفكيره. وتنال روحك شبعاً ورياً .

وإذا عرفت الله حقاً ، سوف تزهد كل ما فى العالم .

ستزهد شهوة الجسد وشهوة العين وتعظم المعيشة" (١يو٢: ١٦) لأنك إن أحببت أمور العالم هذه، لا تكون فيك محبة الآب " (١يو٢: ١٥)، ولا تكون قد عرفت الله بعد. أنظر إلى بولس الرسول كيف أنه خسر كل الأشياء وهو يحسبها نفاية من أجل فضل معرفة الرب (فى٣: ٨) .

✠ ✠ ✠

إن الذى يعرف الله، لاشك سوف يكتفى به، ويقول مع داود النبى : " معك لا أريد شيئاً على الأرض " (مز٧٣: ٢٥) .

ويقول معه فى نفس المزمور "وأما أنا فخير لى الإلتصاق بالرب" .

إن وصلت إلى هذا المستوى الروحى تكون قد عرفت الله. أقصد تكون قد عرفته بعض المعرفة.

إن معرفة الله هى معرفة ذوقوا وأنظروا" (مز ٣٤: ٨) .

✠ ✠ ✠

يبقى السؤال الهام فى هذا الموضوع، وهو :

كيف يمكننا أن نعرف الله ، هنا ؟

عفواً ، أترانى فتحت معك الآن الباب الرئيسى ، الذى بلا شك ليس مجاله الآن .

ربما نتحدث عنه فيما بعد، فى كتاب خاص .



اللقاء مع الله

كل إنسان لابد أن تكون له علاقة مع الله. يكون له موقف معه ، أو موقف منه .

إن السلبية الكاملة من جهة الله ، أو الإنعزالية الكاملة عنه ، أمر ليس سهلاً ، ولا هو من صالح أحد .

والعلاقة مع الله ، هى على أنواع متعددة .

هناك من تكون علاقتهم بالله ، هى مجرد علاقة فكر .

الله بالنسبة إليهم مجرد فكر يبحثونه ويتجادلون حول وجوده وصفاته وعمله . الله هو إذن فى نظرهم جزء من فلسفة تُناقش . علاقتهم به هى علاقة بالله الذى فى الكتب، والذى يتحدث عنه أساتذة علم اللاهوت أو طلاب المعاهد اللاهوتية . إنه فكر يُدرس ويُقرأ. وربما يُفهم أو يناقش ...



والبعض علاقتهم بالله علاقة مناسبات ورسميات .

نتذكره فىالأعياد الدينية كعيد الميلاد أو عيد القيامة ، أو فى بعض المناسبات كالجنازات ، حينما نتذكر أن إنساناً قد رحل إلى جوار ربه، أو أن الله قد أخذه إليه .

وهناك أناس علاقتهم بالله علاقة طقسية بلا روح !

علاقة فروض ! يؤدى الإنسان الفرض فى موعده ، دون أن يحسّ بوجود الله فيما يفعل! يصلى الصلاة فى موعدها . ويقرأ الكتاب المقدس بنظام متبع . وضميره يتعب إن لم يقرأ ولم يصلِ ، لأنه لم يؤدِ واجبه (الروحى) !

كل هؤلاء ، حتى الآن ، ليست لهم علاقة بالله .

لا الجدل فى الله والإلهيات ، ولا تذكاره فى المناسبات والرسميات، ولا الطقوس الخالية من الروح، التى هى مجرد فروض وواجبات .. لا شئ من هذا كله، يشعر فيه الإنسان أن له علاقة روحية بالله .

العلاقة بالله ، هى علاقة قلب بقلب .

تشعر بوجود الله فى قلبك ، وتشعر بوجودك فى قلب الله ...

وهذا ما نسميه اللقاء بالله . حيث تكون بيننا وبين الله عشرة وعاطفة .

وفى هذا اللقاء نعرف الله معرفة حقيقية عملية، ونختبره ونحبه ونلتصق به . ونصير واحداً مع الله فى الحب وفى المشيئة .

كثيرون يعيشون فى مظاهر دينية ، ولا يشعرون بوجود الله فى حياتهم . لا تلامس ولا رؤيا . الله فى وادٍ ، وهم فى وادٍ آخر . كما لو كان الله غريباً عنهم . أو هم غرباء عن الله، أو بينه وبينهم حواجز ومسافات بلا لقاء .

✠ ✠ ✠

خاطب الرب إذن ، وقل له : أريد يارب أن ألقاك .

أريد أن أشعر بك فى حياتى. أريد أن أعاشرك وأحبك. وتلتهب بك عواطفى . أريدك كما دخلت عقلى، أن تدخل قلبى أيضاً . وكما أقتنع بك فكرياً، أن اختبرك عملياً. كما قال عنك عبدك أيوب الصديق "بسمع الأذن سمعت عنك. والآن رأتك عينى" (أى٤٢: ٥) .

✠ ✠ ✠

إننا إن لم نلتقِ مع الله هنا على الأرض. فلن نتقابل معه هناك فى السماء. هنا مذاقة الملكوت

هنا تبدأ العلاقة مع الله . وهى تبدأ فى القلب ، حسب طلب الله نفسه "يا ابنى أعطنى قلبك" (أم٢٣: ٢٦) . ويقدس الله هذا القلب، ويملؤه حباً، ويسند فيه رأسه . ويبدأ عربون الملكوت الذى قال عنه الكتاب "ملكوت الله داخلكم" (لو١٧: ٢١) .

إذن اختبار "ملكوت الله داخلكم" ، لابد أن يسبق ملكوت السموات .

ولكن كيف يمكنك أن تصل إلى عربون الملكوت هذا؟ كيف تصل إلى عشرة الله هذه، وإلى اللقاء الدائم معه ؟

✠ ✠ ✠

نصيحتى لك. انشغل بالله دائماً. اقرأ عنه وعن عمله فى الكنيسة. اقرأ عن علاقته بقديسيه، وعن صفاته الجميلة . واقرأ عن يد الله فى الأحداث .. حينئذ سيتحرك قلبك بحبه . وستجد قلبك مستعداً باستمرار للقاء مع الله ...

والقلب المستعد هو قلب يشتاق إلى الله وإلى الحياة معه .

هو القلب الذى يقول فى صلاته "كما يشتاق الإيّل إلى جداول المياه، كذلك اشتاقت

نفسى إليك يا الله. عطشت نفسى إلى الله، إلى الإله الحى. متى أجئ وأتراءى قدام الله" (مز٤٢: ١، ٢) . "يا الله أنت إلهى. إليك أبكر. عطشت إيك نفسى" (مز٦٣: ١) .

✠ ✠ ✠

حقاً . لا يمكن أن تلتقى بالله ، إن لم تحبه .

بالحب تلتقى به . وكلما تلتقى به ، تزداد حباً له . يلتذ قلبك بحبه، ويصبح إسمه على لسانك كل حين. تقول له كما قال المرتل فى المزمور : "محبوب هو إسمك يارب . فهو طول النهار تلاوتى" (مز١١٩) . وكما نقول له فى التسبحة "إسمك حلو ومبارك، فى أفواه قديسيك" . اللقاء بالله إذن هو لقاء حب . هو لقاء قلب بقلب .

إن الله يجد كثيرين يعظون عنه ، ويجد من يبنون له بيوتاً، من يفسرون شريعته . ولكن المهم أين الذين يحبونه؟

✠ ✠ ✠

إن الله لا يريد فقط الذين يلتقون به ، بل بالأكثر الذين يثبتون فيه .

فقد تلتقى به يوماً ، ثم تبعد عنه شهوراً . تذوقه فتحبه ، ثم تترك محبتك الأولى (رؤ٢: ٤) . يجذبك العالم فتنشغل به ، وتفتر محبتك لله .. لذلك فإن الرب يريد الثبات فيه. يقول "اثبتوا فىّ وأنا فيكم" (يو١٥: ٤) . كما يثبت الغصن فى الكرمة ، وكما يثبت الجسد فى الرأس .. حقاً "إن هذا السر العظيم" (أف٥: ٣٢) .

✠ ✠ ✠

ليس الأمر إذن هو مجرد لقاء ، إنما سكنى .. سكنى الله فيك ...

كما يقول الكتاب "إنكم هيكل الله، وروح الله يسكن فيكم" (١كو٣: ١٦) . نعم ، ينظر الله إلى قلبك النقى المحب ، ويقول "ههنا موضع راحتى إلى الأبد" . ههنا أسكن لأنى أشتهيته" (مز١٣٢: ١٤) .. إنه لقاء دائم ، لا بعد عنه ..

أنت تنادى وتقول "آمين، تعالَ أيها الرب يسوع" (رؤ٢٢: ٢٠) .. تعالَ يارب واسكن فىّ . سأفتح لك الأبواب كلها . فيجيبك الرب فى حب كما قال لزكا العشار "ينبغى أن أمكث اليوم فى بيتك" (لو١٩: ٥) .

✠ ✠ ✠

إذن اللقاء بالرب ، هو لقاء فى الداخل ، وليس فى الخارج . كثيرون يبحثون عن الله هنا وهناك، بينما الله داخلهم وهم لا يشعرون .

الله موجود فى كل مكان : حواليك وداخلك ، وأنت لا تشعر .

لما أدرك أوغسطينوس هذه الحقيقة ، قال عبارته المشهورة "كنت يارب معى. ولكننى

من فرط شقوتى لم أكن معك " ...

إذن الإلتقاء بالله، معناه الشعور بالله فى حياتك .

وكأنك تقول "أنت يارب فى داخلى. أنت معى. أما أنا فينقصنى الحس والإدراك . تنقصنى الحواس المدربة التى أستطيع بها أن أرى الله، وأن أحسه فى حياتى! لذلك "افتح يارب عينى الغلام فيرى" (٢مل٦: ١٧) .. فكثيرون كان الرب معهم ويكلمهم، ولم يشعروا به ولا عرفوه ! مثلما حدث مع تلميذى عمواس (لو٢٤: ١٥، ١٦) .

✠ ✠ ✠

الله إذن موجود فى حياتك . ما أكثر أن يلتقى بك، وأنت لا تعرف .

يعمل فيك بزيارات النعمة وعمل روحه القدس ، وأنت لا تشعر .. يشعل روحك أحياناً، ويوقظ ضميرك أحياناً أخرى، ويشترك مرات معك فى العمل، وربما تظن أنك تعمل وحدك!! كل هذا، وحواسك غير مدربة على الشعور بوجود الله ! ليتك تدرب نفسك على الشعور بيد الله فى حياتك وفى حياة الناس . وتدرب نفسك أيضاً على الإحساس بيد الله فى الأحداث . حينئذ تقول فى أعماقك :

قد وجدته ، رأيته ، تقابلت معه فى كل ما يحدث ...

كيف تلتقى بالله

ولكى تلتقى بالرب ينبغى أن تكون لك رغبة فى اللقاء .

ولكن هذه ليست قاعدة عامة .. فأبونا آدم كان خائفاً من اللقاء مع الله بعد أن أكل من الشجرة ، بل أختبأ لأنه كان متحرجاً من مقابلة الرب! ومع ذلك ذهب الله إليه وقابله .

ومن أعجب الأمثلة أيضاً قصة شاول الطرسوسي ، الذى كان فى طريقه لإضطهاد كنيسة الله، بكل قسوة وعنف، يحمل خطابات يجرّ بها رجالاً ونساء إلى السجن (أع٩: ١، ٢).. ومع ذلك قابله الرب فى طريق دمشق .. وجذبه إليه ، وصيره رسولاً للأمم !!

والمرأة السامرية قابلها الرب عند البئر ، وما كانت تعرفه، وإلا كانت مستعدة للقاء ولا للشرب من الماء الحى . ومع ذلك قابلها وتحدث معها، وقادها إلى التوبة، وإلى الإيمان به، ودعوة شعبها إلى الإيمان ...

✠ ✠ ✠

وما أعجب اللقاءات التى التقى فيها الرب مع أبنائه .

التقى مع الثلاثة فتية فى أتون النار ، وتمشى معهم فى وسط الأتون. ومنع قوة النار

عن إيذائهم . وشعرة من رؤوسهم لم تحترق . ولا أتت رائحة النار على ملابسهم (دا٣: ٢٥- ٢٧) .

والتقى مع يونان النبى فى بطن الحوت ، حيث صلى يونان للرب . وسمع الرب صوته . "وأمر الرب الحوت، فقذف يونان إلى البر" (يون٢: ١، ١٠) .

التقى الرب مع موسى النبى وبنى إسرائيل "فى وسط البحر الأحمر.. والماء سور لهم عن يمينهم وعن يسارهم" (خر١٤: ٢٢) .

والتقى الرب مع اللص اليمين على الصليب، وقبل منه إيمانه، ووعده أن يكون معه فى نفس ذلك اليوم فى الفردوس (لو٢٣: ٤٣) .

لقاءات أخرى عجيبة، لا نستطيع أن نحصرها جميعاً ، فيها حب من الله وآيات وأعاجيب . وفيها إيمان من الناس وصلاة ...

✠ ✠ ✠

إن أردت أن تلتقى مع الله ، لا تجعل محبة أخرى تشغلك عن محبته .

يقول الكتاب "لا تحبوا العالم ولا الأشياء التى فى العالم. إن أحب أحد العالم، فليست فيه محبة الآب" (١يو٢: ١٥) . ويقول الكتاب أيضاً "محبة العالم عداوة لله" (يع٤: ٤) . ما أجمل قول بطرس الرسول للرب "قد تركنا كل شئ وتبعناك" .. فهل أنت أيضاً من أجل الله تركت كل شئ، وصار لك الله هو كل شئ؟ إن فعلت ذلك فسوف يلقاك الله...

✠ ✠ ✠

إن الله يعمل بنعمته على إخلاء قلبك لتصير له. فيلتقى بك، وأنت به. وهذا الإخلاء يأتى بالتجرد .

تشعر أن كل شئ تافه إلى جوار الله. فتتجرد من كل شهوة ورغبة تعوقك عن اللقاء بالله. ولا يمكن أن تتجرد من العالم وأموره ، إلا إذا فقد هذا العالم قيمته فى نظرك. وفى ذلك قال القديس بولس الرسول :

"**خسرت كل الأشياء ، وأنا أحسبها نفاية، لكى أربح المسيح**" (فى٣: ٨) .

✠ ✠ ✠

وبهذا لم يربح السيد المسيح فقط، وإنما قال أيضاً "وأوجد فيه" ...

أبو الآباء ابراهيم – من أجل الرب – ترك أهله وعشيرته وبيت أبيه، إلى الأرض التى يريه الرب إياها (تك١٢: ١) ، لأن هناك يلتقى بالرب ويعيش معه .. وكأنه يقول للرب : أنا يارب ليس لى أهل ولا عشيرة ولا أرض . أنت لى كل شئ، وليس سواك.

منذ التقيت بك، لم أعد أعرف أحداً غيرك ...

بهذا يفرغ الإنسان قلبه من كل شئ ، ليصير قلبه مسكناً لله ...

✠ ✠ ✠

فهل قلبك أنت أيضاً مسكن لله ، أم أجّرته من الباطن لآخرين ؟!

وهل إذا قال لك الرب "يا ابنى اعطنى قلبك" .. تقول له "لقد جئت يارب متأخراً!! سبقك آخرون وأخذوه . قلبى أخذه فلان من الناس ، وأخذته منى شهوات ورغبات . لو كان قلبى شاغراً، لقدمته لك . ولكنه للأسف مشغول !!

عندما خلق الله الإنسان، كان الله بالنسبة إلى هذا الإنسان، هو الكل فى الكل. ثم بدأت محبات أخرى تدخل إلى قلب الإنسان وتشغله . ومن ذلك الحين قلّ التقاؤه بالرب . بل بدأ يهرب من وجه الله !!

يعوزنا إعادة تقييم الأمور ، بحيث نشعر بقيمة الحياة من الله . هذه التى من أجلها يمكن أن نتخلى عن كل شئ، لنلتقى بالله .

✠ ✠ ✠

إن أردت أن تلتقى بالله ، يعوزك أن تلتقى به فى الهدف والمشيئة .

وعلى رأى المثل "من شروط المرافقة الموافقة" .. فهل مشيئتك توافق مشيئة الله، أم لك افكار أخرى واتجاهات ؟! حقاً، ما أجمل قول القديس بولس الرسول "أما نحن فلنا فكر المسيح" (١كو٢: ١٦) . ولذلك نحن نقول للرب باستمرار فى الصلاة الربية "لتكن مشيئتك". إننا نلتقى به فى هذه المشيئة .

✠ ✠ ✠

ونحن نلتقى بالله فى الصلاة ، وقراءة الكتاب .

على شرط أن تكون الصلاة روحية وبحب . لأنه قد يصلى الإنسان ولا يشعر بمتعة . لأنه لا يلتقى بالله فى صلاته ! أما علامة المتعة باللقاء مع الله فى الصلاة ، فهى أنك إن صليت تشعر أنك لا تستطيع أن توقف صلاتك. قال مار اسحق عن هؤلاء الذين يلتقون بالله فى صلواتهم "من حلاوة اللفظة فى أفواههم وقت الصلاة، لا يشاءون أن يتركوها لينشغلوا بلفظة أخرى" .

وتلتقى بالله فى كتابه: إن كان فى ناموس الرب مسرتك. وفى ناموسه تلهج نهاراً وليلاً (مز ١) .



الثبات فى اللـــه

لا يكفى أن تعرف الله ، إنما يجب أن تثبت فيه .

ولا يكفى أن تحبه ، بل من المهم جداً أن تثبت فى محبته .

وأود هنا أن أكلمكم عن الثبات فى الرب ، والأسباب التى تدعو إلى هذا الثبات ، والأسباب التى تزعزعه ...

أهمية الثبات فى اللـه

إن الرب لم يكتف بأن يقول لنا "أنتم فى ، وأنا فيكم" (يو١٤: ٢٠) ، وإنما قال أكثر من هذا "اثبتوا فىّ، وأنا فيكم" (يو١٥: ٤) .

وضرب لذلك مثلاً بثبات الغصن فى الكرمة .

هذا الغصن الذى يثبت فى الكرمة، كأنه قطعة منها، لا ينفصل عنها ولا يبتعد . تتمشى فيه عصارتها ورحيقها فيتغذى بهما، ويصير هو وهى واحداً ...

بغير هذا الثبات تنتهى حياة الإنسان الروحية ...

كالغصن الذى لا يثبت فى الكرمة "يطرحونه خارجاً ، فيجف، ويجمعونه، يطرحونه فى النار فيحترق" .

ويقدم القديس بولس الرسول مثلاً عن الغصن الذى صار "شريكاً فى أصل الزيتونة ودسمها" ويقول له "أنت بالإيمان ثبتّ .. هوذا لطف الله وصرامته .. أما اللطف فلك، إن ثبتّ فى اللطف، وإلا فأنت أيضاً ستقطع" (رو١١: ١٧، ٢٢) .



وكما يشبه الرب الإنسان المؤمن بالغصن الذى ثبت فى الكرمة، يشبهه أيضاً بالبيت الذى بنى على الصخر (مت٧) .

هذا البيت : نزل المطر ، وجاءت الأنهار، وهبت الرياح، ووقعت كلها عليه وصدمته، فلم يسقط ، لأجل ثباته ، لأجل أصله القوى، إذ هو مؤسس على الصخر .. أما البيت المؤسس على الرمل، فلم يكن له ثبات ...

واعطانا الرب تشبيهاً آخر ، هو الزرع الجيد فى مثل الزارع (مت١٣) .

هذا الزرع الجيد الذى له جذور ثابتة فى الأرض ، أعطى ثمراً ثلاثين وستين ومائة. أما الذى لم يكن له أصل، فقد جف. والذى لم يكن ثابتاً فى التربة، وإنما مُلقى على الطريق، فقد التقطته الطيور، كذلك الذى خنقته الأشواك ...

أما أولاد الله ، فإنهم دائماً ثابتون ، لا تقوى عليهم الطيور ، ولا الأشواك، ولا الجفاف .. لا تزعزعهم العثرات ولا التجارب ...

✠ ✠ ✠

أمثلة وأسباب

إن بولس الرسول يعطينا مثلاً رائعاً عن الثبات فى الرب، فيقول فى استغراب واستنكار ، وفى تعجب وإندهاش :

"من سيفصلنا عن محبة المسيح : أشدة أم ضيق ، أم اضطهاد، أم عرى أم خطر.. لكننا فى هذه جميعها يعظم انتصارنا بالذى أحبنا" (رو٨) . فيرى أن كل هذه الشدائد ، ليست فقط لا تزعزع الثبات فى الرب، بل أن فيها كلها يعظم الإنتصار ...!

وهكذا يستطرد الرسول الثابت فى الرب، فيقول فى ثقة : فإنى متيقن أنه لا موت ولا حياة، ولا ملائكة ولا رؤساء ملائكة ولا قوات، ولا أمور حاضرة ولا مستقبلة، ولا علو ولا عمق ، ولا خليقة أخرى، تقدر أن تفصلنا عن محبة الله التى فى المسيح يسوع ربنا" (رو٨: ٣٨، ٣٩) .

✠ ✠ ✠

نفس الدرس نأخذه من الشهداء والمعترفين الذين تعرضوا لكل أنواع التعذيب والآلام، وظلوا ثابتين فى الإيمان لم يتزعزعوا ...

لم تستطع كل قسوة التعذيب من سلخ وجلد، ونزع الأظافر والأسنان ، والحرق والسحل.. أن تنال من قلوبهم الثابتة القوية . بل قابلوا كل ذلك بفرح، وكانوا يرتلون فى السجون ... كما قيل عن الآباء الرسل بعد سجنهم وجلدهم "فخرجوا فرحين، لأنهم حُسبوا

مستأهلين أن يهانوا لأجل إسمه" (أع٥: ٤١) .

✠ ✠ ✠

إن الإنسان الثابت في الرب ، هو الثابت في محبته . علاقته بالله ليست مجرد شكليات أو ممارسات، أو طاعة أو قهر للذات .

إنما هى محبة ملتهبة ، من النوع الذى قال عنه الكتاب "المحبة لا تسقط أبداً" (١كو١٣: ٨) "المحبة قوية كالموت .. مياه كثيرة لا تستطيع أن تطفئ المحبة" (نش٨: ٦، ٧) . هذه المحبة تعطى ثباتاً فى الرب .

والثبات فى السيد المسيح هو ثبات فى محبته ..

وفى هذا يقول الرب "اثبتوا فى محبتى" (يو١٥: ٩) . ويقول الرسول "الله محبة . من يثبت فى المحبة ، يثبت فى الله، والله فيه" (١يو٤: ١٦) .

✠ ✠ ✠

الإنسان الثابت فى الرب هو إنسان راسخ لا يتزعزع .

محبته لا تسقط أبداً، مهما كانت العوائق ، فهى لا تستطيع أن تهزه . لذلك يقول الرسول "إذن يا أخوتى الأحباء، كونوا راسخين غير متزعزعين ، مكثرين فى عمل الرب كل حين عالمين أن تعبكم ليس باطلاً فى الرب" (١كو١٥: ٥٨) .

✠ ✠ ✠

هناك أشخاص لا يثبتون فى الرب بسبب الوسط أو البيئة أو الظروف الخارجية. لكن الأشخاص الراسخين مهما كانت الأسباب المحيطة يظلون ثابتين .

أبونا نوح ، كل الوسط المحيط به كان وسطاً خاطئاً جداً، حتى أن الله أغرق كل ذلك العالم بالطوفان . لكن نوحاً ظل ثابتاً فى الرب، ولو أدى الأمر أن يعبد الله وحده .

من الأمثلة الواضحة فى الثبات تلاميذ المسيح الإثنى عشر، الذين قال لهم الرب:

أنتم الذين ثبتم معى فى تجاربى" (لو٢٢: ٢٨) .

قال لهم هذا، لأن كثيرين آخرين لم يثبتوا معه . من هؤلاء أولئك الذين رجعوا إلى الوراء ولم يعودوا يمشون معه، لما تحدث عن التناول من جسده ودمه (يو٦: ٦٦) حتى أنه قال للإثنى عشر "ألعلكم أنتم أيضاً تريدون أن تمضوا ؟" فأجابه سمعان بطرس "إلى من نذهب يارب، وكلام الحياة الأبدية هو عندك؟!"..

ومن هؤلاء الثابتين أيضاً : أولاد يوحنا الحبيب الروحيون الذين يقول لهم فى رسالته

الأولى "أكتب إليكم أيها الأحداث ، لأنكم أقوياء، وكلمة الله ثابتة فيكم، وقد غلبتم الشرير" (١يو٢: ١٤) .

إن المسيح يريد أن يكون أولاده أقوياء ثابتين، غالبين باستمرار. هؤلاء الثابتون يعرفون هدفهم. ويثبتون عيونهم فى هذا الهدف. لا يتأرجحون بين طريقين، ولا يعرجون بين الفرقتين . وإنما كما قيل عن المسيح إنه كان قد "ثبت وجهه نحو أوشليم" ..

✠ ✠ ✠

هذا الشخص الثابت : هدفه واضح أمامه ، وطريقه واضح أمامه لا يعود يفكر مرة أخرى، ولا يعود يتردد .

لو قرأنا تاريخ الكنيسة لرأينا أمثلة جبارة من الثابتين .

أولئك الذين انتصروا على كل تعذيبات وقسوة نيرون وديوقلديانوس والوالى أريانوس وغيرهم من الوحوش البشرية . كما انتصروا على شكوك الفلسفات وكل الآراء المعارضة "مستأسرين كل فكر لطاعة المسيح" (٢كو١٠: ٥) .

الإنسان الثابت فى الرب ، هو إنسان ليس فقط لا يرتد إلى الوراء وإنما دائماً يمتد إلى ما هو قدام. نموه المستمر يعطيه حرارة والتهاباً ودفعاً لا يلتفت فيه إلى ما حوله . بل يثبت وجهه دائماً نحو أورشليم .

هو إنسان له هدف واضح ثابت أمامه ، لا يتغير ، ولا يتزحزح هو عنه . هدفه هو الله، ومحبته له تزيده ثباتاً فى هدفه، وتزيد محبته اشتعالاً .

مثال ذلك : كوب ساخن تضعه على المائدة فيبرد . أما إناء موضوع فوق النار فإن السائل الذى فيه لا يبرد أبداً ...

كن باستمرار مشتعلاً بالنار ، نار الروح . كن مثل المحرقة فى سفر اللاويين التى قيل إن نارها تتقد دائماً على المذبح ، لا تطفأ ...

"هى المحرقة ، تكون على الموقدة فوق المذبح ، كل الليل حتى الصباح .. والنار على المذبح تتقد عليه. لا تطفأ . ويشعل عليها الكاهن حطباً كل صباح .. ويوقد عليها شحم ذبائح السلامة . نار دائمة تتقد على المذبح . لا تطفأ " (لا٦) .

إن أردت أن تكون ثابتاً فى الرب ، كن كالمحرقة التى تشتعل فيها النار ، ويضاف عليها الوقود باستمرار ، وكذلك شحم ذبائح السلامة . ولا تقصر فى أية واسطة من وسائط النعمة .

إن الثابت فى الإيمان والمحبة لا يتزعزع . بل يعبد الله حتى لو وقف وحده : مثلما فعل نوح فى جيل أغرقه الله بالطوفان ...

ومثلما فعل موسى وسط شعب صلب الرقبة ، ويوسف وسط أجواء الخطية والإغراء، وأرميا فى جيل قال له الرب عنه "لا تصل من أجل هذا الشعب، ولا ترفع من أجلهم طلبة، فإنى لا أسمع لك" (أر٧: ١٦) .

✠ ✠ ✠

الإنسان الثابت فى الله ، ليست علاقته به علاقة واجبات، وأوامر ونواه، لكنها علاقة شخصية ، علاقة ابن بأبيه، محبة وإيمان .

هذه العلاقة لا تؤثر عليها علاقاته الأخرى بباقى البشر ...

فلا يقل أحد غالبية الناس هكذا ، هل أقف وحدى ..؟ ما شأنك يا أخى بالأغلبية؟! أغلبية الناس صلبت المسيح ، فهل تصلبه مثلهم ؟ غالبية الناس غرقت بالطوفان، فهل تغرق مثلهم ؟

إن قدوتك الأولى والعظمى هى حياة السيد المسيح ، ثم سير القديسين الذين كملوا فى الإيمان ...

✠ ✠ ✠

لا يصح أن تسير مع التيار ، فتعلو بعلو الناس ، وتهبط بهبوطهم وتعثر بأخطائهم. كن ثابتاً فى الرب ولا تعثر بأحد ...

لا تتأثر بالناس. فليسقط من يسقط، وقل "أما أنا وبيتى، فنعبد الرب" (يش ٢٤: ١٥).

لا تعثر إن تعب غيرك فى طريق الرب . قد يتعب هو ولا تتعب أنت. ربما له ظروف ومحاربات ليست لك .

لا تعثر من الذين سقطوا ، بل بالحرى صلِ من أجلهم، وكن ثابتاً .

إن كان إنسان يهبط عزيمتك أو يضعف روحياتك ، اهرب منه . فإن الكتاب يقول "إن كانت يدك اليمنى تعثرك ، اقطعها والقها عنك" (مت٥: ٣٠) .

✠ ✠ ✠

مثل الزارع فيه أنواع من الثبات وعدم الثبات .

هناك زرع نما قليلاً ، ولكن الشوك أحاط به فخنقه . وهناك زرع لم يكن له أصل فى الأرض، لم تكن جذوره ممتدة إلى الأعماق ، لذلك فإنه سرعان ما جف . وهناك بذار لم

تثبت : إما لأسباب خارجية، أو لأن التربة غير صالحة .

الأرض الجيدة، فلابد أن تعطى ثمراً جيداً. ولكن الثمر الردئ يأتى من أرض رديئة.

✠ ✠ ✠

إن رياح الخريف لا تهز السنديانة القوية أو البلوطة الراسخة، إنما تسقط الأوراق الجافة الميتة فقط .

لا تستطيع أن تسقط الأغصان الثابتة، ولا حتى الأوراق الخضراء ، لأن فيها حياة تستطيع أن تصارع الضياع . فى تاريخ البلشفية ، عندما قالوا للبطريرك سرجى "إن البلشفية ضيعت المسيحية ، أجاب بعبارته العجيبة العميقة :

"إن البلشفية لم تضيع المسيحية ، ولكنها نقت المسيحية من المسيحيين الشكليين"..

✠ ✠ ✠

إن الأسماك الميتة هى التى تطفو على سطح الماء. أما السمك القوى فيمخر عباب الماء ويقاوم التيار .

الإنسان الثابت فى محبة الله ، لا تستطيع قوة أن تزعزعه .

أما الذى يعتذر بالأسباب الخارجية فهو إنسان ضعيف . لأن الأسباب الخارجية استطاعت أن تهزه . القوى لا يهتز ...

لذلك أعطانا الرب مثال البيت المبنى على الصخر (مت٧) .

ما هى إذن الوسائط التى تجعل الإنسان يثبت فى الله؟ وماذا عن الذين لم يثبتوا ورجعوا إلى الوراء ، أو الذين يعرجون بين الفرقتين ؟ وما أسباب ذلك كله ؟

هذا ما سوف نذكره بمشيئة الله ...

كيفية الثبات فى الله

إن أردت أن تثبت فى الله ، والله فيك، فلتكن علاقتك به علاقة حب، علاقة قلب بقلب .

ذلك لأن هناك أشخاصاً علاقتهم بالله هى علاقة منفعة ، علاقة طلب وأخذ. يسيرون وراء الله لكى يقضى لهم أمورهم ويسهل طريقهم . وإن لم يعطهم الرب ما يريدون ، يغضبون ويتضايقون. وقد ينفصلون عنه !

هم كالطفل الذى يحب من يدلله ومن يعطيه . بعكس الإنسان الناضج روحياً، الذى فى

حبه يبذل ويضحى ويعطى .

هؤلاء ، الله بالنسبة إليهم وسيلة لا غاية !!

ولا يمكن بهذه الحالة أن يثبتوا فى الله ...

✠ ✠ ✠

أما أنت فلتكن علاقتك بالله ، علاقة الحب الذى ينمو إلى أن يصل إلى البذل والعطاء. فتعطى الله قلبك وعاطفتك ، وتجد لذة فى أن تعطيه وقتك. ومن أجله تبذل كل شئ ، حتى ذاتك .. بهذا تثبت فى الله، والله فيك . ولا تهتز علاقتك بالله، ولا تتزعزع .

أبونا ابراهيم أبو الآباء هو مثال لعلاقة الحب والبذل :

أول دعوة إليه من الله ، كانت أن يترك أهله وعشيرته وبيت أبيه ، ويذهب إلى الجبل الذى يريه الله إياه (تك١٢: ١) ... وبعد أن بدأ حياته بهذا الترك والبذل ، رفعه الله إلى مستوى أعلى، بأن يبذل ابنه وحيده الذى تحبه نفسه ، ويذهب ليقدمه محرقة وهو فى عمق الإيمان (تك٢٢: ٢) . ولم يعترض ابراهيم ولا ناقش، بل وذهب لينفذ! .. هكذا كان أبونا ابراهيم ثابتاً فى الله ، لا يعوقه عن الله حتى بذله ابنه الوحيد .

إذن المحبة الثابتة فى الله ، هى أنك لا تحب أحداً أو شيئاً أكثر منه .

أليس هو القائل "من أحب أباً أو أماً أكثر منى، فلا يستحقنى . ومن أحب ابناً أو ابنة أكثر منى، فلا يستحقنى" (مت١٠: ٣٧). ثم أليست الوصية الأولى هى أن "تحب الرب إلهك من كل قلبك ومن كل نفسك ومن كل فكرك" (مت٢٢: ٣٧) (تث٦: ٥) .

وبهذا لا يكون لله منافس فى قلبك ولا فى فكرك .

يصير الله فى قلبك هو الكل فى الكل ، وليس سواه . مثل هذه العلاقة تظل ثابتة لا تهتز .

تقول : وهل معنى هذا أنى لا أحب أحداً سوى الله فقط؟! كلا ، يمكنك أن تحب جميع الناس. ولكن بمحبة داخل محبة الله. وليس فى منافسة مع محبة الله.. ولتكن محبتك للناس جزءاً من محبتك لله. تحبهم لأنه يحبهم . وتحبهم فتدعوهم إلى محبته . وتحبهم فى طهارة وبر .. بهذا تظل ثابتاً فى الله، مهما حاربك الشيطان فى هذا الثبات .

✠ ✠ ✠

الإنسان الذى ينجح فى حروب الثبات، هو الذى جعل هدفه الله وحده، وليس ما يمنحه الله من خيرات ...

هو الإنسان الذى يحب الله من أجل ذاته ، وليس من أجل خيراته . فالإنسان الذى يحب خيرات الله، إذا قلت هذه الخيرات تتزعزع صلته بالله . إذا رسب فى امتحان، أو لم يشف مريض له ، أو إذا وقع فى تجربة ، حينئذ يهتز إيمانه ويتعب ...

لتكن محبة الله هى غذاؤك وشرابك ، كما يقول الكتاب :

"ذوقوا وأنظروا ما أطيب الرب" (مز٣٤: ٨) .

وبذلك تحيا روحك بكل كلمة تخرج من فم الله (مت٤: ٤) . وفى حبك لله تقول له "تحت ظلك اشتهيت أن أجلس" (نش٢: ٣) . "شمالك تحت رأسى، ويمينك تعانقنى" (نش٢: ٦). هى إذن ليست علاقة رسمية، ولا محبة سطحية . ذلك لأن المحبة السطحية لا تثبت، ولا العلاقة الرسمية تثبت..

✠ ✠ ✠

فهل أنت كذلك ، أم الله بالنسبة إليك هو الإله البعيد ...

الإله البعيد جداً .. فى سماء السموات . بينك وبينه مسافات طويلة، وفواصل..! ولست تشعر بوجوده فى داخلك وفى أعماقك ..! أتظنك بهذا تثبت فيه؟! كلا، بل تثبت فى الإله الذى تشعر أنك به تحيا وتوجد وتتحرك (أع١٧: ٢٨) ... الله الذى تقول عنه: "حبيبى لى، وأنا له، الراعى بين السوسن" (نش٦: ٣) .

تشعر أنها علاقة عشرة طويلة ، سرت فيها مع الله ، واختبرته ، وذقت حلاوة محبته.

وإن لم تكن عشرة طويلة ، فعلى الأقل هى عشرة عميقة ...

مثال ذلك أوغسطينوس ، الذى لم تكن له بالله عشرة طويلة. إذ قال له "تأخرت كثيراً فى حبك أيها الجمال غير المدرك" . ولكنه منذ عرفه صارت عشرته معه عميقة جداً، أعمق من كثيرين جداً ممن سبقوه ... هذه هى المعرفة الثابتة والمحبة الثابتة ...

✠ ✠ ✠

حقاً . هناك أشخاص حينما يعرفون الله، يندمون على كل حياتهم السابقة لمعرفته .

وهناك آخرون: عندما يعرفون الله ، يندمون على معرفتهم له، لأنهم حملوا صليباً بسببه.. شعروا بصليبهم ثقيلاً، إذ جربوا عبارة "فى العالم يكون لكم ضيق" (يو١٦: ٣٣).. أو تعبوا قليلاً فى تنفيذ الوصية . أو تعبوا فى قهر الذات . فصار الله ثقلاً عليهم !!

حملوا صليب الله على أكتفاهم ، ولم يحملوه داخل قلوبهم .

لم يختبروا قول الرب "نيرى هين، وحملى خفيف" (مت١١: ٣٠) . فتذمروا على

الحياة مع الله . ولم يستطيعوا أن يثبتوا فيه، بل رجعوا إلى الوراء وارتدوا .

✠ ✠ ✠

والبعض عاشوا فى علاقة سطحية شكلية مع الله ، فلم يثبتوا .

علاقة فريسية ، مجرد الثبات فى أوامر ونواهٍ، بدون روح، وبدون حب، شأنهم شأن الناموسيين . فلم يثبتوا ... ينفذون الوصايا، بأسلوب عبد يطيع سيده، ولو بدون اقتناع ، وليس من قلوبهم . وقد يستمرون على هذه الحال فترة، ثم لا يستطيعون أن يستمروا . وتكون علاقتهم هى مع الناموس، وليس مع الله .

✠ ✠ ✠

أريدكم أن تخرجوا من نطاق الحرام والحلال ، والشر والخير ، والناموس والوصايا، وتدخلوا فى دائرة الحب الإلهى .

رابطة الحب التى تربطك بالله، هى أعلى من الناموس والوصايا . ولذلك وضعها الرسول الأولى فى ثمار الروح القدس (غل٥: ٢٢) .

إن الفضائل الصادرة عن الحب هى المقبولة من الله . أما الخالية من الحب، فقد قال الرب عنها لليهود "مللت حملها. صارت علىّ ثقلاً" (إش١: ١٤) .

لا يصح أن نبتدئ بالأمور الخارجية، وننسى المحبة القلبية. فلنحب الله أولاً. ولتكن كل هذه الفضائل تعبيراً عن الحب، ونتيجة له، وإحدى لوازمه. ولا تكن مستقلة وحدها.

لذلك ركز السيد المسيح كل توبيخه لملاك كنيسة أفسس فى عبارة واحدة : "عندى عليك أنك تركت محبتك الأولى" (رؤ٢: ٤) .

✠ ✠ ✠

إن أردت أن تكون ثابتاً فى محبة الله، احترس من محبة العالم التى قال عنها القديس يعقوب الرسول : **"محبة العالم عداوة لله" (يع٤: ٤)** .

والتى قال فيها القديس يوحنا الرسول "لا تحبوا العالم ولا الأشياء التى فى العالم. إن أحب أحد العالم فليست فيه محبة الآب" (١يو٢: ١٥) .

ديماس مساعد بولس الرسول فى أعمال الكرازة ، لم يستطع أن يثبت، وإنما يقول عنه القديس بولس "ديماس تركنى لأنه أحب العالم الحاضر" (٢تى٤: ١٠) . هناك أشخاص من هذا النوع، يتركون محبتهم لله، ويحبون العالم الحاضر، ويتركون بولس والكرازة . أما أنتم فكونوا ثابتين غير متزعزعين.

بل هناك من تركوا الرب نفسه "رجعوا إلى الوراء، ولم يعودوا يمشون معه" (يو٦:

٦٦) . لأنهم لم يكونوا ثابتين . أما الثابتون فقالوا له "يارب إلى من نذهب؟! كلام الحياة الأبدية هو عندك" (يو٦: ٦٨) .

إمرأة لوط أيضاً مثال للذين لم يثبتوا ، لأنها نظرت إلى الوراء (تك١٩: ٢٦) . لذلك قال الكتاب : "**ليس أحد يضع يده على المحراث، وينظر إلى الوراء ، يصلح لملكوت الله**" (**لو٩: ٦٢**) .

لاشك أن إمرأة لوط لم تخرج بكل قلبها من أرض سادوم، لذلك لم تثبت ، ونظرت إلى الوراء .

✠ ✠ ✠

هناك أشخاص لا يثبتون، لأن فى طبيعتهم التردد، أو التقلب، أو فى طبيعتهم ضعف وعدم صلابة ...

هم أشخاص لا يحتملون المقاومة لمدة طويلة .. الواحد منهم ربما يقاوم الخطية يوماً، أو يومين، أو عدة أيام ، أو شهوراً.. ثم يتعب ويستسلم . إنه غير ثابت ، طبيعته ليست صلبة، ليست قوية ... أو هى طبيعة مترددة متقلبة لا تثبت على حال .. تفشل بسرعة ، وتيأس بسرعة، ترجع بسرعة ...

✠ ✠ ✠

أما أنت فكن ثابتاً ، ولا تأبه لحروب الشياطين .

من الجائز أن يشن عليك الشيطان كل حروبه: يحاربك بالأفكار ، يحاربك بالشهوات، يحاربك بالإغراءات ، يحاربك بالمال، بالشهرة، بالكبرياء ، يحاربك محاربات منظورة وأخرى غير منظورة ، محاربات سريعة وأخرى إلى مدى طويل .. ولكنه فى كل ذلك ، لا سلطان له عليك. بل أنت أعطيت سلطاناً أن تدوس الحيات والعقارب وكل قوة العدو (لو١٠: ١٩). أثبت إذن فى الحروب ، وكن قوى القلب ...

✠ ✠ ✠

إن الرب يريدنا أن نثبت على الدوام ، لذلك قال :

"**من يصبر إلى المنتهى ، فهذا يخلص**" (**مت٢٤: ١٣**) .

... "إلى المنتهى" لأن الحياة الروحية ، ليست ليوم أو يومين، أو تداريب مؤقتة، إنما هى حياة، هى العمر كله. يصبر فيها الإنسان إلى آخر لحظة، إن الذى يصبر إلى المنتهى، هو ولاشك شخص ثابت . ولهذا قال الرب أيضاً "كن أميناً إلى الموت، فسأعطيك إكليل الحياة" (رؤ٢ : ١٠). عبارة "إلى الموت" تعنى الثبات الدائم مدى الحياة ...

هناك عوامل وضعها الكتاب المقدس للثبات فى الله، نحاول أن نستعرضها أمامنا لنخرج بالقواعد الروحية اللازمة للثبات فى الرب .

★ من العناصر اللازمة للثبات ، التناول من جسد الرب ودمه . لأنه يقول "من يأكل جسدى ويشرب دمى، يثبت فىّ وأنا فيه" (يو٦: ٥٦) .

★ من وسائل الثبات أيضاً حفظ الوصايا والسلوك الروحى السليم . فالرب يقول "إن حفظتم وصاياى تثبتون فى محبتى، كما أنى أنا قد حفظت وصايا أبى وأثبت فى محبته" (يو١٥: ١٠). وكما قال يوحنا الرسول عن الرب "من قال إنه ثابت فيه، ينبغى إنه كما سلك ذاك، هكذا يسلك هو أيضاً" (١يو٢: ٦) .

★ إرجع إلى القراءات التى كانت تؤثر فيك قديماً ، وإلى ما كان يؤثر فيك من تأملات وعظات وقداسات وألحان ...

✠ ✠ ✠

★اعرف نفسك، واعرف الأشياء التى تقويها ، والتصق بها .. لا تترك نفسك بدون وقود يشعلك ...

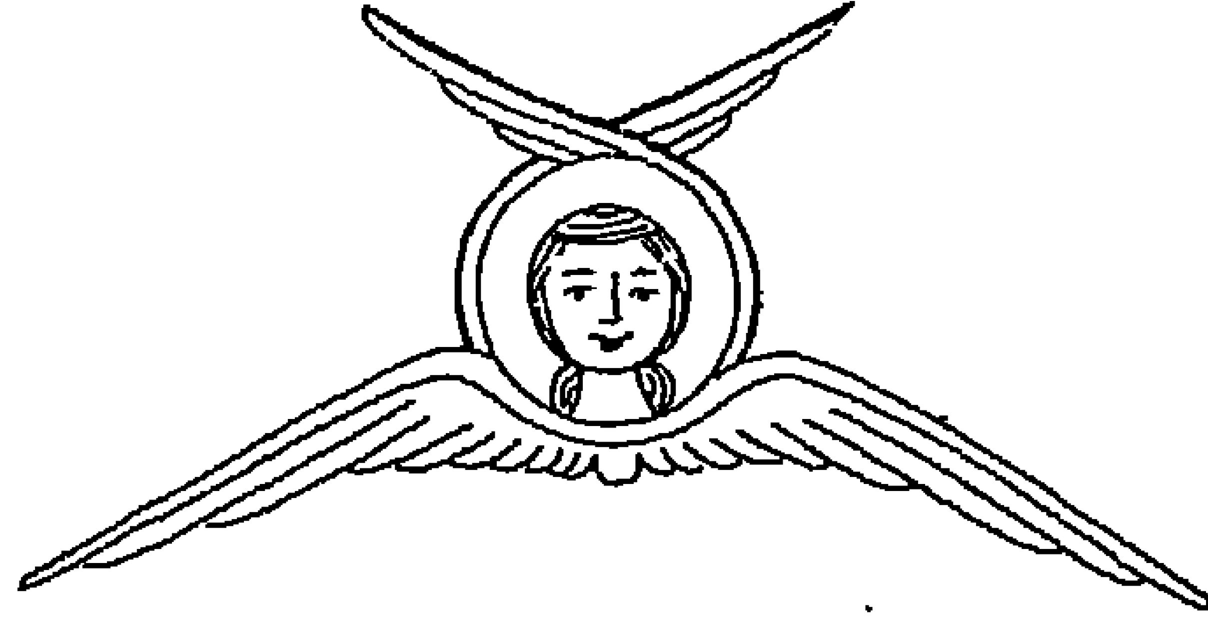
★لا تتراخ ولا تتهاون . فإن الذين تراخوا وتهاونوا وتكاسلوا ، وصلوا إلى الاستهتار وإلى اللامبالاة بعد حين ...

عندما تكلم السيد المسيح عن أواخر الأيام، لعله كان يقصد أيضاً هذا الثبات. لأنه قال إنه فى الأيام الأخيرة، سيحل الشيطان قليلاً من سجنه ليضل الأمم ، ويحدث الإرتداد العظيم ، ولو أمكن يضل المختارين أيضاً . ولكن من رحمة الله أنه سيقصر تلك الأيام. ولو لم يقصرها ما كان يخلص أحد (مت٢٤: ٢٢) .. كلام خطير ، يحتاج إلى ثبات .

✠ ✠ ✠

إن الكنيسة يلزمها أن تثبت أولادها كثيراً فى الإيمان ، حتى إذا حل الشيطان من سجنه ، وأتت أيام الإرتداد ، تبقى الكنسية ثابتة .

لأنه فى تلك الأيام سيعمل الشيطان بكل قوة ، وبآيات وعجائب كاذبة، وبكل خديعة الإثم فى الهالكين" (٢تس٢: ٩، ١٠) . وكما قال المسيح لتلاميذه : الشيطان مزمع أن يغربلكم.." (لو٢٢: ٣١). إذن كونوا راسخين غير متزعزعين" (١كو١٥: ٥٨).



الهاربون من الله

الهروب من الله قديم جداً ، منذ بدء الخليقة ، من أيام أبينا آدم ...

أسباب للهروب

★آدم هرب من الله ، بسبب الخوف ، عندما أخطأ .

أختبأ من الله خلف الشجرة، وقال للرب "سمعت صوتك فى الجنة فخشيت ، لأنى عريان فاختبأت" (تك٣: ١٠) .

عندما كان يرتبط مع الله بعامل الحب، لم يكن يخاف ، ولم يكن يهرب. كان يشتهى لقاء الله . أما الآن فإن مقابلة الله عسيرة عليه، لذلك يهرب منه .

✠ ✠ ✠

★يونان النبى هرب أيضاً من الله ، عندما اختلف فكره مع فكر الله .

بسبب كبرياء يونان واعتداده بكرامته الخاصة .

لقد أمره الله أن يذهب إلى نينوى وينادى عليها بالهلاك . وكان يعرف أنهم إن تابوا بمناداته سيعفو الله عنهم . وحينئذ تسقط كلمته بسبب مغفرة الله . لذلك هرب من الرب . وكان صريحاً فى عتابه معه (يون٤) .

✠ ✠ ✠

★إيليا النبى هرب من إيزابل ، وفى الواقع أنه كان هارباً من الله أيضاً، بسبب المشاكل والضيقات التى هدد فيها بالموت ... حتى قابله الله فى الطريق وقال له "مالك ههنا يا إيليا؟!" . فقال "غرت غيرة للرب إله الجنود. لأن بنى إسرائيل قد تركوا عهدك ونقضوا مذابحك، وقتلوا أنبياءك بالسيف . فبقيت أنا وحدى. وهم يطلبون نفسى ليأخذوها" (١مل١٩: ١٤). كان يجب على إيليا أن يكون عنده ثقة فى حماية الله له، بدلاً من هذا الهروب ..

إذن هناك أشخاص يهربون من الله بسبب المشاكل المحيطة بهم .

فتشغلهم ، وتشغل أفكارهم ، فيبعدون عن الله . أما أنت فإن أحاطت بك مشكلة، اذهب إلى الله. افتح له قلبك . اكشف له عن متاعبك . إشركه معك، لا تهرب منه .

✠ ✠ ✠

★إنسان يهرب من الله ، لأنه متأثر من الشعور باهمال الله له .

(واخد على خاطره من ربنا) شاعر أنه واقف وحده فى مشاكله، بلا معونة، بلا انقاذ، والله متباعد . مثل هذا عليه أن يعاتب الله كما عاتبه داود قائلاً "لماذا يارب تقف بعيداً؟! لماذا تختفى فى أزمنة الضيق" (مز ١٠: ١) . "لماذا كثر الذين يحزنوننى. كثيرون يقولون لى: ليس له خلاص بإلهه" (مز ٣) .

✠ ✠ ✠

★هناك أشخاص يهربون من الله بسبب الشهوة .

يشعرون أن تقابلهم مع الله سيحرمهم من شهواتهم التى لا يريدون تركها .

مثال ذلك الوجوديون الملحدون ، الذين يرون أن وصايا الله تمنعهم من تحقيق شهواتهم وتحقيق وجودهم فيها . فيكون شعور الواحد منهم : من الخير أن الله لا يوجد، لكى أوجد أنا !!

يوجد إنسان يقول "أنا تعبان ، ولكنى مستريح لهذا الوضع !!

إن سرت مع الله ، سأنقسم على ذاتى ، سأدخل فى صراع بين الروح والجسد ، وصراع بين الخير والشر . وأنا لا أريد أن أدخل فى صراعات ...

كثيرون من هذا النوع لا يريدون أن يواجهوا الواقع إطلاقاً، لأنهم يخافونه . كإنسان مريض بمرض خطير، يهرب من الطبيب، ومن الكشف، ومن الأشعة والتحاليل. لكى يستريح ، ولو راحة وهمية، هارباً من الواقع ، لأن الواقع يتعبه .

✠ ✠ ✠

★وقد يهرب إنسان من الله ، لأن الله يكلفه برسالة تتعبه .

وهو لا يريد أن يتعب نفسه. فيقول إن الله نيره ثقيل وحمله صعب .. بينما يقول السيد المسيح "إن نيرى هين، وحملى خفيف" (مت١١: ٣٠) . ويقول القديس يوحنا الحبيب عن الله إن "وصاياه ليست ثقيلة" (١يو٥: ٣) ...

مثال ذلك إنسان يهرب من الخدمة ومتطلباتها وأعبائها ومسئولياتها العديدة .. إنه

هارب من الله .

من هذا النوع الذى هرب من الخدمة موسى النبى وارميا النبى .

عندما أرسل الله موسى النبى لمقابلة فرعون ، هرب من هذه المهمة وقال أنا لست صاحب كلام ، لا اليوم ولا أمس ولا قبلاً من أمس" "أنا إنسان ثقيل الفم واللسان، ربما لا يسمع لى فرعون" (خر٤: ١٠) .

كذلك أرميا الذى اعتذر عن الخدمة بقوله للرب "لا أعرف، أن أتكلم لأنى ولد" (أر١: ٦).. ولكن الله رفض اعتذار كل من موسى وإرميا، ووعدهما بقوة من عنده ...

✠ ✠ ✠

★إنسان آخر يهرب من الله لأن بابه ضيق وطريقه كرب (مت٧: ١٤) .

يشعر أنه حالما يدخل فى طريق الله ، سيدخل فى الضيق . فهو هارب من الله هرباً من صليبه . الناس يريدون شخصاً يكون مثلهم، يجاريهم فى طريقهم، ويتمشى معهم فى أساليبهم ، يضحك لضحكهم ولو بمجون، ويرضى عن عملهم ولو كسراً للقانون، ويغطى على سرقاتهم وأكاذيبهم ولو يكذب لينقذهم!! فإن لم يفعل يضطهدونه ويتعبونه . لذلك فهو يهرب من طريق الرب ...

✠ ✠ ✠

★أحياناً يجد الإنسان أن البعيدين عن الله مستريحون ، بينما أولاد الله فى مذلة وضيق ، فيقول الأفضل لى أن ابعد مثلهم ...

أولاد العالم يستطيعون أن ينجوا أنفسهم بحيل كثيرة ، ويقضوا مصالحهم بأنواع وطرق شتى: بكذبة بسيطة تتغطى كل غلطة ، بشهادة مرضية مزورة يبرر كل غياب ، بالرشوة والمحسوبية يقضى كل عمل، بالتساهل فى الأخلاقيات يمكن كسب عديد من الأصدقاء.. بعبارتين من عبارات التملق يمكن كسب الرؤساء ويمكن خداعهم ، وبشئ من الرياء الخفيف يمكن الحصول على إحترام الناس .. وبضربة قاسية ومؤامرة خفية يمكن التخلص من جميع المقاومين ... !!

أما أولاد الله فطرقهم مسدودة ، وحيلهم قليلة ، وكثيراً ما يفشلون .

لذلك يهرب كثيرون من الله . إنه لم يعد يناسب العصر ، ووسائله ليست ناجحة!! ولهذا يصرخ نبى عظيم مثل ارميا ويقول "أبر انت يارب من أخاصمك. ولكنى أكلمك من جهة أحكامك: لماذا تنجح طريق الأشرار؟! أطمئن كل الغادرين غدراً!!" (أر١٢: ١) .

★هناك إنسان يهرب من الله ، لأنه لا يريد أن يتحمل مسئولية خطيته ...

ولا يريد أن يجابه نتائج الخطية ، أو يتحمل مطالب التوبة .. يقول لك : ماذا تعنى بأن أتوب؟ هل أرجع وأتذكر خطاياى، وأبكت نفسى، وأدخل فى مذلة الندم والبكاء وتبكيت النفس وتعب الضمير؟" مالى وكل هذا؟ . أتريد منى أن أدخل فى عقدة الذنب؟ Sense of guilt . أتركنى مسترخياً فهذا أفضل . مثل هذا كإنسان عنده دمل أو خراج. لا يريد أن يفتحه ولا أن يعصره ، ويداوم العصر حتى ينظفه تماماً ويربطه . بل يريد أن يتركه هكذا ويستريح !!

التوبة صعبة فى نظر هؤلاء، وطرق العالم حلوة ولطيفة وسهلة، وإنامة الضمير، تسعد الإنسان ولو إلى حين .

هؤلاء يعيشون فى حالة تخدير روحى، فى حالة لاوعى بالنسبة إلى ضمائرهم . هم يهربون من الواقع ، ومن مواجهة أنفسهم . ويهربون من التوبة ومن متطلباتها ..

✠ ✠ ✠

★إنسان آخر يهرب من الله بسبب اليأس !

يقول إننى مهما عملت ، فلن أستطيع أن أرضى الله !! إنه يطالبنا بالقداسة وبالكمال (مت٥: ٤٨). بل يقول أيضاً "متى فعلتم كل ما أمرتم به، فقولوا إننا عبيد بطالون.." (لو١٧: ١٠) . ولهذا كثيراً ما نرى القديسين يبكون على خطاياهم! ومادام الطريق طويلاً، ولن يمكننى أن أبلغه، فالأفضل أن أتركه !!

★وهناك من يهرب من الله، لأن لديه شيئاً يحرص عليه ، فيخاف عليه من الله.

هناك من يحرص على ما له أو كرامته أو ملاذه . بل قد يصل الأمر بحرص الإنسان إلى وضع مهين . كأن يهرب شاب من الله لأنه يحرص على طول شعره ، أو تهرب فتاة من الله لأنها تحرص على تربية وتلوين أظافرها!! كأن الله فى كفة ، وهذه التفاهات فى كفة أرجح !!

✠ ✠ ✠

الخطير فى الأمر ، أن الذين يهربون من الله ، يهربون من كل ما يتعلق به : يهربون من الكنيسة ، من الإجتماعات، من التناول، من أب الإعتراف ، من الكتاب المقدس ، من كل ما يذكرهم بالله !

✠ ✠ ✠

نصيحة للهاربين

لهؤلاء الهاربين أقول كلمتين :

أولاً : مهما هربتم سيبحث الله عنكم ، ولن تستطيعوا الهروب .

ثانياً : إن طريق الله ليس كئيباً ، وليس صعباً كما تظنون .

صدق داود حينما قال "أين أهرب من روحك ؟ ومن وجهك أين أختفي؟!" (مز ١٣٩: ٧) . لا آدم استطاع أن يهرب ، ولا يونان ...

أنت لن تستطيع الهروب ، والهروب ليس من صالحك . يجب أن تواجه الواقع، وتواجهه في شجاعة وفي صراحة .

✠ ✠ ✠

وأول واقع تواجهه هو أبديتك .

هل يتفق طريق الأبدية، وطريقك الحالي؟ إلى أين يوصلك سلوكك الحالي؟ إلى أين، وإلى متى؟ افرض أنك استطعت أن تخدر ضميرك، فهل سيبقى مخدراً إلى الأبد ؟ وعندما يصحو ، ماذا تفعل بكل هذا الماضي؟ إذن واجه الواقع ...

ماذا يستفيد الإنسان لو ربح العالم كله وخسر نفسه ؟!

✠ ✠ ✠

لابد إذن أن تتقابل مع الله .

ولكي تتقابل مع الله ، ينبغي أن تتقابل أولاً مع نفسك .

أجلس مع نفسك أولاً مثلما جلس الإبن الضال إلى نفسه وفكر في حالته ووجد الحل... تقابل مع الواقع . كن صريحاً مع نفسك . لا تهرب من الحقيقة ، ولا تعطِ للأمور أسماء غير أسمائها ، ولا تخدع نفسك .

لا تظن أن الله مخيف ، أو أنه سيرفضك . الابن الضال لما رجع إلى أبيه تلقاه بالأحضان الأبوية ، وذبح له العجل المسمن .

✠ ✠ ✠

مشكلة كبيرة تواجه الناس : وهي كيف سيترك الخطية مع أنه يحبها !!

يظن الشخص أنه سيترك الخطية ويظل بنفس القلب الذي يشتهيها. كلا، إن الله سيهب له قلباً جديداً وروحاً جديداً، قلباً نقياً لا يحب الخطية بل يرفضها، ولا يجد تعباً في البُعد عنها .

✠ ✠ ✠

أنت الآن تشعر بثقل الوصية وصعوبتها ، لأنك فى بداية الطريق ، ولم تصل إلى محبة الله بعد . هذا الوضع سوف لا يستمر .

إن الصراع القائم بين الجسد والروح "الروح يشتهى ضد الجسد ، والجسد يشتهى ضد الروح " (غل٥: ١٧). هو صراع فى أول الطريق فقط، هو جهاد المبتدئين. وإنما فيما بعد، عندما يسمو الجسد ويتطهر ويتقدس، سوف لا يشتهى ضد الروح، وسوف لا يكابد صراعاً، وسيدخل فى راحة أولاد الله .

✠ ✠ ✠

إن الباب الضيق الذى دعانا إليه الرب ، ليس ضيقاً على الدوام وإنما هو فى أوله فقط، ثم ندخل إلى السعة .

ضيقه الأول ، هو اختبار لإرادتنا. هل نحن مستعدون أن نحتمل من أجل الله أم لا . فإن أظهرنا استعدادنا ، وصبرنا، وجاهدنا، تفتقدنا النعمة وترفع الثقل عنا. كذلك الصليب، سنحمله فى فرح، ونسير به نحو الجلجثة ، حتى إن خررنا تحته، سيرسل الله لنا قيروانياً يحمله عنا فى الطريق ...

✠ ✠ ✠

إن الشيطان يحاول أن يخدعك حينما يصور لك صعوبة الطريق وطوله ، وصعوبة التوبة واستحالتها .

بالنعمة ما أسرع أن تتحول من خاطئ إلى قديس . ليس من خاطئ إلى تائب ، بل إلى قديس . هكذا حدث لمريم القبطية ، وبيلاجية، وموسى الأسود، وغيرهم. الله سيتكفل بك، وستجد فى الوصية لذة ، وفى طريق الله متعة ...

✠ ✠ ✠

ولا تظن أن أولاد الله حزانى، وأولاد العالم فى فرح. بل إن أمور العالم فى أولها حلوة وآخرها مرارة . وطرق الله فى أولها مرارة، وفى آخرها حلوة .

وإن كان أولاد الله سيظهرون تعابى من الخارج، لكنهم سعداء وفرحون فى الداخل. كما قال بولس الرسول "كحزانى . ونحن دائماً فرحون. كأن لا شئ لنا، ونحن نملك كل شئ" .. (٢كو٦: ١٠) .

ملاحظات

الإنسان الهارب من الله هو إنسان لم يعرف الله، لم يذق حلاوته، ولم يجرب عشرته.

الهارب من الله هو إما إنسان جاهل بالله، أو خائف منه. إنسان لم تربطه بالله علاقات الحب، بل هو بعيد عن الخبرات الروحية .

✠ ✠ ✠

الإنسان الذى ذاق الله ، لا يمكنه أن يهرب منه ، قد يبتعد إلى حين ، ولكن لا يمكنه الإستغناء عنه . الله بالنسبة إليه أكثر من الدم الذى يجرى فى عروقه ، وأكثر من الهواء الذى يتمشى فى رئتيه . هو ألزم إليه من ذاته .

الإنسان الذى جرب الله وحلاوته ، يقول كما قالت عذراء النشيد "أمسكته ولم أرخه". يسعى وراء الله ويبحث عنه ، يريد أن يوجد فيه، ويحيا فيه، ويثبت فيه. يصير الله بالنسبة إليه هو الكل فى الكل وليس سواه .

✠ ✠ ✠

الإنسان الذى ذاق عشرة الله ولو إلى لحظة ، تظل هذه المذاقة فى قلبه وفى فكره مدى الحياة .

مهما بعد يتمنى أن يرجع إليه . وإن فترت محبته يشتاق أن تلتهب من جديد .

الذين قابلهم المسيح على الأرض تركت فيهم المقابلة تأثيراً خاصاً ، حتى المقاومين منهم، فيهوذا الأسخريوطى – لأنه عاشر الرب فترة– لما خان المسيح، تعذب كثيراً، وأرجع المال قائلاً : أخطأت إذ أسلمت دماً بريئاً – وبلغ من تألم ضميره أنه مضى وشنق نفسه ... (مت٢٧: ٣– ٥) .

✠ ✠ ✠

الذى عاش مع المسيح ، يعتبر أن المسيح هو سر حياته كلها . يقول : لى الحياة هى المسيح ..."

أى أننى إذا بعدت عن المسيح ، بعدت عن الحياة . حياتى فيه . أنا أحيا به، وأحيا معه، وأحيا فيه... "به نحيا ونوجد ونتحرك" كما قال بولس الرسول (أع١٧: ٨) .

قال السيد المسيح "أنا الكرمة وأنتم الأغصان" (يو١٥: ١) . الأغصان ثابتة فى الكرمة، كذلك نحن فى المسيح . عصارة الكرمة تتمشى فى كل غصن ، وفى كل ما يحمله الغصن ، فى كل ثمرة، وفى كل زهرة، وفى كل ورقة .. والغصن إذا لم تتمشّ فيه عصارة الكرمة يجف ويموت ... هكذا الإنسان بالنسبة إلى المسيح . **المسيح يوجد فى حياة الإنسان كلها، يتخلل قلبه وفكره وحواسه وعواطفه ، يملؤه كله .**

✠ ✠ ✠

الذى عاش مع الله ، وجرب عمل روح الله فيه ، يحب باستمرار أن يمتلئ من روح الله.. يحب أن روح الله يملأ القلب ، ويملأ الفكر ، ويملأ حياته كلها .

روح الله يعمل فيه كل العمل، حتى إن تكلم ينطق روح الله على فمه ...

لذلك فالهاربون من الله، لم يذوقوا الله المذاقة الحقيقية، ولم يختبروا حلاوة العشرة معه، ولم يختبروا سكنى روح الله وعمله فيهم ... ولهذا ينصحهم المرتل قائلاً : ذوقوا وأنظروا ما أطيب الرب.. (مز ٣٤: ٨) . جربوا عشرته .

✠ ✠ ✠

لا تنظروا إلى الله على اعتبار أنه هو القوة المانعة ، التى تمنعكم من تنفيذ اغراضكم. الذى يقول لكم لا .. لا .. لا تقتل .. لا تسرق .. لا تزن .. لا تشهد بالزور.. لا تشته مال قريبك ...

كلا ، بل الله هو القوة المانحة ، الذى منحك الوجود والمواهب ..

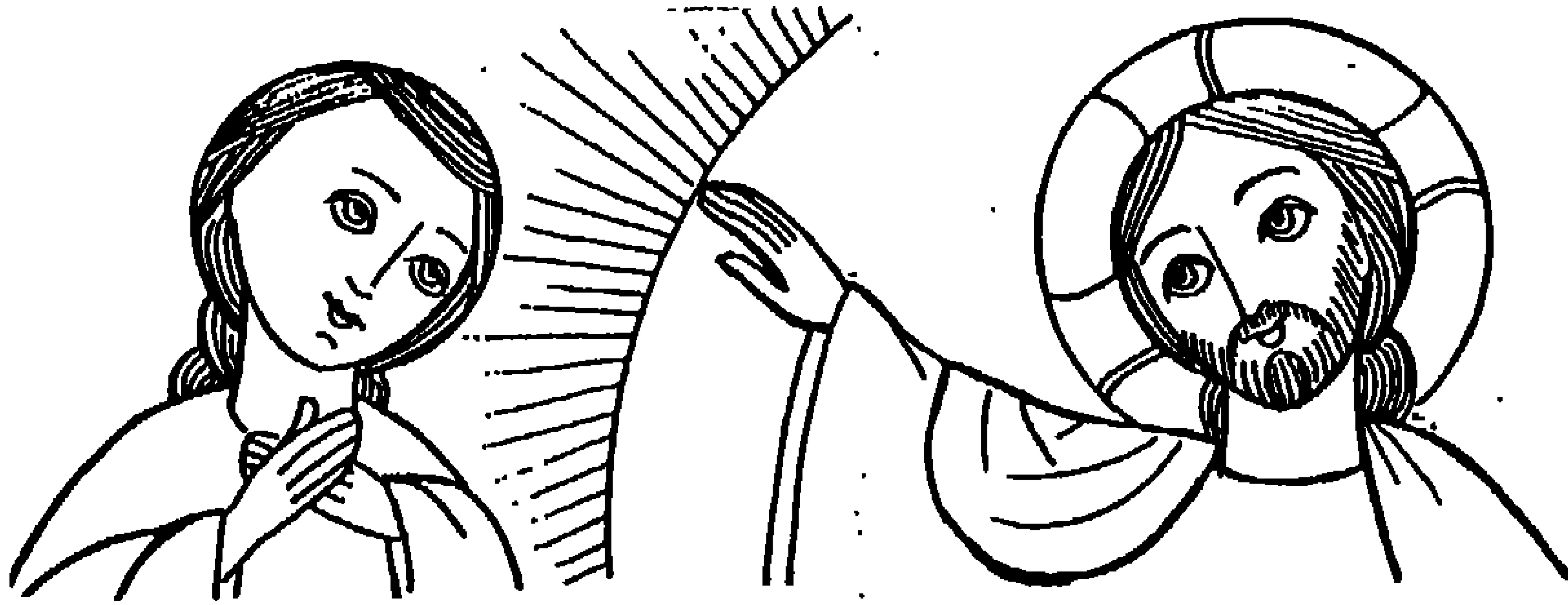
ثم منحك كل شئ . وهو الذى منحك الوصية التى تقول "لا" .. لكى يحميك من نفسك ومن شهواتك ، ومن الفساد والضياع ..

ينبغى أن يكون الله بالنسبة إليك هو -الصديق والرفيق والحبيب ، والسند، والمعين والحافظ والراعى، لا تنظر إليه كمجرد سلطة تصدر أوامر، وإنما كقلب كبير يفيض حباً، وأوامره من فيض حبه .

✠ ✠ ✠

لا تهرب من الله ، وإن هربت ، فإلى أين تهرب ؟! لابد أن الله سيتابعك .

كلمة الله ستجرى وراءك فى كل موضع.. وصية الله سترن فى أذنيك مهما هربت.. حاول إذن أن تلتقى بالله . وإن هربت إرجع إليه .





الذين يعرّجون بين الفرقتين

هم أيضاً نوع من الذين لا ثبات لهم فى الله. يريدون أن يجمعوا بين محبة الله ومحبة العالم، كاصحاب المثل القائل : ساعة لقلبك ، وساعة لربك!

أمثلة

يذكرونني بأولئك الذين عاشوا فى أيام إيليا النبى والملك آخاب. ينتسبون إلى الله، ويعبدون أيضاً البعل! لذلك وبخهم إيليا النبى قائلاً : "حتى متى تعرجّون بين الفرقتين؟ إن كان الرب هو الله فاتبعوه. وإن كان هو البعل فاتبعوه" (١مل١٨: ٢١) .

✠ ✠ ✠

هو نفس اسلوب اليهود فى برية سيناء :

كانوا تحت القيادة الروحية لموسى النبى، وفى نفس الوقت كانوا يشتهون الخيرات المادية تحت عبودية فرعون ...

كان السحاب يظللهم نهاراً، وعمود النور ينير لهم ليلاً، ومع ذلك لم يكن قلبهم ملكاً لله

كانوا يأكلون المن المقدس ، الخبز النازل من السماء ومع ذلك يشتهون الثوم والكرات والبطيخ الذى فى مصر .

كانوا يعرجون بين الفرقتين : لا كسبوا مصر ولا كسبوا الله، لا أحبوا المن، ولا أكلوا الكرات .. لا عاشوا مع فرعون، ولا أطاعوا موسى. لا عاشوا فى أرض العبودية، ولا دخلوا أرض كنعان. وعلى رأى المثل "عين فى الجنة، وعين فى النار" ...

✠ ✠ ✠

هذه هى حالة كثير من الناس . قال عنهم المسيح "لا يستطيع أحد أن يعبد سيدين" (مت٦: ٢٤) ومع ذلك فإن كثيرين، لسان حالهم يقول :

"ليتنى استطيع أن أجمع بين محبة الله، ومحبة العالم، إذن لكنت أسعد دنيا وأخرة"..

وهذا أمر مستحيل !!

ومن أمثلة هذا الأمر أيضاً حنانيا وسفيرا :

أرادا أن يجمعا بين محبة المال، والاندماج فى حياة الشركة الجديدة، التى فيها كان القديسون يبيعون كل أموالهم ويضعونها تحت أقدام الرسل. فقدما المال واحتجزا فى السر جزءاً . وماذا كانت النتيجة . النتيجة أنهما فقدا كل شئ ، حتى حياتهما (أع٥: ١- ١٠) .

✠ ✠ ✠

من أمثلة هذا الأمر أيضاً بلعام بن فغور :

أراد أن يرضى بالاق بإهلاك الشعب، وفى نفس الوقت يرضى الله ويبارك الشعب. أخذ مظهرية البر، وترك قلبه لعمل الشيطان .. بلسانه قال كلاماً جميلاً جداً. قال "ولو أعطانى بالاق ملء بيته فضة وذهباً لا اقدر أن أتجاوز قول الرب إلهى صغيراً أو كبيراً.. الكلام الذى يضعه الله فى فمى، به أتكلم .. كيف ألعن من لم يلعنه الله، كيف أشتم من لم يشتمه الرب؟! .. كل ما يتكلم به الرب ، فإياه أفعل" (عد٢٢، ٢٣) .

كلام جميل ، ظاهره تسليم للرب وطاعة . أما القلب فكان يشتهى المال. وكان يشتهى مخالفة لا تمسك عليه ..

ولكنه فى نفس الوقت، وفى السر ينصح بالاق النصيحة التى بها يهلك الشعب، ويكون ظاهراً أن الشعب قد هلك بسبب خطيئته، ليس بسبب بلعام.. (عد٢٥: ١- ٣) .

وهكذا هلك بلعام . وتحدث سفر الرؤيا عن ضلالة بلعام (رؤ٢: ١٤) .

إنه يمثل الذين يحتفظون بالشكلية الدينية، والقلب محب للعالم. يريد أن يتمتع بالخطية دون أن يأخذ مظهر الخطية من الخارج،

✠ ✠ ✠

هكذا فعل الشاب الغنى أيضاً ، أتى إلى السيد المسيح باحثاً عن الحياة الأبدية، ومع محبة الأبدية كانت فى قلبه محبة المال، لذلك مضى حزيناً (مت١٩: ١٦- ٢٢) .

إنسان يعرج بين الفرقتين : من جهة علاقته بالله، كان قد حفظ جميع الوصايا منذ حداثته، ولكنه مع ذلك كان يحب المال. وكان ينقصه هذا الشئ الواحد أن يبيع أمواله ويعطيها للفقراء . كل أمنيته كانت أن يصل إلى الحياة الأبدية، ويتبع المسيح، وفى نفس الوقت يحتفظ بماله معه .. ولم يستطع .

✠ ✠ ✠

سمعان الفريسى ، كان هو أيضاً يعرج بين الفرقتين ..! (لو٧: ٣٦- ٤٧) .

دعا المسيح إلى بيته ، وأخذ المظهر الخارجى فى أنه محب للمعلم الكبير، أمام الناس هو صديق للمسيح ، يتكئ معه . ومن الداخل كان يشك فى المسيح، ويمتحن تصرفاته. ولما رأى المرأة تسكب على قدميه الطيب، وتمسحهما بشعر رأسها ، قال فى قلبه "لو كان هذا نبياً، لعرف من هذه المرأة وما حالها: إنها لخاطئة" !

✠ ✠ ✠

من أمثلة هؤلاء أيضاً ، الكتبة والفريسيون المراءون .. (متى ٢٣) .

من حيث الظاهر كانوا يحفظون الوصايا بكل تدقيق . يصومون يومين فى الأسبوع، يعشرون النعناع والشبث والكمون، وقد تركوا أثقل الناموس الحق والرحمة والإيمان ...

كانوا قبوراً مبيضة من الخارج، وفى الداخل عظام نتنة .. دخلوا فى شكليات العشور والسبوت ، وتركوا الروح والجوهر ...

✠ ✠ ✠

من أمثلة المعرجين بين الفرقتين ، أولئك الذين قال عنهم الكتاب :

هذا الشعب يكرمنى بشفتيه . أما قلبه فمبتعد عنى بعيداً (مر٧: ٦) .

كان هذا الشعب يقدم الذبائح والمحرقات ، ويرفع البخور فى الهيكل، ويحتفل بالمواسم والأعياد، بالمحافل وأوائل الشهور والسبوت ، وأيضاً بالصوم والصلاة والإعتكاف. ومع كل ذلك كان القلب بعيداً عن الله (أش١: ١١– ١٨) .

كانت المظهرية الطقسية مستوفاه ، والحياة الروحية منعدمة ...

لذلك وجه الرب إليهم توبيخاً شديداً على فم اشعياء النبى قال لهم فيه : "لماذا لى كثرة ذبائحكم يقول الرب. أتخمت من محرقات كباش وشحم مسمنات ، وبدم عجول وخرفان وتيوس ما اسر. حينما تأتون لتظهروا أمامى، من طلب هذا من أيديكم، أن تدوسوا دورى".

"لا تعودوا تأتون بتقدمة باطلة. البخور هو مكرهة لى" (يقصد البخور غير المصحوب بنقاوة القلب وتوبة عن الشرور).

وقال لهم الرب أيضاً فى تعريجهم بين الفرقتين (أش١) .

"لست أطيق الإثم والإعتكاف. رؤوس شهوركم وأعيادكم ابغضتها نفسى، مللت حملها، صارت على ثقلاً .

حين تبسطون أيديكم، استر وجهى عنكم . وإن أكثرتم الصلاة، لا أسمع أيديكم ملآنة

دماً" (أش١: ١٥) .

إلى هذه الدرجة يارب ؟ نعم ، إلى هذه الدرجة . كيف ترتفع الأيدى بالصلاة، وهى ملآنة دماً؟! كيف تجمع بين الصلاة وقسوة القلب وعدم المحبة؟! كيف تجمع بين العبادة والخطية؟! إنها مظهرية وتعريج بين الفرقتين ، وشكليات فى شكليات ...

✠ ✠ ✠

آخرون يعرجون بين الفرقتين ، عن طريق الحلول الوسطى .

وربما يبدو أن هذه الطريق الوسطى هى البعد عن الطرفين: اليمينى واليسارى. وقد تكون هذه الطريق هى الإنحلال وعدم التدقيق. ظاهرها عدم التطرف وباطنها عدم القدرة على الجهاد .

★ كان شمشون أيضاً يعرج بين الفرقتين . يحتفظ بشعره طويلاً كنذير للرب، وفى نفس الوقت يصادق دليلة .

يقضى بعض الوقت فى غزة، والبعض فى أورشليم! بعض الوقت يخلص شعب الله، وحيناً آخر مع الزانيات ! (قض١٣- ١٦) .

ولم يستطع شمشون أن يستمر طويلاً فى هذا الوضع المزدوج . وسرعان ما فقد نذره، وفقد شعره، وفقد بصره. بل فقد حريته وكرامته وقوته ... (قض١٦: ١٦- ٢٢).

✠ ✠ ✠

★كذلك شاول الملك ، كان يريد أن يجمع بين بركة صموئيل النبى، ومخالفته لصموئيل. فرفضه الرب، وفارقه الروح .

★ومن الذين عرجوا بين الفرقتين ملاك كنيسة ساردس، إذ قال له الرب : "إن لك إسماً أنك حى، وأنت ميت" !! (رؤ٣: ١) .

كان يجمع بين الحياة الظاهرة والموت الخفى، كان ملاكاً لكنيسة ، له صورة التقوى. ولكن أعماله لم تكن كاملة أمام الله ...

✠ ✠ ✠

من أمثلة هؤلاء أيضاً اليهود . مظهر من حياتهم أنهم شعب الله، ومظهر آخر أنهم قتلة الأنبياء (مت٢٣: ٣٧) .

هم أبناء ابراهيم، ولكنهم لا يعملون أعمال ابراهيم (يو٨: ٣٩). النسب فى ناحية، والسيرة فى ناحية أخرى. يجمعون بين الإفتخار بالله، وعصيان الله. والنبى يوبخهم: حتى متى تعرجون بين الفرقتين ؟

هم يفتخرون بأنهم "تلاميذ موسى" . وبينما يكون موسى مع الله على الجبل يطلبون من هرون أن يصنع لهم عجلاً ذهبياً، ويسجدون للعجل ويعبدونه!! (خر٣٢: ١- ٧).

✠ ✠ ✠

ومن أمثلة التعريج بين الفرقتين كلمة أبينا اسحق لإبنه يعقوب :

الصوت صوت يعقوب، ولكن اليدين يدا عيسو (تك٢٧: ٢٢) .

إنسان يجمع بين شخصيتين : شخصية يعقوب، وشخصية عيسو .

أمر كما وقع فيه يعقوب أبو الآباء، وقع فيه بطرس الرسول . أنكر الرب. وقال للرب "أنت تعلم كل شئ، أنت تعلم أنى أحبك" (مت٢٦: ٦٩- ٧٤) (يو٢١: ١٥- ١٧) .

نفس الموقف وقع فيه بطرس، عندما وبخه بولس الرسول .

كان يعرج بين الحق وإرضاء اليهود. أمام اليهود بسلوك، ومن ورائهم بسلوك آخر. فقال عنه بولس إنه كان ملوماً، وأنه سلك مسلكاً ريائياً. ووبخه قائلاً : "إن كنت وأنت يهودى تسلك كالأمم، فلماذا تطلب من الأمم أن يتهودوا؟!" .. كان يعرج بين الفرقتين ، كما ورد فى (غل٢: ١١- ١٤) .

✠ ✠ ✠

من ضمن الناس الذين حاولوا أن يجمعوا بين الطريقين وفشلوا، إمرأة لوط. وأحياناً لوط البار نفسه ...!

إمرأة لوط خرجت من سادوم ، المدينة الخاطئة المحترقة بالنار . وضعت يدها فى يد الملاك، وتركت كل شئ، وخرجت. هذا من الظاهر. وبينما كان جسدها خارج سادوم، كانت بكل قلبها داخل سادوم. لذلك نظرت إلى الوراء إلى المدينة . بهذا فقدت كل شئ وتحولت إلى عمود ملح ! (تك١٩: ٢٦) .

ما أصعب أن يمسك الملاك بيدك ، ويمسك قلبك بسادوم! تكون قدماك خارج المدينة، وعيناك متجهتان إليها .. (تك١٩: ٢٣، ٣٠) .

لوط أيضاً كان على درجة أقل : يجمع بين محبة الله، وبين السكنى فى سادوم الخاطئة، لأنها أرض معشبة غنية . وبهذا فقد الكل ، وخرج بحياته وبنتيه فقط .

ما أصعب أن يجمع الإنسان بين محبة الله ومحبة الأرض المعشبة فى سادوم ، فى صحبة الناس الأشرار ! لذلك قال عنه بطرس الرسول فى رسالته الثانية "وانقذ لوطاً البار، مغلوباً من سيرة الأردياء فى الدعارة . إذ كان البار بالنظر والسمع – وهو ساكن

بينهم - يعذب يوماً فيوماً نفسه البارة بالأفعال الأثيمة" (٢بط٢ : ٧، ٨) .

✠ ✠ ✠

كثيرون ليس قلبهم خالصاً نحو الله : جزء منه لله، وجزء للعالم . من هؤلاء الذين يقولون "ساعة لقلبك، وساعة لربك" .

يتبقى أن يكون لك الخط الروحى الواضح غير المتذبذب . إنك لا تستطيع أن تجمع فى بيت واحد سارة وهاجر، ولا تستطيع أن تستشير فى نفس الوقت صموئيل والعرافة. لا تستطيع أن تجمع بين النذر ودليلة، وبين يد الملاك ورؤية سادوم .

✠ ✠ ✠

نصائح

فإن أردت أن تكون علاقتك بالله ثابتة، ولا تعرج بين الفرقتين ، عليك بالنصائح الآتية:

١ - ليكن لك هدف ثابت ، وعزيمة قوية فى التمسك به ، مهما كانت المحاربات الخارجية .

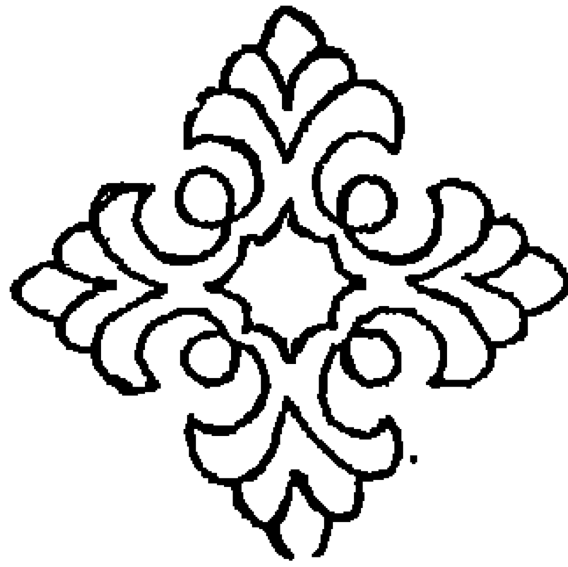
٢ - اثبت فى الوسائط الروحية التى تقوى محبة الله فى قلبك ، وتقوى إرادتك فلا تقبل الخطية .

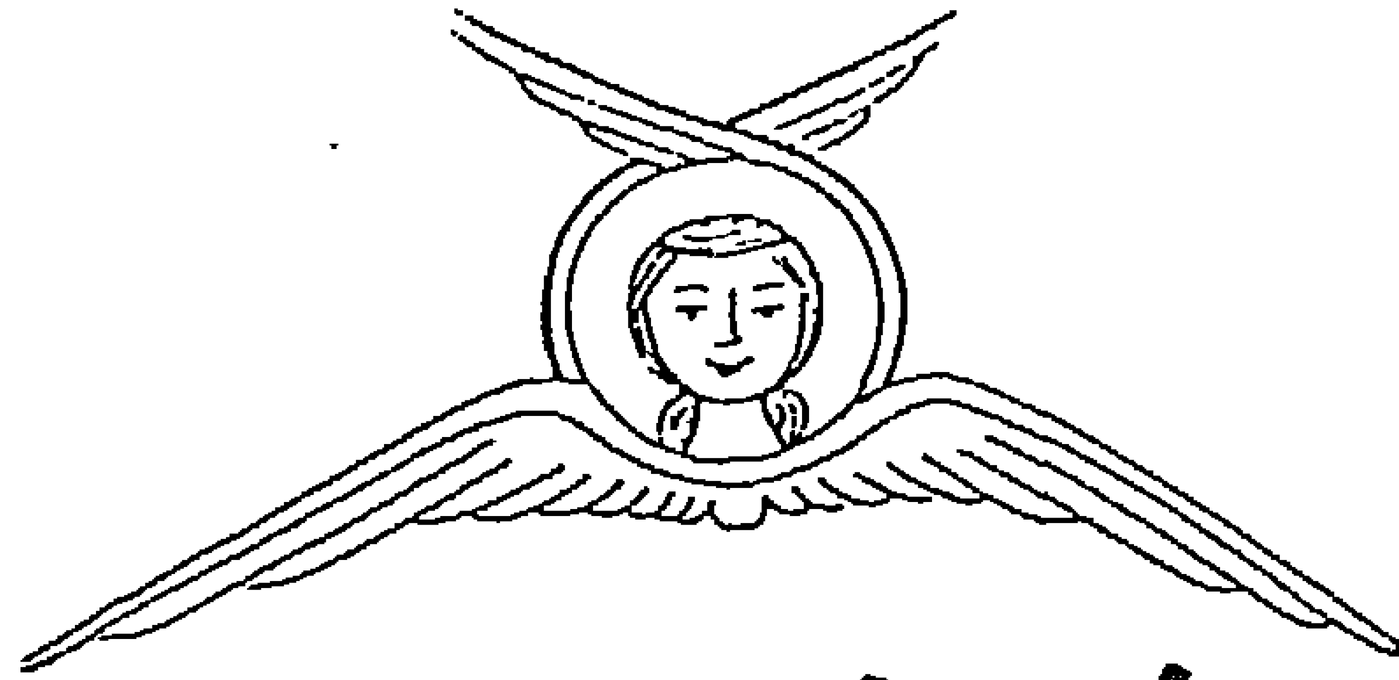
٣ - ابعد عن الصحبة الردية التى تميل قلبك بعيداً عن محبة الله، كما أمالت النساء الغريبات قلب سليمان الحكيم بعيداً عن الله (١مل١١: ٤) . وكما ينصح المزمور الأول بالبعد عن طريق الخطاة، وعن مشورة المنافقين ومجالس المستهزئين (مز١: ١) .

٤ - إن رأيت نفسك بدأت تعرج على الطريق الأخرى، استيقظ بسرعة، وأدّب ذاتك بكل حزم واصلح مسلكها .

٥ - كن دائم الصلاة ، واطلب معونة من الله لتحفظك .

وصلّ من أجلى أنا أيضاً ، وليكن الرب معنا جميعاً يهدى طريقنا إلى مشيئته الصالحة





الشركة مع الله

يقول معلمنا يوحنا الرسول "الذى رأيناه وسمعناه نخبركم بـه" ، لكى يكون لكم أيضاً شركة معنا . وأما شركتنا نحن فهى مع الآب ومع إبنه يسوع المسيح" (١يو١: ٣) .

هذه هى الحياة الروحية : شركة مع الله ومع الناس .

هذه الشركة بدأها الله نفسه حينما خلقنا .

كان الله وحده منذ الأزل ، ولم يشأ أن يكون موجوداً وحده، فأشركنا معه فى الوجود، وهبنا بالخلق نعمة الوجود. وأشركنا أيضاً فيما هو أسمى، إذ خلقنا على صورته ومثاله ..

✠ ✠ ✠

وخطا الله خطوة أوسع فى هذه الشركة ، بالتجسد .

حينما أخذ طبيعتنا . وشاركنا فى اللحم والدم (عب٢: ١٤) . وقدس هذه الطبيعة البشرية فيه، واشترك فى آلامنا وأوجاعها، مجرباً فى كل شئ مثلنا بلا خطية ...

ولعل من أجمل نواحى هذه الشركة، سر الإفخارستيا .

حيث نتناول جسد الرب ودمه. فيثبت فينا ونحن فيه (يو٦: ٥٦) . والكنيسة تسمى هذا السر أيضاً بسر الشركة،ويقول بولس الرسول "كأس البركة التى نباركها، أليست هى شركة دم المسيح . الخبز الذى نكسره، أليس هو شركة جسد المسيح" (١كو١٠: ١٦) .

هذه الشركة المقدسة ، هى أولاً شركة فى العشرة .

ولذلك فإن من أجمل أسماء الله "عمانوئيل" أى "الله معنا" (مت١: ٢٣) . والصورة التى يقدمها لنا سفر الرؤيا هى "الله وسط شعبه" وأورشليم السمائية هى "مسكن الله مع الناس (رؤ٢١: ٣) . مع صورة أخرى للرب فىوسط المنارات السبع أى السبع الكنائس (رؤ٢: ١) .

فى هذه الشركة يقول الرب "حيثما إجتمع إثنان أو ثلاثة باسمى، فهناك أكون فى

وسطهم " . ومن الأمثلة البارزة لهذا ، منظر خيمة الإجتماع وسط خيام الشعب ، وتابوت عهد الرب فى وسطهم .. وقول الرب "لا تخف. أنا معك" .

أنظروا يعقوب أبا الآباء فى الطريق خائفاً من أخيه، والرب يقول له هأنذا معك. وأحفظك حيثما تذهب، وأردك إلى هذه الأرض" (تك٢٨) أى أنه سيسير معه المشوار كله.

✠ ✠ ✠

وهذه الشركة فى العشرة ، يريدها الرب هنا وفى السماء .

فيقول "وأنا إن إرتفعت أجذب إلى الجميع" "إن مضيت وأعددت لكم مكاناً، آتى أيضاً وآخذكم إلىّ، حتىحيث أكون أنا تكونون أنتم أيضاً" (يو١٤: ٣) ويصلى إلى الآب قائلاً "أريد أن هؤلاء الذين أعطيتنى يكونون معى حيث أكون أنا" (يو١٧: ٢٤) .

✠ ✠ ✠

بل أكثر من هذا يقول "أنا فيهم، وأنت فىّ" (يو١٧) .

ويقول أثبتوا فىّ، وأنا فيكم" (يو١٥: ٤) ويشبه ذلك بثبات الأغصان فى الكرمة قائلاً "أنا الكرمة وأنتم الأغصان" .

وهكذا تصبح شركة "فى جسد واحد" .

الرب هو الرأس ونحن الأعضاء "ألستم تعلمون أن اجسادكم هى أعضاء المسيح" (اكو٦: ١٥). ونصبح نحن هيكلاً لله وروح الله يسكن فينا(اكو٣: ١٦) (اكو٦: ١٩). ما أعجب هذه الشركة!

✠ ✠ ✠

وهذه الشركة ليست مجرد شركة فى العشرة، بل فى الحب .

حب متبادل، فيه الإنسان يحب الرب إلهه من كل قلبه ومن كل نفسه وكل قدرته (تث٦: ٥). وفيه أيضاً قيل عن الرب إنه "هكذا أحب الله العالم حتى بذل إبنه الوحيد" (يو٣: ١٦). وأنه "أحب خاصته الذين فى العالم، أحبهم حتى المنتهى" (يو١٣: ١) .

✠ ✠ ✠

والشركة مع الله، هى أيضاً شركة معه فى العمل .

نحن نعمل معه عمله فى بناء الملكوت. ونعد له شعباً مستعداً بالتوبة. وهو يعمل معنا فى كل ما تمتد إليه إيدينا من أعمال تشترك مع مشيئته الصالحة .

واشتراكه معنا فى العمل ضرورة ، لأنه يقول "بدونى لا تقدرون أن تعملوا شيئاً" (يو١٥: ٥) . والمرتل يقول فى المزمور "إن لم يبنِ الرب البيت فباطلاً تعب البناءون،

وإن لم يحرس الرب المدينة، فباطلاً سهر الحراس" (مز١٢٦: ١) . إذن عملية البناء، وعملية الحراسة، كلاهما شركة بين الله والناس... ونحن نصلى فى الأواشى ونقول للرب "اشترك فى العمل مع عبيدك، فى كل عمل صالح" .

✠ ✠ ✠

روح الله يشترك مع الناس فى العمل، وهذا ما يسميه الكتاب "شركة الروح القدس".

ولهذا نقول فى البركة "محبة الله الآب، ونعمة إبنه الوحيد، وشركة الروح القدس تكون مع جميعكم" (٢كو١٣: ١٤) . فنطلب أن يكون مع المؤمنين عمل الروح القدس، كما تشترك معهم محبة الآب ونعمة إبنه الوحيد. لأنه بدون هذه الشركة لا يستطيعون أن يعملوا عملاً ...

✠ ✠ ✠

وهذه الشركة فى العمل، هى ما يقصده الرسول بعبارة "شركاء الطبيعة الإلهية" (٢بط١: ٤) .

فنحن نشترك مع الطبيعة الإلهية فى العمل، ولا يمكن طبعاً أن نشترك معها فى الجوهر أو فى اللاهوت، وإلا صرنا آلهة! حاشا ..

وعملنا فى هداية الناس، وفى مصالحتهم مع الله، لا يمكن أن يكون عملاً بشرياً خالصاً، لأنه لابد من روح الله يعمل معنا. هو يضع الكلمة فى أفواهنا، ونحن ننطق بها، وهنا تبدو الشركة مع الطبيعة الإلهية فى العمل .

✠ ✠ ✠

ولاشك أنه تواضع من الله أن يعمل معنا ...

وتواضع منه أن يسمح لنا بالعمل معه.. وفى كلا الحالين، هى محبة من الله أن يشترك معنا فى العمل. يسند ضعفنا بقوته..، أو أن يشركنا معه فى عمله ...

والشركة فى العمل ، تسبقها شركة فى المشيئة .

فتكون لك مشيئة الرب فى حياتك. ومن أجل هذا علمنا الرب أن نقول فى صلاتنا "لتكن مشيئتك" . وهكذا لا نشاء إلاما يشاءه الله لنا .

✠ ✠ ✠

وبشركة الله فى العمل، ينجو الإنسان من الدينونة .

لأنه مادام الله مشتركاً فى العمل، إذن فلا يمكن أن يوجد خطأ. ومادام ليس هناك خطأ، فليست هناك بالتالى دينونة. إنما ندان على أعمالنا، حينما ننفصل عن الله فى

العمل. وكيف ذلك؟ بالخطية ....

✠ ✠ ✠

فالخطية هى إنفصال عن الله ، فض للشركة معه ...

وكما يقول معلمنا بولس الرسول "أية شركة للنور مع الظلمة؟" وأى إتفاق للمسيح مع بليعال؟" (٢كو٦: ١٤) .

ويقول القديس يوحنا الحبيب "إن قلنا إن لنا شركة معه، وسلكنا فى الظلمة، نكذب ولسنا نعمل الحق" (١يو١: ٦) .

✠ ✠ ✠

والشركة مع الله فى العمل ، تؤدى أيضاً إلى الشركة معه فى المجد.. لأننا سنتمجد معه .

وسنكون معه، شركاء فى الميراث" (أف٣: ٦) .

يأخذنا معه على السحاب: نضئ معه بالنور، كما حدث لموسى وإيليا على جبل طابور (فى٣: ٢١). وقبل كل هذا نقوم بشبه جسد مجده (فى٣: ٢١) . ويجلسنا معه على كراسى. ويكللنا بإكليل البر (٢تى٤: ٨) ويقدس طبيعتنا ...

✠ ✠ ✠

ولكن لكى نتمجد معه، ينبغى أن نتألم معه (رو٨: ١٧). وندخل فى "شركة آلامه" حسب تعبير معلمنا بولس (فى٣: ١٠) .

لقد حمل السيد المسيح صليبه، فينبغى أن تحمل صليبك وتتبعه. سمر على الصليب، إذن قل أنت أيضاً مع بولس الرسول "مع المسيح صلبت. لكى أحيا لا أنا، بل المسيح يحيا فىّ" (غل٢: ٢٠). وهكذا نموت مع المسيح لكى نقوم معه، ليس فقط "مدفونين معه بالمعمودية" (رو٦: ٤). وإنما أيضاً نكون "حاملين فى الجسد كل حين إماتة الرب يسوع، لكى تظهر حياة يسوع أيضاً فى جسدنا" (٢كو٤: ١٠) .

✠ ✠ ✠

وشركتنا مع الله من نتائجها شركة مع الأخوة .

لأنه قال "بهذا يعلم الجميع أنكم تلاميذى، إن كان لكم حب بعضكم نحو بعض" (يو١٣: ٣٥). وأيضاً لأن أعضاء الجسد لهم شركة وتعاون مع بعضهم البعض، كما أنهم فى نفس الوقت لهم شركة مع الرأس ...

للمؤمنين معاً شركة فى إيمان واحد، وفى مائدة واحدة، ولهم خلاص مشترك، ولهم

شركة فى المحبة، وفى بناء الملكوت، بناء هذا الجسد الواحد الذى رأسه المسيح.

ولكن من هم أعضاء هذا الجسد الواحد ؟

هم القديسون المجاهدون على الأرض، والقديسون الذين انتقلوا إلى السماء، وتنضم إليهم كل طغمات الملائكة، لكى تتكون من كل هؤلاء الكنيسة المقدسة الجامعة للكل .

✠ ✠ ✠

ونحن كما لنا شركة مع الأحياء، لنا شركة مع المنتقلين .

فالموت لا يفصلنا عن باقى أعضاء جسد المسيح، إننا نذكرهم فى صلواتنا الطقسية وصلواتنا الخاصة، وهم يصلون لأجلنا كى نكمل أيام غربتنا بسلام وننضم إلى جماعتهم المقدسة .

ومن جهة حياة الشركة المقدسة بين المؤمنين، يقول القديس يوحنا الحبيب "إن سلكنا فى النور، كما هو فى النور، فلنا شركة بعضنا مع بعض، ودم يسوع إبنه يطهرنا من كل خطية" (١يو١: ٧) .

✠ ✠ ✠

إذن هى شركة فى النور ، أى فى حياة البر .

هى شركة فى المسيح يسوع ، شركة مجموعة من الهياكل المقدسة، يسكن فى كل منها الروح القدس .

كل من يسلك فى الظلمة، كانت الكنيسة تعزله من شركتها، حسب قول الكتاب "أعزلوا الخبيث من وسطكم" (١كو٥: ١٣). وقوله "لا تشتركوا فى أعمال الظلمة غير المثمرة، بل بالحرى بكتوها" (أف٥: ١١) .

وشركة المؤمنين معاً، تهدف فى غايتها إلى الوحدانية .

"مسرعين إلى حفظ وحدانية الروح" "لكى تكونوا جسداً واحداً، وروحاً واحداً، كما دعيتكم إلى رجاء دعوتكم الواحدة" . ولذلك كان لجماعة المؤمنين فكر واحد ونفس واحدة (أف٤: ٣، ٤) .

إن كانت لك شركة مع الله فى الحب ، ستكون لك شركة مع أولاده وفى محبة الله والأخوة ، يتعلق الناموس كله والأنبياء .



المصالحة مع الله

الخطية خصومة مع الله

عندما تخطئ تفقد عشرة الله، وتدخل فى خصومة معه .

أخطر ما فى الخطية، هو أنك تدخل فى خصومة مع الله .

إن الخطية لها نتيجتان، هلاك نفس الإنسان، وإغضاب الله. لذلك فقد كانت الذبائح فى العهد القديم، تعبر عن هذين الغرضين كليهما، كما نقرأ فى سفر اللاويين .

كان الغرض من (المحرقة) هو المصالحة مع الله، وإرضاء عدله .

لذلك فلقد كانت الذبائح فى العهد القديم، تعبر عن هذين الغرضين كليهما، كما نقرأ فى سفر اللاويين .

كان الغرض من (المحرقة) هو المصالحة مع الله، وإرضاء عدله .

لذلك قيل عنها أكثر من مرة إنها "رائحة سرور للرب" (لا ١)، ولأجل هذا ذكرت كأولى الذبائح فى سفر اللاويين، ولم يكن أحد يتناول منها لأنها خاصة بالله وحده .. تظل النار تشتعل فيها حتى تتحول إلى رماد، إلى استيفاء حق الله منها (لا ٦) .

وكانت ذبيحتا الخطية والإثم، ترمزان إلى خلاص الإنسان من الموت الذى هو عقوبة خطيته، وهكذا كان خروف الفصح .

والسيد المسيح على الصليب ، قام بالعملين: كمحرقة، صالح الله مع الناس. وكذبيحة خطية حمل خطايا الناس وفداهم وخلصهم .

✠ ✠ ✠

إن ما ينبغى أن يشغل قلبك هو الصلح مع الله، لا تكن كالعبد الذى لا يهمه سوى الخلاص من العقوبة، وإنما كن كالابن الذى يهتم قبل كل شئ بإرضاء أبيه.

قل له : المهم عندى يارب، هو رضاك وبركتك: أريد أن أصطلح معك، واستعيد

سكناك فى قلبى. ليست النجاة من العقوبة هى التى تشغلنى، بل محبتك وعشرتك .

لا تهمنى ذاتى، أهلك أم أخلص، إنما تهمنى محبتك. إننى أسعى إلى مصالحتك، وافعل بى بعد ذلك ما تشاء .

✠ ✠ ✠

لا تظنوا أن كل خطية آدم هو الأكل من الشجرة، إنما قبل كل شئ إنه أنفصل عن الله. أحب نفسه أكثر من الله، وأطاع زوجته أكثر من الله، ونفذ نصح الحية أكثر من الله. وبهذا انفصل عن الله قلبياً وعملياً ..

ومظهر هذه الخصومة، إختفاء آدم من وجه الله، واختفاؤه خلف الشجرة لما سمع صوت الرب. وحلول الخوف فى قلبه محل الحب، وهكذا بدأ يهرب من الله ...

✠ ✠ ✠

مشكلتك فى خطيتك أنك تظن نفسك تخطئ ضد الناس، أو ضد نفسك، أو ضد المبادئ، بينما الحقيقة المرة هى أنك تخطئ إلى الله. ولهذا قال داود النبى:

"إليك وحدك أخطأت،والشر قدامك صنعت" (مز٥٠) .

إنه لم يخطئ إلى أوريا الحثى، أو إلى عفته الخاصة، إنما قبل كل شئ أخطأ إلى الله، وكانت خطيئته ضد الله هى التى تملأ فكره وتزعجه، حتى قال للرب "إليك وحدك أخطأت" .

الخطية موجهة أصلاً إلى الله. وهكذا عندما عرضت الخطية على يوسف الصديق، قال "كيف أخطئ وأفعل هذا الشر العظيم أمام الله؟!" (تك٣٩: ٩). إن الخطية مخالفة لله، ومقاومة له، وتمرد عليه، وترك لمحبته لأنه قال "من يحبنى يحفظ وصاياى" (يو١٥: ١٤) (يو١٤: ١٥، ٢١، ٢٣) .

والخطية أخطر من كونها مخالفة لله. إنها عداوة لله. وهكذا يقول الرسول "محبة العالم عداوة لله" (يع٤: ٤) .. هى إنفصال عن الله :

لنه أية شركة للنور مع الظلمة، ولا للمسيح مع بليعال (٢كو٦: ١٤) ..

إنك عندما تخطئ تفقد الشركة مع الله. لا تستطيع أن تقول إنك فى شركة مع الروح القدس أو مع الطبيعة الإلهية، وأنت فى حالة الخطية!! لذلك قيل عن الإبن الضال إنه ترك بيت أبيه ...

إنها فقدان للدالة مع الله، وفقد للعشرة الإلهية والحب الإلهى. كما قال الرب لراعى

ملاك كنيسة أفسس : "عندى عليك أنك تركت محبتك الأولى" (رؤ٢: ٤) .

المصالحة هى عمل المسيح ورسله

كان العمل الأساسى للسيد المسيح هو مصالحة البشر مع الله .

ولهذا نقول له فى صلاة الصلح فى القداس الغريغورى "وصالحت السمائيين مع الأرضيين". لقد عمل المسيح صلحاً بدم صليبه، وصنع سلاماً مع الله. ولهذا "نقض الحائط المتوسط قاتلاً العداوة" (أف٢: ١٤- ١٦) .

✠ ✠ ✠

وقد كانت "خدمة المصالحة" هى عمل الآباء الرسل القديسين .

كما كانت عمل خلفائهم من الرعاة وكل رتب الكهنوت .

وفى هذا يقول الرسول فى رسالته الثانية إلى كورنثوس: "صالحنا لنفسه بيسوع المسيح. وأعطانا نعمة المصالحة. أى أن الله كان فى المسيح مصالحاً العالم لنفسه، غير حاسب لهم خطاياهم، وواضعاً فينا كلمة المصالحة" (٢كو٥: ١٧- ٢٠) . ويكمل :

"إذن نسعى كسفراء عن المسيح، كأن الله يعظ بنا، نطلب عن المسيح: تصالحوا مع الله" (٢كو٥: ٢٠) .

نعم إن عمل المصالحة، أو خدمة المصالحة، أو كلمة المصالحة، **هى عمل الكنيسة**، التى تعطى للناس من بركات الصلح الذى صنعه المسيح بدمه.

خدمة المصالحة تظهر فى جميع الأسرار الكنسية.. إنه دفع دمه ثمناً لها، ولكننا بعد أن صولحنا مع الله، رجعنا نخطئ .

✠ ✠ ✠

إن عبارة "صالحت السمائيين مع الأرضيين" تعطينا معنى آخر :

إن الخطية ليست خصومة مع الله فقط، بل مع جميع السمائيين .

إننا فى الخطية نغضب الله وكل جنده وكل أرواح القديسين. أنظروا ماذا يقول الرب عن الملائكة؟ "ملائكة الرب حالة حول خائفيه وتنجيهم" وماذاعن غير خائفيه ؟

إنه يقول أيضاً عنهم "أليسوا جميعهم أرواحاً خادمة، مرسلة للخدمة لأجل العتيدين أن يرثوا الخلاص" (عب١). وماذا عن الذين لا يرثون الخلاص :

إن الخطية بشعة لا يحتمل الملائكة منظرها . الملائكة يدافعون عن الإنسان حتى لا

يقبل الخطية. فإذا قبلها وخان الرب وانغمس في النجاسة، لا يحتمل الملائكة المنظر، فيتركونه للشياطين أصحابه!!

فإذا تاب الإنسان، ورجع قلبه إلى الله، حينئذ يصطلح مع الله وملائكته "ويكون فرح فى السماء بخاطئ واحد يتوب" (لو١٥: ٧) .

إن خدمة المصالحة قام بها الرب . وكانت هامة لديه جداً، لدرجة أنه دفع دمه ثمناً لها.

ولكننا بعد أن صولحنا مع الله رجعنا نخطئ إليه مرة أخرى، ونرجع إلى الخصومة. فأرسل إلينا خدامه بكل درجاتهم ينادون "اصطلحوا مع الله" .

خدمة المصالحة هذه هى عمل الأنبياء والرسل، والرعاة، هى عمل الأساقفة والكهنة والشمامسة وكل الخدام. ليس لهم جميعاً سوى هذه الخدمة .

إن الله يسعى إليك لكى يصالحك . يقرع على أبواب نفسك قائلاً "افتحى لى يا أختى يا حبيبتى يا حمامتى يا كاملتى، فإن رأسى قد امتلأ من الطل وقصصى من ندى الليل" (نش٥: ٢) . ولكننا كثيراً ما نتراخى، ونرفض عمل النعمة فينا، ونقاوم خدمة المصالحة هذه. ثم نندم بعد ذلك ونقول "حبيبى تحول وعبر، طلبته فما وجدته، دعوته فما أجابنى" (نش٥: ٦) . إنها مشاعر الخصومة مع الله" .

✠ ✠ ✠

إن الله يريد أن يصالحك ، بكل وسائط النعمة، ولكن هناك شرطاً يطلبه الرب وهو "يا ابنى اعطنى قلبك" .

إن الصلح ليس مجرد ممارسات وعبادات شكلية، وصلوات وأصوام، وإنما هو إعطاء القلب لله.. لقد قدم اليهود هذه العبادات بدون قلب، فرفضها الله، وقال فى عتابه لهم :

"هذا الشعب يعبدنى بشفتيه ، أما قلبه فمبتعد عنى بعيداً" (أش٢٩: ١٣) .

ولهذا قال لهم الرب "حين تبسطون أيديكم أستر وجهى عنكم، وإن أكثرتم الصلاة لا أسمع" (أش١) . لماذا يارب هذه الخصومة؟ لأنهم لم يعطوا القلب للرب .

وماذا إذاكان القلب مبتعداً . يقول الرب "أعطيكم قلباً جديداً، وأجعل روحاً جديدة فى داخلكم.." (حز٣٦: ٢٦) .

لهذا نحن نصلى ونقول "قلباً نقياً اخلق فىّ يا الله" (مز٥٠) .

وعبارة (أخلق) لها معنى عميق . فليس الأمر مجرد ترميم لقلب قديم، إنما هى عملية خلق من جديد ...

إن الصلح يتم داخل هذا القلب، وليس صلحاً من الظاهر ...

تقول له ، أصوم لك يومين فى الأسبوع ، وأعشر كل أموالى، أعطيك العشور والبكور والنذور والبخور والستور، وأسلم جسدى حتى يحترق "يقول لك "يا إبنى أعطنى قلبك" (أم٢٣: ٢٦) .

✠ ✠ ✠

هل القلب إذن هو كل ما يطلبه الله فى الصلح؟ كلا، إنه أيضاً يطلب الإرادة . لأن المحبة ليست بالكلام ، بل بالعمل والحق (١يو٣: ١٨) .

إن الله لا يرغم الناس على محبته ، لابد أن تتحرك إرادتهم كما قال مرة: "كم مرة أردت .. ولم تريدوا" (لو١٣: ٣٤) . وكما قال القديس أغسطينوس :

"إن الله الذى خلقك بدونك ، لا يشاء أن يخلصك بدونك" .

هناك كلمة كان يقولها المسيح ، لمن يتقدمون إليه للشفاء، وهى **"أتريك أن تبرأ؟" "أتريد أن تطهر" ؟**

إن أهمية الإرادة تظهر فى قول الرب "إن فتح أحد لى، أدخل وأتعشى معه (رؤ٣: ٢٠). إن فتح . إن تحركت إرادته ...

لا يكفى أن تحب الله وتشتهى مصالحته ، بل قدم إرادتك .

✠ ✠ ✠

هل هناك شرط ثالث غير القلب والإرادة ، نعم : الإيمان .

قد يعجز قلبك عن الحب، وقد تعجز إرادتك، حينئذ يدخل إيمانك: إيمانك بأن الله قادر أن يخلصك، وأن يعمل فيك أن تشاء وأن تسعى. اسكب نفسك إذن قدام الله بكل تصميم. تصارع معه وقل له :

إن كنت أنا يارب لا أحبك، ولا أعطيك قلبى، فإنك قادر أن تسكب حبك فىّ بالروح القدس (رو٥: ٥) .

إن كان إيمانى ضعيفاً ، فأنت قادر أن تقوى ضعف إيمانى (مر٩: ٢٤) . وإن كانت إرادتى ضعيفة، فقوتى هى من عندك .

إنك فى المصالحة ستعطينى طبيعة جديدة "روحاً مستقيماً جدده فى أحشائى "(مز٥٠)

"إن كان أحد فى المسيح فهو خليقة جديدة" (٢كو٥: ١٧) .

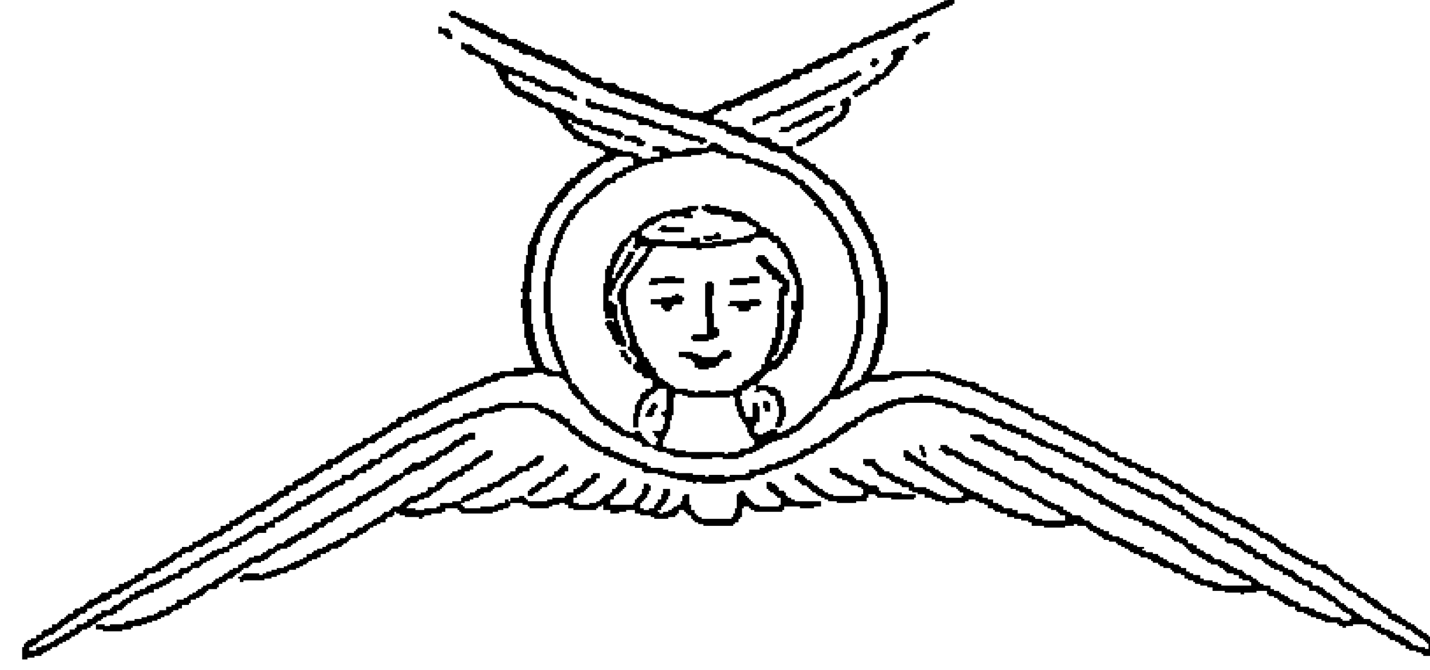
❋ ❋ ❋

إن من نتائج المصالحة هو هذا التجديد ، كما من نتائجها أيضاً التقديس والتبرير، ومن نتائجها أيضاً المغفرة .

الله فى المصالحة يمحو خطايانا، لا يعود يذكرها (أر٣١: ٣٤) . يقبل الذين يصالحهم "غير حاسب لهم خطاياهم" (٢كو٥: ١٩) .

كما يقول أحد القديسين إن "التوبة تجعل الزناة بتوليين "أى كأنهم لم يخطئوا قط ولم يتنجسوا ....





الجهاد مع الله

الله يريد أن يصالحك

إن الله نفسه يريد أن يصطلح معك .

إنه يريد هذا الصلح ، ويسعى إليه ، ويبحث عنه ، بكل قوته، وبكل نعمته وفعل روحه القدوس. فعلى الأقل ، من ناحيتك أنت، ينبغي أن تستجيب ...

إن الله يعاتب الإنسان "هلم نتحاجج، يقول الرب" (أش١: ١٨). ويقول أيضاً "ارجعوا إلىّ، أرجع إليكم" (مل٣: ٧). بل هو واقف على الباب يقرع، ينتظر من يفتح له، ويقول "من يقبل إلىّ، لا أخرجه خارجاً" (لو٦: ٣٧)، بل إن الله يقول فى عتابه للإنسان بسطت يدى طول النهار لشعب معاند ومقاوم" (رو١٠: ٢١) .

تصور أن الله يمد يده إليك طول النهار، طول العمر، يريد أن يصطلح معك، يريد أن يغسلك فتبيض أكثر من الثلج، يريد أن يسكن فى قلبك، وأن تسكن فى قلبه، ويقيم معك عهداً وعلاقة ...



مالك السماوات والأرض، وخالق السماوات والأرض، القادر على كل شئ، الذى فيه كل الكمالات، القدوس الذى لا حدود لقداسته، يقول "لذتى فى بنى آدم" (أم٨: ٣١). ينظر إلى قلبك ويقول "هذا هو موضع راحتى إلى أبد الآبد. ههنا أسكن لأنى أشتهيته" (مز١٣١)

الروح يخاطب نفسك قائلاً "اسمعى يا ابنتى، وانظرى، واميلى سمعك، وانسى شعبك وبيت أبيك. فإن الرب قد اشتهى حسنك. لأنه ربك وله تسجدين" (مز٤٥: ١٠، ١١) .



من أجل هذا الصلح، أرسل الله الأنبياء والرسل والرعاة والكهنة والمعلمين والوعاظ ينادون جميعاً "اصطلحوا مع الله" .

ولأجل هذا الصلح يرسل نعمته وروحه القدوس ...

إنه يريد أن يصالحك ، ليصلحك ، بأى شرط، وبأية طريقة .. لا مانع من أن يرسل إليك التجارب والضيقات، والأمراض، إن كان هذا يرجعك إليه .

وهو يفعل هذا كله، من أجلك أنت ، لكى لا تهلك ..

إنه يريد لك الخلاص ، يريد أن الجميع يخلصون، وإلى معرفة الحق يقبلون" (اتى٢: ٣). "لا يشاء موت الخاطئ، مثلما يرجع ويحيا" (حز١٨). إنه يقيم فرحاً فى السماء، إن استطعت أن تصل إلى التوبة (لو١٥: ١٧) .

✠ ✠ ✠

إنه يحرص عليك، ويعرف أنك إن ابتعدت عنه ستضيع ، لذلك يقربك إليه، لكيلا تضيع ...

يعرف أنك إذا بعدت عنه، ستفقد مثالياتك، وتفقد صورتك الإلهية، وتعود تراباً (تك٣: ١٩). وتعود مخلوقاً أرضياً كما كنت. وتضيع.. تصبح إنساناً غريباً عن الملكوت، وتفقد ثوب العرس، وتفقد قدسيتك وطهارتك وإيمانك .. لذلك فإن الله، من فرط محبته، يحرص عليك ..

✠ ✠ ✠

حتى الكتاب المقدس ، أوحى به الله من أجلك.. إنه يحكى قصة الله مع البشر، قصة سقوطهم وخلاصهم .

الكتاب المقدس ، ليس هو قصة الله مع الملائكة، وليس هو قصته مع الطبيعة. ولكنه قصة الله مع الناس ..

أورشليم السمائية، مكان الموت الأبدى، يسميها الكتاب "مسكن الله مع الناس" (رؤ٢١: ٣) . إنه إهتمام إلهى بك، وفرصة للصلح ، تناسبها فترة الصوم الكبير المقدسة. فما الذى يمنعك ..

عقبات تعوق المصالحة

أحياناً يكون السبب هو الغفلة. إنسان لا يحس ما هو فيه، لا يدرى بالتغيير الذى وصل إليه. لا يفكر فى الله، مشغول بأشياء أخرى .

موضوع المصالحة لا يطرأ على ذهنه مطلقاً، لأن علاقته بالله ليست موضع تفكيره

أو اهتمامه. إنه لا يشعر إطلاقاً بوجود الله حتى يصالحه !

إذن لكى تصطلح مع الله، اعط فرصة لنفسك للتفكير فى الله، حاول أن يتردد إسم الله على فكرك ، على لسانك، يتردد فى مشاعرك، يشغلك بعض الوقت .!! أهرب ولو قليلاً من مشغولياتك ، لكى تفكر فى الله .

وثق أنك إذا فكرت فى الله، ستفكر فى مصالحته ..

إن المشغوليات كثيراً ما تتيه الإنسان عن الله، وعن نفسه. ولذلك فإن الكتاب يقول عن الصوم "قدسوا صوماً، نادوا باعتكاف" (يوء٢: ١٥) .

لأن الإعتكاف يعطى الإنسان فرصة للتفكير فى الله. اعتكف إذن، على قدر إمكانياتك. ولكن ليكن اعتكافك روحياً .

✠ ✠ ✠

ربما من العقبات التى تعوق المصالحة مع الله، محبة العالم أو محبة الخطية. إنسان يقول : أريد أن أصطلح مع الله ، ولكننى لا أستطيع ...

يرى أنه طالما تكون هذه الخطية موجودة أمامه ، فلن يصطلح مع الله. وهذا يضع الله فى كفة، والخطية فى كفة أخرى. وترجح كفة الخطية .

وكأنه يقول لله: لو أنك يارب رضيت أن أحبك، واحتفظ بهذه الخطية، فإن هذا يكون أفضل حل!!

نصيحتى لك فى هذه الحالة، أن تجاهد مع الله لكيما ينجيك من هذه الخطية .

الصراع مع الله

قل له : إنى أريد أن أعيش معك، فنجنى من هذه العقبة. خلصنى منها، أعطنى قوة .

أسكب نفسك أمام الله. حتى لو كنت تحب الخطية من أعماقك، فمن أعماقك أيضاً اطلب من الرب أن يخلصك منها .

صارح الرب . قل له : أريد يارب أن أترك هذه الخطية، ولكنى أحبها. أريد أن أتخلص منها، ولكن قلبى منشغل بها إلى التمام .

قلبى يحبها . ولكنك قادر يارب أن تغير القلب .

أنت قادر أن تجعلنى أكره هذه الخطية التى أحبها .

✠ ✠ ✠

أسكب نفسك أمام الله، وخذ منه قوة على الخطية .

قل له : يارب إنك خلصت قديسين ، ربما كانت حياتهم الأولى أسوأ من حالتى بكثير. خلصت موسى الأسود، وأغسطينوس ومريم القبطية، وأريانوس والى أنصنا. خلصنى أنا أيضاً مثلهم .

"اعتبرنى من الحالات المعقدة التى عالجتها حكمتك الإلهية" .

"أنا مشكلة قائمة أمام لاهوتك القادر على كل شئ . اجعلنى مادة لعمل روحك القدوس".



جاهد هكذا أمام الله ، لكى يخلصك من محبة الخطية. ونصيحة أقولها لك أيها الابن المبارك، فى طريق توبتك :

إنك لن تستطيع أن تنتصر على الخطية بمجهودك البشرى وحده .

إن الكتاب يقول عن الخطية إنها "طرحت كثيرين جرحى، وكل قتلاها أقوياء" (أم٧: ٢٦). فإن كان كل قتلاها أقوياء فلا ينفع معها إذن سوى الله.. تذكر أن يشوع بكل جيشه لم يقدر على عماليق بدون ذراعى موسى المرفوعتين إلى الله (خر١٧: ١١) .

صارع إذن مع الله وقل له :

إن كنت أنا يارب لا أملك قوة، فعندك كل القوة .

إن كنت لا أريد الحياة معك، فيكفى أنك تريد الحياة معى .

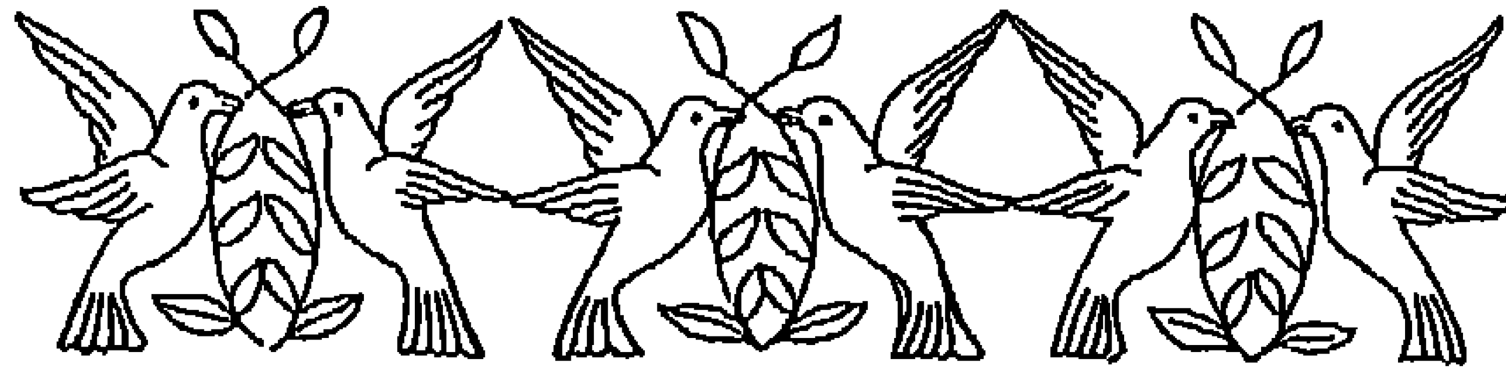
إن لم أكن أنا جاداً فى أمر خلاص نفسى. فإنك أنت جاد جداً فى تخليص هذه النفس .

إن كان خلاص نفسى لا تقوى عليه إرادتى ، فلاشك أنه تقوى عليه نعمتك .

إن كان جهادى لا يقدر ، فربما تقدر صلاتى .

أيها الابن المبارك الذى تجاهد من أجل خلاص نفسك :

كن باستمرار صديقاً للروح القدس ، شريكاً للروح القدس . إشرك الروح القدس معك باستمرار فى حياتك، وفى جهادك .





انتظار الله

وعد الله آدم وحواء بأن "نسل المرأة سيسحق رأس الحية" (تك٣: ١٥) . ومع ذلك بقيت الحية آلاف السنين رافعة رأسها، تؤذى البشرية فى إيمانها وفى روحياتها ..! والبشرية تنتظر متى يأتى الرب ويحقق وعده ...

وقال الرب لأبينا ابراهيم "بنسلك تتبارك جميع قبائل الأرض" (تك٢٢: ١٨) . وتكرر هذا الوعد لأبناء ابراهيم . ومرّ أكثر من ألفىّ سنة، وأبناء ابراهيم ينتظرون تحقيق هذه البركة! ومع ذلك ظل الرب صابراً منتظراً ملء الزمان (غل٤: ٤) .

✠ ✠ ✠

كانت البشرية تنتظر خلاص الرب طول ذلك الزمان . وهى واثقة أن الرب سيأتى ويخلص، ويحقق وعده ...

أما متى يأتى ؟ فما كان أحد يدرى . وكثير من القديسين انتظروا طول عمرهم . "ولم ينالوا المواعيد ، ولكنهم من بعيد نظروها وصدقوها وحيّوها" (عب١١: ١٣) ... وتحقق مجئ الرب فعلاً ، بعد طول ذلك الإنتظار ...

وأنا أريد أن أحدثكم هنا عن هذا الإنتظار :

✠ ✠ ✠

يقول المرتل فى المزمور: انتظر الرب. تقوَ وليتشدد قلبك، وانتظر الرب" (مز٢٧: ١٤)

وهذا المزمور يعطينا معنى جميلاً عن طريقة انتظارنا للرب. وهى أننا لا ننتظر فى يأس، ولا فى إنهيار أو ضعف، بل ننتظر فى قوة، فى ثقة. وقد تشدد قلبنا بالإيمان .. هذه القوة يشرحها لنا إشعياء النبى ، حينما يصف الذين ينتظرون الرب فيقول :

"وأما منتظرو الرب فيجددون قوة . يرفعون أجنحة كالنسور . يركضون ولا يتعبون. يمشون ولا يعيون" (أش٤٠: ٣١) .

بعكس الإنسان الذى لم يختبر انتظار الرب . نراه دائماً فى قلق وإضطراب، فى

خوف من عدم مجئ المعونة من عند الرب. يطلب ، ويتضايق جداً إذا لم يستجيب الرب لطلبته بسرعة . وكل تأخير فى الإستجابة يزيده قلقاً، ويفقده سلامه ...

✠ ✠ ✠

أما الذى ينتظر الرب ، فلا يفقد سلامه أبداً ، ولا يقلق .

إيليا النبى : كان الله قد وعده أن السماء ستمطر . وصلى إيليا، ولم تمطر. وصلى ثانية وثالثة ورابعة، ولم تمطر! ومع ذلك لم يقلق ايليا أبداً. وانتظر الرب واثقاً بوعده .. وفى الصلاة السابعة ، رأى "غيمة صغيرة قدر كف إنسان" (١مل١٨: ٤٤) . فعرف أن الرب قد استجاب ، ونزل مطر غزير ...

✠ ✠ ✠

إن إنتظار الرب هو أختبار لإيماننا : هل يتزعزع إيماننا إن أبطأ الرب، أم يظل ثابتاً كما هو ..؟

الذى يعيش فى حياة الإيمان، يلقى أموره فى يد الرب، ويتركها هناك . لا يقلق ولا يضطرب ، ولا يستعجل تدبير الرب . إنما يؤمن أن الله سيحل كل شئ ، بالطريقة المثلى، وفى الوقت المناسب .. حقاً ما أعمق قوله لتلاميذه :

"ليس لكم أن تعرفوا الأزمنة والأوقات التى جعلها الآب فى سلطانه" (أع١: ٧) .

نحن ننتظر الرب ، وننتظره فى رجاء وفى ثقة وفى فرح، ونحن واثقون أنه سيأتى . لا نعلم متى يأتى، ولكننا متأكدون أنه سيأتى ويعمل لخلاصنا.. أصباحاً، أم ظهراً ، أم نصف الليل، أم فى الهزيع الرابع ؟؟ .. لسنا ندرى . بل نترك تحديد الوقت لحكمته ...

إن منتظر الرب، يثق بأمرين أساسيين يعتمد عليهما فى انتظاره : وهما محبة الله الفائقة للبشر، وحكمته التى لا تحد ...

✠ ✠ ✠

وفى فترة الإنتظار ، لا تعتمد على الحلول البشرية .

لا تفعل مثل رفقة ، عندما يئست من انتظار الرب فى منح البركة ليعقوب، لجأت إلى الذكاء البشرى باستخدام الحيلة والخداع (تك ٢٧). ولا تفعل مثل ابراهيم، الذى يئس من انتظار الرب فى إنجاب اسحق، فأخذ هاجر (تك١٦: ٣، ٤) .. حقاً إن الطرق البشرية هى نتيجة مؤلمة لليأس من انتظار الرب. وتدل على القلق كلما طالت المدة .

لذلك ما أجمل قول المرتل فى المزمور :

"انتظرت نفسى الرب، من محرس الصبح إلى الليل (مز١٣٠) .

أى طول النهار ، من بدايته حتى نهايته .. فلا تقلق إذن . ولا تظن أن الله يبطئ في قدومه . فالله لا يبطئ أبداً، مهما ظننت أنت أنه تأخر في استجابته .

✠ ✠ ✠

إن الله يعرف الموعد المناسب بكل دقة، ولا يتأخر عنه ولا لحيظة واحدة .

وما تظنه أنت إبطاء ، ما هو إلا خطأ في حساباتك، نتيجة لقلقك فيما تنتظر الوقت المناسب الذى حددته حكمة الله. لتكن لك إذن ثقة في حكمة الله، وفي حسن اختياره للمواعيد. كما يجب أن تثق بمحبته لك .

إن الله محب البشر ، يحبك أكثر مما تحب نفسك .

ويعمل من أجل منفعتك ، أكثر مما تعمل أنت ...

إنه يعطيك دون أن تطلب ، وقبل أن تطلب .. .فكم بالأولى إن طلبت .. كما أنه مهتم بأن يعطيك ما ينفعك ، أكثر من إعطائك ما تطلبه .. حقاً ما أدراك أن ما تطلبه، هو الأصلح أو الأنفع لك ؟!

كذلك الوقت الذى تحدده ، ربما يرى الله أنه غير صالح لك ، لظروف هو يعرفها لعلمه بالأوقات قبل كونها .

لذلك تواضع . وأترك حكمة الله أن تتصرف . وانتظر الرب .

أليس من المؤلم ومن المخجل، أن نثق بذكائنا، أكثر مما نثق بالله وحكمته وحسن تدبيره !! إن الله – فيما تظنه قد تأخر – يكون مدبراً الأمور بحكمة لا تدرك أعماقها إلا فيما بعد، عندما تتضح أمامك الرؤية بالأكثر ...

✠ ✠ ✠

الذى يتأمل قصة فرعون وموسى، يتعجب كثيراً جداً ...

انتظر الرب على مذلة أولاده أكثر من ٤٠٠ سنة، لأن كأس الخطاة الذين كان سيطردهم أمامهم، لم يكن كاملاً . وانتظر أيضاً على فرعون عشر مرات ، في ضربات شديدة متلاحقة ، لعله يتوب أو يلين . ولعل الذين ملّوا الإنتظار كانوا متعجبين ..! ولكنهم عندما رأوا أعجوبة شق البحر الأحمر، لاشك أنهم أدركوا حينذاك حكمة الإنتظار وأعماقه

ربما لو أهلك فرعون ورجاله من أول ضربة ، ما بدا عمله قوياً، كما حدث عند شق البحر الأحمر .

وربما كان البعض سيسأل : لماذا لم يطل الرب أناته، ويمنح فرصة أخرى لفرعون؟!

إن صبر الله أكثر من ٤٠٠ سنة، لم يكن معناه أنه قد نسى أو أهمل! حاشا. وإنما معناه أنه كان يدبر. ويتخير الطريقة القوية ، ويتخير أحسن الأوقات . لذلك فلنثق بحكمته ونحن ننتظره ...

✠ ✠ ✠

قد يكون الإنتظار أيضاً مدرسة للصلاة .

نتعلم فيها اللجاجة ، والتمسك بالرب والإعتماد عليه، ونرتبط به فى عمق .

ربما (تأخر) الرب علينا، يدفعنا أن نسكب أنفسنا أمامه متضرعين. وكلما طالت المدة تنضم إلى صلواتنا أصوام ومطانيات، وربما نذور أيضاً ...

مثلما تأخر الرب على حنة زوجة ألقانة، فلم يفتح رحمها لتلد، حينئذ صلت صلاة ، وبكت ونذرت نذراً، وصار ابنها إبناً للهيكل من صغره (١صم١: ٩- ١١) .

✠ ✠ ✠

سبب آخر: وهو أنه قد يحدث أحياناً حينما تأتى الإستجابة بسرعة، لا نشعر بقيمتها!

ولا تمنحنا الحب والشكر والعرفان بالجميل .. وقد نفقدها بسرعة ، بسبب عدم الحرص عليها وعدم التقدير ..

إن عروس النشيد ، عندما تعبت فى العثور على عريسها، واحتملت من أجله، وطلبته فلم تجده، ودعته فما أجابها، وتشفعت ببنات أورشليم أن يخبرنه بأنها مريضة حباً، حينئذ لما وجدته أخيراً ، قالت "أمسكته ولم أرخه" (نش٣: ٤) ، (نش٥: ٦- ٨) .

هكذا لكى يجعلك الله تتمسك به وتشتاق إليه، وتقول له "من كل قلبى طلبتك" (مز ١١٩).. يتأخر عليك قليلاً، فى حكمة وحب ...

✠ ✠ ✠

كل الذين انتظروا الرب ، وصلوا إلى نتائج عجيبة ...

والأبناء الذين وهبهم الله لأمهاتهم بعد طول عقم كانوا بركة لأجيالهم : المعمدان الذى ولدته أمه بعد طول انتظار صار الملاك الذى يهيئ الطريق قدام الرب (مر١: ٢)، بل صار أعظم من ولدته النساء (مت١١: ١١) .

وصموئيل الذى وُلد بعد عقم وصلوات ونذر، صار النبى العظيم صاحب قنينة الدهن التى مسح بها شاول وداود . ويوسف الذى منحه الرب لراحيل بعد عقمها وشفاعة يعقوب فيها، صار بركة لمصر ولأسرته، وله نصيب إثنين بين أخوته. وشمشون الذى وُلد بعد عقم، صار أقوى إنسان فى زمانه ...

لذلك انتظر الرب . وثق أن انتظارك ستعقبه بركة ونعمة .

نحن لا نقصد بانتظار الرب ، أن تنتظر فى ضجر وفى ضيق وتعب ، وأنت تشك فى استجابة الرب، أو تشك فى الصلاة وفاعليتها! كلا . فهذا إنتظار غير روحى .

إنما نقصد أن تنتظر وأنت فى ملء الرجاء والثقة . تنتظر وأنت تؤمن . وإن ضعفت، تصلى أن يقوى الرب إيمانك .

إن مواعيد الرب صادقة وأمينة . ونحن نثق بمواعيد الرب . ومهما كانت العوائق التى تحارب إيماننا، فإننا لا نشك .

✠ ✠ ✠

نحن لا نؤمن فقط أن الله سيعمل، بل نؤمن أنه يعمل الآن . وقد بدأ عمله فعلاً، قبل أن نطلب ...

وسأضرب لكم مثالاً: ربما تحتاج كنيسة إلى خدمة عاجلة، وتطلب من الرب أن يُسام لها كاهن قديس نشيط محب، على وجه السرعة. وربما تتأخر السيامة شهوراً أو سنة أو أكثر. ويصرخ الشعب "لماذا يارب تأخرت؟". ويجيبهم الرب "أنا لم أتأخر. بل على العكس، فمنذ أربعين سنة أو ثلاثين وأنا أعد لكم هذا الكاهن، بقلب خاص، وروحيات خاصة، وبعقلية خاصة. بل كنت أعده لكم بتجارب وضيقات، وبخبرات، حتى يكون نوعية خاصة تناسب كنيستكم وشعبكم.. قبل أن تطلبوا بزمان، وقبل أن تحتاج هذه الكنيسة إلى كاهن ...

✠ ✠ ✠

أولاد الله سعداء ومطمئنون.. كلما حاربهم الشك، يقولون: هوذا صوت حبيبى، طافراً على الجبال، قافزاً على التلال" (نش٢: ٨).. يقيناً إن هذا الطافر على الجبال لا يمكن أن يبطئ..

إن راكب الطائرة يخيل إليه أحياناً أنها واقفة ، بينما تكون فى أقصى سرعة !

وأحياناً تنظر إلى المروحة الكهربائية ، فتظنها واقفة وهى أيضاً فى أقصى سرعتها .. وهكذا أيضاً فى نظرتك إلى الله وهو يعمل ...

فى انتظارك للرب، لا تعتمد على العيان، ولا على حواسك، ولا على عقلك وفهمك البشرى . إنما على الإيمان . وهناك أعمال كثيرة جداً، يعملها الله معنا، ولا نحس نتائجها إلا فيما بعد ، فى وقت متأخر جداً ...



نحن لا نفرح بالعالم، إذ ليس فيه شئ يشبعنا ...

"العالم يبيد،وشهوته معه" (ايو٢: ١٧) . وكل أموره المادية والزائلة، لا ترضى روحياتنا، ولا تملأ حياة تقدست بالرب،ولا نستطيع أن تسعد قلوباً صارت هياكل للروح القدس، ومسكناً لله .

نحن لا نفرح بالعالم، لأنه دائماً يأخذ ولا يعطى، فكل ما يعطيه "باطل وقبض الريح" (جا١). وهو أيضاً غير ثابت على شئ، فى علاقاته وفى عطائه، ولا تفرح بـه نفوس قد ارتبطت بالأبدية، وبدأت مسيرتها من الآن .

✠ ✠ ✠

نحن لا نثق إلا بالله وحده ، ولا نفرح إلا به .

والفرح بالله ، هو فرح حقيقى، وهو فرح ثابت .. وهو أيضاً فرح طاهر، تشترك فيه الروح بالنصيب الأكبر. إنه يبدأ حينما نجد الله، ونتعرف إليه، ونذوق حلاوته، فنحبه، ونحيا بهذا الحب، ولا نطلب شيئاً سواه ...

وإلى هذه المتعة المقدسة يدعونا المرتل بقوله "ذوقوا وأنظروا ما أطيب الرب" (مز٣٤: ٨). وحينما نذوق الرب، ندخل إلى جمال الحياة الحقيقية، وننسى كل حياتنا السابقة، ولا نذكر سوى الرب وحده، يملأ القلب والفكر والروح، جميعاً ...

كم كان فرح نثنائيل ، حينما قال له فيلبس "وجدنا الذى كتب عنه موسى.." (يو١: ٤٥). وكم كان فرح السامرية، لما تعرفت على المسيا، وذهبت تبشر به (يو٤).. وكم كان فرح شاول الطرسوسى، الذى تقابل مع الرب، وقال فى ذلك "خسرت كل الأشياء، وأنا أحسبها نفاية، لكى أربح المسيح، وأوجد فيه" (فى٣: ٨، ٩) .

إن معرفة الرب كنز عظيم، ومذاقته فرح لا يعبر عنه. هذا الكنز، "وجده إنسان مخفى

فى حقل، فمن فرحه، مضى وباع كل ما كان له، واشتراه" (مت١٣: ٤٤) .

فهل وجدت هذا الكنز ؟ وهل خبأته فى "قلبك"؟ وهل حسبت كل الأشياء نفاية، من أجل فضل معرفته؟.

لقد فرح به أوغسطينوس، أكثر من كل فلسفة العالم وشهوات الجسد، وفرح به سليمان أكثر من كل الغنى والمتعة، وأيضاً التلاميذ فرحوا حين رأوا الرب (يو٢٠: ٢٠) .

إن الفرح بالرب ، هو الفرح الوحيد ،الذى لا ينزع منا .

إنه يبدأ ههنا ، ويستمر فى الأبدية أيضاً، وينمو باستمرار، كلما يكشف لنا الرب ذاته، ويسكب محبته فى قلوبنا ...

وكل فرح ، ليس مصدره الله، لابد سينتهى ...

لقد ذاق سليمان كل أفراح العالم، ثم عاد فسئم كل هذه الأفراح، ولم تعد لها بهجة كما كانت فى القديم.. فتركها ليبحث عن شئ آخر أعمق وأسمى ...

ولوط فرح قليلاً بسادوم، الأرض المعشبة، ورأى أنها "كجنة الله، كأرض مصر" (تك١٣: ١٠) . ثم انتهت بكارثة ..!

وآخاب فرح بحقل نابوت اليزرعيلى، فرحاً إنتهى بهلاكه! (١مل٢١) .

وأمنون وضع كل قلبه فى ثامار، ثم عاد فكرهها وأبغضها (٢صم١٣: ١٤، ١٥) .

وشمشون فرح بدليلة ، فرحاً جره إلى الضياع ..! (قض١٦) .

إن أفراح العالم، ليست أفراحاً حقيقية. يمكن أن تسميها لذة أو متعة أو سروراً مؤقتاً ، لا يرقى لمستوى الفرح .



إن قلب الإنسان شئ أعظم من العالم، وأسمى من المادة لأنه خلق على صورة الله ومثاله.

وحينما يفرح الإنسان بالعالم، أو يحزن لفقده شيئاً من العالم، إنما يكون قد نسى ذاته الحقيقية، ويكون قد ابتعد عن صورته الإلهية، وتاه .. وحينما يرجع إلى ذاته، حينئذ يحس بتفاهة ما كان فيه، وقد يبكى على ذلك بكاء مراً، كما حدث لداود النبى، حينما نسى نفسه، واستجاب فى لحظات إلى شهوة العالم الباطلة ... (مز٦) .

إن روحك لا تستريح إلا فى الله، ولا تفرح إلا به، هذا إذا كنت تعيش حسب الروح..

أما إن ضللت عن روحك ، فحينئذ يكون لأفراح العالم وزن عندك .

✠ ✠ ✠

لهذا كله ينصحنا الرسول قائلاً "افرحوا فى الرب" (فى٣: ١) .

أفرحوا فى الرب كل حين، وأقول أيضاً افرحوا" (فى٤: ٤) .

ما أجمل أن يقول الرسول "كل حين" ويكررها (١تس٥: ١٦) .

ذلك لأن الله هو مصدر كل فرحك، موجود معك كل حين، ويعمل من أجلك كل حين، ولا يغفل عنك لحظة واحدة، لذلك لا توجد لحظة تمنعك من الفرح ..

حتى فى اللحظات ، التى تبدو فيها الأحزان محيطة بك .

يقول الرسول "كحزانى، ونحن دائماً فرحون" (٢كو٦: ١٠) .

وهكذا كان الرسول يرتل، ويسبح، ويغنى أغانى روحية، وهو فى السجن الداخلى، ورجلاه مربوطتان فى المقطرة .. (أع١٦: ٢٤، ٢٥) .

إن فرحه لا ينبع من ظروفه الخارجية، إنما من الله .

من جهة الظروف الخارجية "كحزانى" – ومن جهة الله "نحن دائماً فرحون" ..

حينما يضع الإنسان كل همه فى ظروفه الخارجية ، قد يكتئب، لأنه قد بدأ يخرج من الإنشغال بالله والإهتمام به، إلى الإنشغال والإهتمام بالعالم، وحينئذ يبدأ العالم يلعب به، ويدخله فى لعبة المنح والمنع .. فيتعب ...

أما أنتم فقد جعلكم الله من "خاصته" و"أهل بيته" (اف٢: ١٩) . ويريدكم أن تتركوا كل أموركم له، ولا تهتموا بشئ .

بل يقول الرسول "لا تهتموا بشئ، بل فى كل شئ، بالصلاة والدعاء مع الشكر.." (فى٤: ٦) .

ويقول أيضاً "أريدكم أن تكونوا ، بلا هم" (١كو٧: ٣٢) .

ويقول الرب "لا تهتموا بما للغد (مت٦: ٣٤) . الرب يهتم بكم ..

ومادام الرب يهتم بك ، تعيش فى فرح ، بلا هم .

إن هذا الهم ، معناه إنك بدأت تحمل المسئولية بدلاً من الله الذى تعهد بحملها، والذى قال "تعالوا إلىّ يا جميع المتعبين والثقيلى الأحمال، وأنا أريحكم" (مت١١: ٢٨). فبدلاً من أن تأتى إليه، أتيت إلى ذاتك، وحملتها كل همومك، فزادت أتعابك.. ومعنى ذلك أيضاً أنك

لم تعد تنظر فى رجاء إلى المستقبل، ولم تعد تنظر فى ثقة إلى عمل الله! ليتك تلقى كل أتعابك عند قدميه، وتفرح بالرب .

❈ ❈ ❈

ستفرح حتماً بالرب ، إن اعتبرته الراعى الصالح، المهتم بخرافه .

لذلك لما تذكر داود هذه الحقيقة، فرح بالرب، ورنم قائلاً الرب يرعانى، فلا يعوزنى شئ. فى مراعٍ خضر يربضنى، وإلى ماء الراحة يوردنى.. إن سرت فى وادى ظل الموت، لا أخاف شراً لأنك أنت معى" (مز٢٣) .

فهل اتخذت الرب راعياً لك ، وهل اعتمدت على رعايته. افعل ذلك فتفرح ...

وأنت تفرح أيضاً ، حينما تذكر كل صفات الله الجميلة، وكل وعوده لك، وللكنيسة فتتعزى ...

من مثل إلهنا ؟ ليس مثله ، ولا من يشبهه ..

إنه لا يخيفنا بلاهوته، ولا يرهبنا بعظمته ، إنما يجذبنا بحبه .

إننا نفرح به كراعٍ ، يبذل نفسه عن الخراف، ونفرح به كأب، بكل ما فى الأب من حنان، ونفرح به كحبيب لنفوسنا .

إنه يقول "لا أعود أسميكم عبيداً، بل أصدقاء" (يو١٥: ١٥) ونحن نفرح بهذا. ونفرح بقوله عنا إنه "أحب خاصته الذين فى العالم، أحبهم حتى المنتهى" (يو١٣: ١) .

وهو ليس صديقاً عادياً، بل هو يقول "ها أنا معكم كل الأيام وإلى إنقضاء الدهر" (مت٢٨: ٢٠). "إن نسيت الأم رضيعها، أنا لا أنساكم" "نقشتكم على كفى.." (أش٤٩: ١٦)

❈ ❈ ❈

ما أشد فرحنا بهذا الإله المحب ، الوديع ، المتواضع القلب .

الذى نقول عنه فى النشيد "تحت ظله أشتهيت أن أجلس" (نش٢: ٣) .. الذى جعل العلاقة به تخرج من حدود الرسميات، وتصير كلها حباً وعاطفة، بما فى ذلك الصلاة، وكل ألوان العبادة. وأصبحت حياة القداسة تتلخص فى عبارة واحدة :

"تحب الرب إلهك ، من كل قلبك، ومن كل فكرك" .. (مت٢٢: ٣٧) .

ولم نعد مطالبين بوصاياعديدة فى حياتنا الروحية، إنما بوصية واحدة هى المحبة، تشمل كل شئ .. "ومن يثبت فى المحبة، يثبت فى الله، والله فيه" (١يو٤: ١٦) .

❈ ❈ ❈

ونحن نفرح بالله ، الذى لم يتركنا لأنفسنا، بل لنعمته .

نفرح به ، لأنه يعرف طبيعتنا وضعفنا، ويذكر أننا تراب نحن (مز١٠٣: ٤). لذلك لم يتركنا لضعف هذه الطبيعة، إنما زودنا بالنعمة، وعمل روحه القدوس، وأعطانا مع كل وصية قوة على تنفيذها، ومغفرة إن كسرناها وتبنا ...

إننا نفرح بالله ، الذى اختبره داود النبى فقال "أقع فى يد الله، ولا أقع فى يد إنسان، لأن مراحم الله واسعة" (٢صم٢٤: ١٤) . هذا الإله المحب، الذى فدانا وخلصنا، وحول لنا العقوبة خلاصاً، الطبيب الحقيقى الذى لأنفسنا وأجسادنا ...

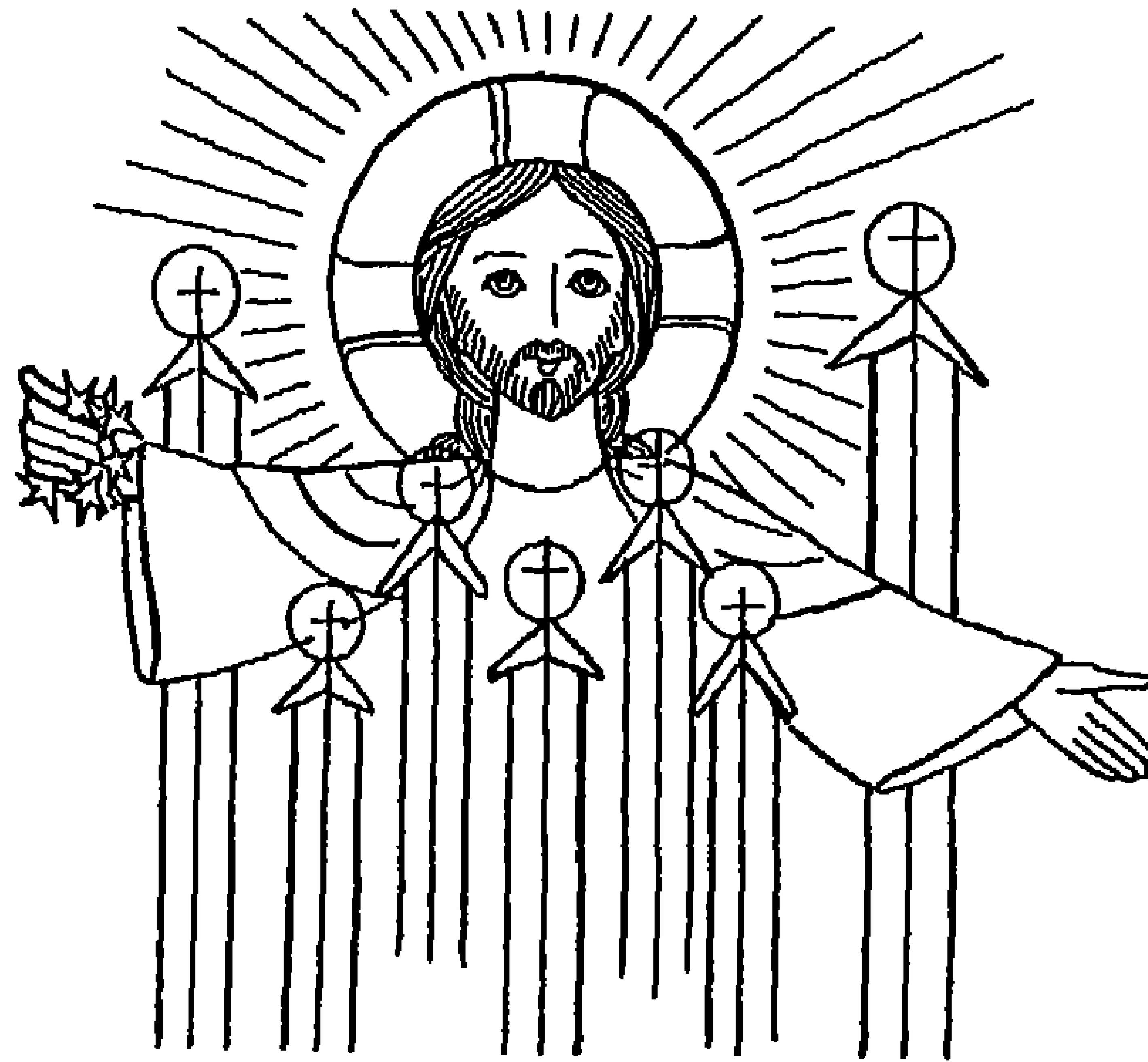
نفرح به فى عمله معنا ، وفى حفظه لنا، وفى وعوده ...

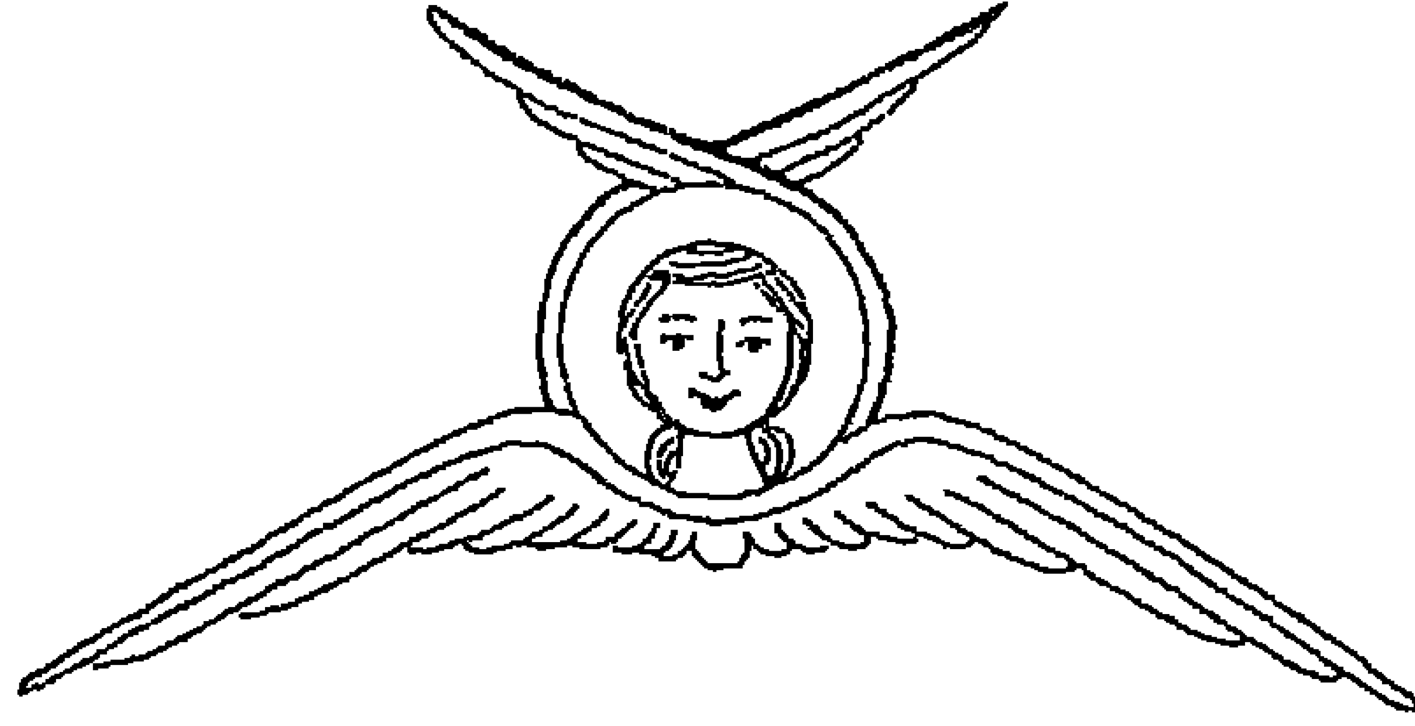
ونفرح بعشرته ومحبته، ونجد لذة فى الوجود معه ...

وفى فرحنا بالرب، لا نحزن لشئ ، بل يملك الإطمئنان على قلوبنا، فى كل حال.. لا نستمد فرحنا من ظروفنا، إنما من الإيمان العميق بهذا الإله وعمله معنا .

بهذا عاشت الكنيسة فى كل جيل ، وبهذا ستعيش إلى أبد الدهر، تفرح بالله الضابط الكل، السائر فى وسط المنائر السبع، الممسك السبعة الكواكب فى يمينه (رو٢: ١) المشرق بنوره على الكل، الذى يحصى حتى شعور رؤوسنا (مت١٠: ٣٠) .

مبارك هو الرب ، فلنفرح به ، ونسبح له تسبحة جديدة .





آمين تعال أيها الرب يسوع

(رؤ٢٢: ٢٠)

تقرأ هذه العبارة فى آخر إصحاح من الكتاب المقدس، حيث تتكرر فيه عبارة (تعالَ) أكثر من مرة . فما هى تأملاتنا فى هذا النداء ، من حيث علاقة الإنسان بالله؟

١ - إما أنه إشتهاء لمجئ المسيح الثانى .

وقد كانت هذه الشهوة تلهب قلوب المؤمنين فى الكنيسة الأولى فى العهد الرسولى. وكانت عيونهم شاخصة نحو السماء من حيث يأتى المسيح مرة أخرى. وأحياناً ترد فى تحياتهم فى رسائلهم عبارة (ماران آثا) (اكو١٦: ٢٢) أى ربنا آتٍ .

وطبعاً تعلقهم بمجئ الرب ، كان يعنى أيضاً التعلق بالمصير الأبدى حيث يختطفنا الرب معه فى السحاب لملاقاة الرب فى الهواء . وهكذا نكون كل حين مع الرب (اتس٤: ١٧) .

وهكذا نقول "آمين تعالَ أيها الرب يسوع" .. لكى تأخذنا معك . ونتغير ، حيث نلبس الجسد الروحانى ، فى القيامة العامة التى تصحب مجئ الرب (اكو١٥: ٥١) ..

والوجود مع الرب كل حين، بأجساد روحانية، فى مجيئه الثانى، لاشك أنه أمر مفرح، نقول فيه "تعالَ أيها الرب يسوع" .

وطبعاً يقول هذه العبارة الأبرار المستعدون لمجئ الرب . أما الأشرار فيقولون للجبال غطينا وللتلال اسقطى علينا من غضب الله (لو٢٣: ٣٠) (رؤ٦: ١٦) .. نعم، هذا المجئ الذى نقول عنه فى القداس الإلهى "المخوف المملوء مجداً" ..

✠ ✠ ✠

٢ - أيضاً عبارة "أمين، تعالَ أيها الرب يسوع" يمكن أن يقولها الإنسان فى وقت

استقباله للموت .

يقول له : تعال استلم وديعتك . فى يديك استودع روحى. كما قال القديس اسطفانوس أول الشمامسة وقت رجمه : "أيها الرب يسوع، اقبل روحى" (أع٧: ٥٩) .

الإنسان البار هو الذى يقول ساعة الموت "آمين تعالَ أيها الرب يسوع" . فيستلم الرب هذه الروح، إذ يرسل ملاكاً يحملها. كما قيل عن لعازر المسكين "مات المسكين وحملته الملائكة إلى حضن ابراهيم" (لو١٦: ٢٢) . ولذلك ما أجمل ما قيل عن الموت "فلتمت نفسى موت الأبرار، ولتكن آخرتى كآخرتهم" (عد٢٣: ١٠). ذلك لأن موت الأشرار ليس هكذا. بعضهم فى ساعة موته يرون مناظر مفزعة . وتأتى الشياطين لتسحب روح هذا الميت معها إلى الجحيم ...

الذين فى موتهم يقولون "تعالَ أيها الرب يسوع " ، هم مثل بولس الرسول الذى قال "لى إشتهاء أن أنطلق وأكون مع المسيح. ذاك افضل جداً" (فى١: ٢٣) . أو مثل سمعان الشيخ الذى قال للرب "الآن اطلق عبدك بسلام، لأن عينىّ قد أبصرتا خلاصك" (لو٢: ٢٩، ٣٠).

من الذين استقبلوا الموت بفرح ، الشهداء المعترفون ، الذين كانت فى قلوبهم بلاشك عبارة : آمين تعالَ أيها الرب يسوع" .

تعالَ لكى نختم بك هذه الحياة التى بدأناها بك، وعشناها معك، وقدمناها لك.. تعالَ واستلم آلامنا ودماعنا ...

هذه العبارة أيضاً قد يقولها الذين قاسوا من أمراض مستعصية طال أمدها فى ألم أو عذاب، فيقولون أخيراً "آمين. تعالَ أيها الرب يسوع" لكى تنتهى آلامنا فى يديك .

✠ ✠ ✠

٣ - أيضاً فى انتظار البشرية للخلاص ، كانت تقول : آمين تعالَ أيها الرب"

فى العهد القديم، ما كانوا يعرفون إسم يسوع. بل كانوا يقصدون إسمه الآخر "المسيا". وكانوا ينتظرونه ويطلبون أن يأتى . حتى أن المرأة السامرية قالت "أنا أعلم أن المسيا الذى يُقال له المسيح يأتى. فمتى جاء ذاك، يخبرنا بكل شئ" (يو٤: ٢٥) . كانت البشرية تقول "آمين تعالَ" لذلك الذى تنبأ عنه الأنبياء، وتركزت حوله الرموز. وأشارت إليه الذبائح .

حالياً يمكن أن تقول البشرية "آمين تعالَ أيها الرب يسوع" لتخلص العالم من المادية والفساد والإنحلال، ومن أفكار البدع والهرطقات والإلحاد . تعالَ أيها الرب يسوع، وخلص العالم أيضاً من الإنقسام، واقم مصالحة بينه وبين الله ..

كان الذين يعيشون تحت حكم الشيوعية فى كل ضغوطها وقسوتها، كانوا يصرخون هذه الصرخة "تعال أيها الرب يسوع" . وفعلاً أتى إليهم، وخلصهم فى روسيا أو فى رومانيا، وفى بلاد الاتحاد السوفيتى. فعادوا يعبدون الله بكل مجاهرة وبلا مانع .

✠ ✠ ✠

٤ - أيضاً عبارة "آمين تعالَ أيها الرب يسوع" ، يمكن أن تكون استغاثة طلباً للتوبة

لأن كثيرين يريدون أن يتوبوا ، ولا يقدرون .. يقومون مرة من سقطتهم ، ثم يعودون فيسقطون.. ولسان حالهم يصرخ كل يوم "آمين تعالَ أيها الرب يسوع". تعالَ "توبنى فأتوب" (ار ٣١: ١٨). من ذاتى لا أستطيع . إننى محتاج إلى معونة إلهية منك، تهبنى قوة الإرادة، وتغير رغبات قلبى. وتنقذنى من هذا السبى الروحى الذى أنا فيه . لقد فشلت كل محاولاتى للتوبة، ولم يبقَ إلا أن يأتى الرب وينتشلنى .

✠ ✠ ✠

٥ - عبارة "آمين. تعالَ أيها الرب يسوع" .. تُقال أيضاً فى فترات التعب والضيق .

الضيق الشديد الذى لا يستطيع الإنسان أن يخرج منه.هذا الذى قال الرب عنه "ادعنى فى وقت الضيق. انقذك فتمجدنى" (مز ٥٠: ١٥) . فيقول الإنسان فى ضيقه "آمين . تعالَ أيها الرب يسوع" . وهكذا قال داود فى المزمور "لولا أن الرب كان معنا حين قام الناس علينا . لابتلعونا ونحن أحياء ، عند سخط غضبهم علينا .. إذن لغرقنا فى الماء وجازت نفوسنا السيل" (مز ١٢٤) .

ولكن ماذا حينما دعوت الرب وقلت تعالَ؟ يقول المرتل "نجت أنفسنا مثل العصفور من فخ الصيادين . الفخ انكسر ونحن نجونا . عوننا من عند الرب الذى صنع السماء والأرض" (مز ١٢٤) .

فى الضيق يصرخ القلب "يارب لماذا كثر الذين يحزنوننى .. كثيرون قاموا علىّ . يقولون لنفسى : ليس له خلاص بإلهه!" (مز ٣) . "الأقوياء قاموا علىّ . والأعزاء طلبوا نفسى. ولم يجعلوا الله أمامهم" (مز ٥٤: ٣) . وليس لى إلا أن أقول "آمين . تعالَ أيها الرب يسوع" . لأن قوتى وتسبحتى هو الرب. وقد صار لى خلاصاً (مز ١١٨: ١٤) .

إذن " قم أيها الرب الإله. وليتبدد جميع أعدائك . وليهرب من قدام وجهك كل مبغضى إسمك القدوس .. قم أسرع وأعنى (مز ٧٠: ١) .

✠ ✠ ✠

"نعم ، تعالَ أيها الرب" . عبارة قالها قديسون وأنبياء كثيرون ...

قالوها بكل مشاعر قلوبهم . قالها دانيال وهو فى جب الأسود . فأرسل الله ملاكه وسد أفواه الأسود (دا٦: ٢٢) . قالها يونان وهو فى جوف الحوت. فأمر الله الحوت فألقاه خارجاً (يون ٢). وقالها الثلاثة فتية وهم فى أتون النار، فإذا برابع يسير معهم شبيه بابن الآلهة (دا٣: ٢٥) .

كل هؤلاء كانوا فى ضيقة ، لا يمكن لأية قوة بشرية أن تخلصهم منها .

فلم تعد هناك إلا قلوب تصرخ "تعالَ أيها الرب يسوع" . وسمع الرب واستجاب "أنا صرخت إلى الرب، فاستجاب لى من جبل قدسه" (مز٣: ٣) .

هنا ونتذكر عبارة "ها أنا أرسلكم كغنم فى وسط ذئاب" (مت١٠: ١٦) . فما الذى تفعله الغنم وهى فى وسط الذئاب؟! ليس أمامها إلا أن تصرخ "آمين. تعالَ أيها الرب يسوع" .

وقد كان . أتى فحوّل قسطنطين الملك إلى مسيحى، وجعله يصدر مرسوم ميلان سنة ٣١٣م بالحرية الدينية .

وأيضاً أتى وحوّل اريانوس والى أنصنا القاسى العنيف،حوّله إلى مؤمن وشهيد. وهكذا حوّل الذئاب إلى خراف . وبالمثل حوّل شاول الطرسوسى إلى رسول تعب فى الكرازة أكثر من جميع الرسل (١كو١٥: ١٠) .

✠ ✠ ✠

٦ – عبارة "آمين تعالَ أيها الرب يسوع" تقال أثناء المشاكل التى يبدو أنه لا حلّ لها.. فإذا بالرب عنده حلول كثيرة ...

تُقال أثناء مشكلة هامان، الذى هدد مردخاى والشعب كله بالفناء ، فإذا بالصليب الذى أعده هامان لمردخاى، يُصلب عليه هامان" (إس٧: ٩، ١٠) .

ارتفعت هذه الصرخة أيضاً ، حينما أمر الأمبراطور أن يُسمح لأريوس بالشركة والصلاة . وأمام السلطة التى تتحكم ، لم تبقّ سوى عبارة : "آمين تعالَ أيها الرب يسوع". تعالَ أيها القوى والمخلص والمعين .

تعالَ . لأنك الوحيد الذى يفتح ولا أحد يغلق" (رؤ٣: ٧) ... قيلت هذه العبارة مرات

فى أيام الهراطقة والبدع .. وأنقذ الله الكنيسة . وبقى الإيمان إلى يومنا هذا ...

❊ ❊ ❊

٧ – عبارة "آمين . تعالَ أيها الرب يسوع" سيذكرهاالناس فى الأيام الأخيرة، التى سيحل فيها الشيطان من سجنه (رؤ٢٠: ٧) .

نعم ، يخرج ليضل الأمم فى أربع زوايا الأرض (رؤ٢٠: ٨) . فى تلك الأيام سيظهر الـ Anti Christ (ضد المسيح) الذى سوف يصنع آيات وقوات وعجائب كاذبة بعمل الشيطان، وبكل خديعة الإثم فى الهالكين (٢تس٢: ٩، ١٠) . "ولو لم تُقصّر تلك الأيام لم يخلص جسد" (مت٢٤: ٢٢) . ويصرخ الناس إلى الرب . ومن أجل المختارين تقصر تلك الأيام ...

تلك الأيام التى يبوّق فيه الملائكة السبع بأبواقهم المرعبة فتحدث ويلات مخيفة لم تحدث من قبل (رؤ٨، ٩) . ولا يكون فى وسع الناس إلا أن يصرخوا إلى الرب .

❊ ❊ ❊

٨ – عبارة "أمين تعال أيها الرب يسوع" تقال أيضاً لأجل الكنيسة والخدمة .

نقول فيها : أنت يارب وضعت الأساس ، وبقى أن تكمل البناء وتلاحظه . لأنه "إن لم يبنِ الرب البيت، فباطلاً تعب البناءون . وإن لم يحرس الرب المدينة، فباطلاً سهر الحارس" (مز١٢٧: ١) .

نحن يارب نخدم، نعظ، نتكلم، نرعى . ولكن أنت الذى تعمل فى القلوب. أنت الذى تعطى تأثيراً للكلمة. أنت الذى تجعل إرادة الناس تميل إلى الخير وتنفذه . تعهد إذن هذه الكرمة التى غرستها يمينك ...

نعم ، آمين . تعالَ أيها الرب يسوع . إعطِ روحاً للمتكلم، وإرادة للسامع. بل نطلب إليك يارب من أجل الحصاد أن ترسل فعلة لحصادك ...

❊ ❊ ❊

٩ – هى أيضاً عبارة تعنى الإيمان والقبول .

فحينما تقول "آمين تعالَ أيها الرب يسوع"، فإن هذا يعنى أنك قد آمنت به رباً، وقبلته أن يأتى إليك. ويقول الإنجيل "أما الذين قبلوه، فأعطاهم سلطاناً أن يصيروا أولاد الله،أى المؤمنون بإسمه" (يو١: ١٢) . والمؤمنون بالرب يقبلونه إلهاً لهم وقائداً لحياتهم . وقد قيل فى الرسالة إلى رومية "الذين ينقادون بروح الله، فأولئك هم أبناء الله" (رو٨: ١٤) .

❊ ❊ ❊

١٠ - أحياناً عبارة "آمين تعالَ أيها الرب يسوع" تعنى استجابة للدعوة .

كما حدث لشاول الطرسوسى الذى كان مضطهداً للكنيسة. وظهر له الرب ودعاه . فاستجاب، وصار بذلك رسولاً للأمم- كذلك أيضاً قالت السامرية فى قلبها "آمين تعالَ أيها الرب يسوع" .

✠ ✠ ✠

١١ - عبارة " آمين. تعالَ أيها الرب يسوع" . هى أيضاً صلاة حب واشتياق .

هى صلاة إنسان يشتاق إلى الله، كما تشتاق الأرض العطشانة إلى الماء . فيقول له : تعالَ أيها الرب يسوع . اسكن فى قلبى وعقلى وفى كل مشاعرى . أنت تبحث عن مكان تسند فيه رأسك . وأنا قد فتحت لك قلبى . وبكل قلبى طلبتك ، واقول لك تعالَ .

تعالَ أيها الطافر على الجبال، القافز على التلال، الذى أحسست بك نفسى فقالت : صوت حبيبى (نش٢: ٨) .

أنت واقف على الباب تقرع ، وتقول من يفتح لى أدخل وأتعشى معه وهو معى (رؤ٣: ٢٠) . وهوذا أنا افتح لك واقول: آمين، تعالَ أيها الرب يسوع. أنت قرعت على بابى ، وبابى قد حنّ إليك، وفتح لك . تعالَ واجعلنى أكوّن صلة بك وعلاقة معك .

✠ ✠ ✠

١٢ - تعالَ لكى تكون لى حياة شركة معك .

تكون إرادتك هى إرادتى ، ومشيئتك هى مشيئتى ، وعملك هو عملى. تكون أنت فىّ، وأنا فيك. وأقول مع الرسول "لى الحياة هى المسيح" (فى١: ٢١) . "أحيا لا أنا ، بل المسيح يحيا فىّ" (غل٢: ٢٠) . وهكذا أصير هيكلاً لروحك. وروحك القدوس يسكن فىّ (١كو٣: ١٦) .

✠ ✠ ✠

إنها صلاة ينبغى أن تكون لنا مدى الحياة .

لا تعبر عن مشاعر مؤقتة ، وإنما عن مشاعر دائمة ، صارت لنا منذ ولدنا من الله بالإيمان والمعمودية، وصرنا مسكناً له فى سرّ الميرون المقدس . وصرنا نخلص بحياته (رو٥: ١٠) . أى بحياته فينا .

إذن آمين . تعالَ أيها الرب يسوع، لكى نخلص بحياتك فينا.

فهرست الكتاب

صفحة

القسم الثالث : علاقة الإنسان بالله ١٥٩

فى هذا الكتاب

بسم الآب والإبن والروح القدس

الإله الواحد آمين

★ فى هذا الكتاب ٣ موضوعات :

صفات الله الخاصة به .

علاقة الله بالإنسان .

علاقة الإنسان بالله .

★ فمن جهة صفات الله تقرأ عن الله الخالق، الأزلى، غير المحدود، الموجود فى كل مكان، القادر على كل شئ .

★ وعن علاقته بالإنسان تقرأ عن : محبة الله للإنسان، وعطائه، وطيبته، وحنانه، وحفظه، ومغفرته، وتأديبه، وتدبيره، وفدائه العظيم.. إلخ .

★ أما عن علاقة الإنسان بالله، فتقرأ عن مركز الله فى حياتنا، معرفتنا له، لقائنا به، شركتنا معه، ثباتنا فيه، مصالحة، الجهاد معه، انتظارنا له، فرحنا به. كما تقرأ عن الهاربين من الله.

★ إنها أربعون محاضرة، شملت هذه الموضوعات وغيرها .

البابا شنوده الثالث

الـ... ـهات